المُجلِّـي

عن رُوحَانِيَّاتِ المُصلِّـي

تأليف

الدكتور : أحمد خضر حسنين الحسن

بِسْـمِ اللّٰهِ الرَّحْـمنِ الرَّحِـيم

إهداء

لكل مسلم حريص على إرضاء ربه.

مواظباً على إقامة فرضه .

حريصاً على أداء النوافل.

ليس عن ربه بغافل .

ولا يشغله عنه شاغل.

بالذكر يصل إلى مقام الإحسان.

وبالدعاء يحقق عبادة الرحمن.

استهلال

قال الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)

سورة المؤمنون الآيتان(1-2)

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَنْ شَاءَ اسْتَقَلَّ، وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ)

رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه

وعن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال : جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من قضاعة فقال له : يا رسول الله ، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وصمت الشهر ، وقمت رمضان ، وآتيت الزكاة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء) .

رواه ابن خزيمة وصححه الألباني في صحيح ابن خزيمة (2212)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

(سرُّ الصلاة و لُبها إقبال القلب فيها على الله وحضوره بكلِّيته بين يديه) .

المقدمة

الحمد لله الذي شرف عباده بمناجاته في الصلوات وفاضل فيها بين الجماعات والخلوات ، وأكرمهم فيها برفع الحاجيات كيفما تقلبت بهم الحالات ، وجعلها دليلاً على الإيمان وعلامة على محبة الرحمن ، راحة للأرواح ومفتاحاً للنجاح وعنواناً للصلاح ؛ وهي منجاة من العذاب ، وكثيرة الثواب ، وملجأ للأحباب تفتح لهم من الخيرات الأبواب وتخفف عنهم المصاب ، يبثون فيها شكواهم إلى الواحد الوهاب ، وينتظرون عظيم الأجر والثواب في هذه الدنيا ويوم يقوم الأحزاب ،والصلاة على محمد نبيه المصطفى الأواب ، ضرب المثل الأعلى في مناجاة ربه التواب فكانت قرة عينه في الصلاة وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليماً .

أما بعد : أخي المسلم أختي المسلمة لو أن أباك قُبَيْل وفاته أوصاك بوصية فما هو قدر هذه الوصية وما هي مكانتها عندك؟ لا شك أنها أهمية كبيرة وستحظى منك بالعناية بها والسعي في تطبيقها مهما كانت صعبة أو تحتاج منك إلى جهد ومشقة ووقت ، وأسألك سؤالاً آخر ماذا لو كان الذي أوصاك هو أستاذك الذي علمك ورباك ؟ لا شك أن هذه الوصية ستزداد أهميتها لديك على قدر ما لذاك الأستاذ في قلبك من حب وتقدير واحترام.

الآن ماذا لو كان الذي أوصاك هو حبيب رب العالمين وسيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم وكانت وصيته تلك ساعة احتضاره ، فهل ستقوم بها أو تهملها ؟

كل منا سيسارع بالجواب إن وصية الحبيب صلى الله عليه وسلم على العين والرأس ولن أتأخر عن تنفيذها فداه أبي وأمي صلوات الله وتسليماته عليه .

والآن أقول لك هل تعلم ما هو آخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم ، إنها (**الصلاة**) فقد جاء في الصحيحين أن آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت(**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ، وما زال يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه**) .

نعم أخي المسلم أختي المسلمة تلك هي وصيته لنا وهو الرؤوف الرحيم كما وصفه ربه ، وتأمل قول الراوي : **(وما زال يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه)** ، إن هذه الحال تعني أنه لا يوجد شئ أهم في دين المسلم من الصلاة ، ولو كان ثمة شئ آخر أهم منها لما ظل صلى الله عليه وسلم يرددها إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى . فكأنه أحس بما ستقع فيه الأمة من إهمال لها واستخفاف بحقها .

والآن نسأل أنفسنا ماذا فعلنا بوصيته صلوات الله وتسليماته عليه ، المتأمل في حال المسلمين يجد أنهم على فئات شتى :

- السواد الأعظم أعرض عنها إعراضاً تاماً فلم يرعها ولا بنسبة 1% فتركها بالكلية ، أليست هذه كارثة كبرى ، حينما ترى بعض المساجد في بعض البلدان تكاد تخلو من المصلين ، في حين تكتظ مدرجات الملاعب بالمشجعين قبل المباراة أو الحدث المهم - زعموا - بساعات طويلة ، لا يعرفون فيها أذاناً ولا صلاةً ، وقل مثل ذلك أو أكثر ممن يلتفون حول الشاشات في البيوت والكازينوهات وغيرها من دور الملاهي والملاعب ، وفي الأسواق والمتنزهات لا صلاة ولا عبادة ولا خوف من الله الواحد القهار ، لقد خف ميزان الصلاة عند هذه الفئة .

فيا ترى ماذا سيقول - من كان هذا حاله مع الصلاة - لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو لقيه يوم القيامة ؟ هل سيقول له اسمح لي يا رسول الله فأبي أغلى عليَّ

منك وأستاذي أولى عندي منك بتنفيذ وصيتهما ، سينتفض من يسمع هذا الكلام مني ويقول لي : أنا لم أقل هذا ولن أقوله ، حينها نقوله له : لقد قلته بفعلك وإن لم تقله بلسانك . فسارع أخي التارك للصلاة والمتهاون في إقامتها بالرجوع إلى وصية حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو رحمة مهداة ونعمة مسداة صلى الله عليه وسلم.

- **هناك فئة أخرى** قاموا بتنفيذ وصية حبيبهم وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم فأدوا الصلاة ولكنك إذا رأيت أحدهم وهو يصلي ، قلت في نفسك هذا مسكين أتعب نفسه ولم يحظ بالأجر ، لماذا ؟ لقد قال بعضهم : إن الشيطان قد لعب بكثير من المصلين ، لأن أحدهم يقضي من الوقت ربع ساعة أو تزيد في الاستعداد للصلاة – في قضاء الحاجة والسواك والوضوء والمشي إلى المسجد - فإذا دخل المسجد صلى التحية في دقيقة واحدة ، أو تزيد قليلاً أي أنه لا يكاد يفقه ما يقول فيها ، بالله عليك أهذه صلاة يُتقرب بها إلى الله تعالى .

وهذا يُخشى عليه أن ينطبق عليه قوله تعالى (**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**)سورة مريم (59)،

قال القرطبي رحمه الله تعالى :(عن عبد الله بن مسعود : هي إضاعة أوقاتها ، وعدم القيام بحقوقها وهو الصحيح ... و عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل يعني صلبه في الركوع والسجود) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

- **وهناك فئة ثالثة** حرصت على أداء الصلاة بكامل أركانها وشروطها ومندوباتها ولكن قصَّرت في حضور القلب مع ألفاظها وتفهُّم معاني كلماتها بل ربما تجد أحدهم - أو إحداهن - يصلي لسنين طويلة ولكن إذا سألته عن معاني سورة الفاتحة ، وقف

مشدوهاً ولم يعرف الجواب ، أو إن سألته عن معنى تسبحيات الركوع والسجود أو ما معاني ألفاظ التشهد ؟ استغرب السؤال ،لأنه لم يخطر البحث عن معانيها منه على بال .

وهذه الفئة الأخيرة هم أيضاً على ثلاث درجات كما في قوله تعالى (**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**) **سورة فاطر (32)** قال بعضهم في تفسيرها : السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن ، والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد أذن ، والظالم الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة ، لأنه ظلم نفسه الأجر فلم يحصِّل لها ما حصَّله غيره.

فيا مَنْ أنت محافظ على صلاتك : اسأل نفسك مِن الفئات أنت : سابق أو مقتصد أو ظالم لنفسه ، إن أحدنا قد تأتي عليه أياماً يكون فيها سابقاً ثم يلحقه الفتور فإذا هو ظالم .

إذن كل أولئك في حاجة إلى تجديد صلتهم بالصلاة والالتفات إلى ما يجعلها عبادةً تقرِّب العبد من ربه ، وليس إسقاطا للواجب عن كاهله .

انتقل بك أخي القارئ الكريم إلى أمر ثانٍ ألا وهو : من الواقع الذي نعيشه أن أشغال الحياة كثيرة والأحداث متلاحقة فالواحد منا منذ أن يصبح وإلى أن يمسي يجد نفسه لا يكاد يفرغ من موضوع إلا ودخل في آخر ، ولعل السبب في ذلك أن ثمة اختلاف بين الحياة التي نعيشها في الوقت الحاضر، والحياة التي كانت سائدة بالماضي، ففي الماضي كانت الحياة أسهل وأبسط من جميع النواحي، على خلاف هذه الأيام التي أصبحت صعبة ومعقدة، فهي تحتاج إلى بذل جهد من أجل توفير

احتياجات ومتطلبات الحياة. ولولا ما وهب الله تعالى المؤمن من قناعة وإيمان بما كُتب وقُدر له لأصيب بالأمراض النفسية المتنوعة كالاكتئاب والوسواس القهري وما إلى ذلك ، فهذه القناعة تبعث في نفسه الراحة والطمأنينة، بأنه لن يحصل على شئ إلا ما كتبه الله تعالى له، فمهما تعب وجَدّ لن يأخذ أكثر من المقسوم له في حياته.

وعلى ضوء ما سبق أقول : إن أهم أسباب قوة الإيمان هو الصلاة ولذا سمَّاها الله تعالى في كتابه إيماناً ورد ذلك في قوله تعالى (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**) سورة البقرة (143) ، قال ابن عباس: كان رجال من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد ماتوا على القبلة الأولى، منهم: أسعد بن زرارة، وأبو أمامة ... وأناس آخرون فجاءت عشائرهم فقالوا: يا رسول الله: مات إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى وقد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا، فأنزل الله- تعالى- (وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ) أي صلاتكم .

إذن فمن أراد أن تسهل عليه صعوبات الحياة وأن يتيسر له ما تعسر من أمر الدنيا فعليه أن يحرص على ما يُثبِّت إيمانه ويقويه ألا وهو الصلاة .

ومن هنا تفهم لماذا كانت آخر وصية أوصانا بها النبي صلى الله عليه وسلم **الصلاة** ولماذا كررها إلى أن فاضت روحه إلى باريها لعله - والله أعلم - أراد منا أن نجابه صعوبات الحياة بهذه **الصلاة** فهي النور والسرور والطمأنينة والحبور .

لكن هل كل صلاة تستحق هذه الأوصاف وهل كل مصل يجد تلك الأوصاف في نفسه عندما يصلي ، هنا يأتي قوله صلى الله عليه وسلم : (**وجُعلت قرة عيني في الصلاة**)

([1]). فهل الصلاة قرة عين لك ، اعلم أخي الكريم أن الأمر كما قال بعض العلماء : **إن الصلاة هي قرة عيون المحبين، وبها وعندها الراحة، ولا يجدون الأنس والطمأنينة والسكينة إلا فيها حيث الخشوع والخضوع والتذلل لله والانكسار بين يديه**، قال ابن حجر: (ومن كانت قرة عينه في شيء، فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه ؛ لأن فيه نعيمه، وبه تطيب حياته، وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب، فإن السالك غرض الآفات والفتور – أي عرضة للإصابة بذلك -). وقد بلغت الصلاة عنده صلى الله عليه وسلم مبلغاً لم يبلغه أحد سواه حيث بلغت مرتبة فوق درجة المحبة، وهي مرتبة قرة العين وراحة البال .

إن **الصلاة** لكي تصبح قرة عين لك فلا بد لها من أوصاف بعينها تجدها في الفصل الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

انتقل بك أخي القارئ الكريم إلى أمر ثالث ألا وهو : إن من أعظم ضغوطات الحياة تأمين الرزق، وهو ما يُقلق بال الكثيرين اليوم، فتراه في همّ دائم وتفكير مُستمرّ في كيفيّة تأمين المال الذي يستطيع منهُ الإنفاق على نفسه وبيته، وينتشر هذا القلق وهذا الضغط النفسيّ لدى كثير من الناس خُصوصاً في المنطقة العربيّة ولا سيّما منها التي تُعاني من شُحّ الإمكانات الماليّة والمصادر الطبيعيّة، والحلّ لهذا الأمر إضافة إلى كونك مؤمنا بقسمة الله بعد الأخذ بالأسباب؛ أن تحسن صلاتك قال تعالى : (**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**) سورة طه (132) يعني : لا نسألك رزقا أي لا نسألك أن ترزق نفسك وإياهم ، **وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق** ، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم فإذا أقمت

1/ رواه الترمذي والنسائي .

الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، فكان - عليه السلام - إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة .

إن الكثير من المسلمين للأسف يعانون من هم الرزق ولكن لا يدرون أن سبب معاناتهم هو تقصيرهم في إقامة صلاتهم فتجده يؤخر الصلاة لأتفه الأسباب ، أو ينقرها في الغالب كنقر الغراب ، ولا يأمر بها أهله ، ومع ذلك يقول لك نحن نعيش في عذاب ؟ لو أحسنت صلاتك وتعاملت معها بما يليق بقدرها لرزقك الوهاب وأعطاك ما تحب في هذه الحياة . **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سورة النحل (97)** قال ابن كثير : " والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أى جهة كانت. وقد روى عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال، وعن على بن أبى طالب أنه فسرها بالقناعة " .

انتقل بك أخي القارئ الكريم إلى أمر رابع ألا وهو : مما هو ملاحظ أن الغالبية العظمى من المصلين الحريصين على الصلاة جداً يخففون النافلة جداً سواء أكانت تحية المسجد أو السنن الرواتب أو غيرها ، وهذا التخفيف يصل أحياناً إلى درجة الانقاص من القدر الواجب من الطمأنينة التي هي ركن يلزم الإتيان به مع ركن من الأركان العلية للصلاة - أعني القيام والركوع والسجود والجلوس - حتى إن البعض قد لا يتجاوز الدقيقتين وربما صدرت هذه الصلاة عن أناس أفاضل .. ربما يكونون دعاة أو أئمة مساجد أو من حملة القرآن الكريم ، لكنهم درجوا على هذا التخفيف طيلة حياتهم ،ولم يفكروا حتى مجرد تفكير في التغيير إلى الأحسن أعني أن يحاول أن يصلي النافلة في ثلاث دقائق على أقل تقدير ثم يزيدها شيئا فشيئاً حتى يصل إلى درجة الحب لها والاشتياق إليها .

وأنا أقول لهؤلاء أخشى أن إذا جاء أحدهم يوم القيامة فوجد نقصاً في الفريضة ألا تقوم نافلته بسد هذا النقص ففي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **(إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ؟ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ)**[2] ولا أظن أن هناك مصيبة أعظم من يأتي العبد بفرائض ناقصة يوم القيامة ،لأن ذلك يعني الخسران المبين ، إذن لا بد من إحكام الفريضة وإحسان النافلة خوفا من النقص المحتمل في الفريضة ، وأنا قلت أخشى ألا تقوم نافلته بسد هذا النقص ،لأن النافلة نقصانها لدى هؤلاء أوضح وأظهر من نقصان الفريضة فكيف يكمل الأنقص ما هو ناقص ، وبيان ذلك : أن هؤلاء يصلون النافلة في دقيقتين بينما الفريضة الرباعية يؤدونها ما بين ست إلى سبع دقائق فعلى هذا الحساب تكون الركعتان من الفريضة أطول من ركعتي النافلة ، لأن ركعتي الفريضة تصليان في ثلاث دقائق بينما ركعتي النافلة في دقيقتين ؟ ولذا قال بعض العلماء: مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال، وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة.

انتقل بك أخي القارئ الكريم إلى أمر خامس - وهو الأخير - ألا وهو أنه قدر ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع**

2/ رواه أبو داود (864) ، والترمذي (413) ، والنسائي (465) وصححه الألباني في " صحيح سنن الترمذي "

، حتى لا ترى فيها خاشعا)[3] قال بعض السلف: "الصلاة كجارية تُهدى إلى ملك الملوك فما الظن بمن يُهدي إلى الملك - من البشر - جارية شلاّء أو عوراء أو عمياء أو مقطوعة اليد والرّجل أو مريضة أو دميمة أو قبيحة ، حتى يهدي إليه جارية ميتة بلا روح. فكيف بالصلاة يهديها العبد ويتقرب بها إلى ربه تعالى؟ والله طيب لا يقبل إلا طيبًا وليس من العمل الطيب: صلاة لا روح فيها. كما أنّه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه" [4]

أقول : بناءاً على كل ما سبق واستجابة لوصية الحبيب صلى الله عليه وسلم واهتماماً بها وقياماً بحقها أحببت أن أتكلم عن روح الصلاة الذي هو لُبُّها وأساسها بل هو المقصد الأسنى من تشريعها وجعلها فرضاً لا يُعفى عنه مكلف مهما كانت حاله ومهما تقلبت به صروف الحياة **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) سورة المؤمنون الآيتان(1-2)** والله تعالى لم يحدد نوع الفلاح ولا زمانه فيكون الخشوع سبباً في الفلاح في الدنيا والآخرة .

لماذا الكلام عن روحنيات الصلاة ؟ لأن جميع العبادات تتعلق بها ثلاثة علوم وهي :

1/ **معرفة أحكامها من الناحية الفقهية وهذا ضروري** لأنه بدونه لا تصح العبادة أصلاً ، وهذا العلم تنبني العبادة عليه وبه تقوم أركانها وواجباتها وسننها وفضائلها فالذي يأتي بالصلاة - مثلا - على ما بينه الفقهاء يكون كمن بني بيتاً ولكن بقي عليه توصيل الماء والكهرباء ليهنأ بالسكن فيه.

3/ قال الهيثمي في المجمع 136/2: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن وهو في صحيح الترغيب رقم 543 وقال : صحيح

4/ مدارج السالكين – لابن القيم – (526/1).

2/ **معرفة الحكمة من فرضها على العباد أو معرفة مقاصدها الشرعية** - كلاهما بمعنى واحد - **وهذا مما يعطي المصلي دفعة قوية لإقامتها والمحافظة عليها دون كلل أو ملل**، فمَن فَهِم ذلك كان كمن قام بتوصيل الماء والكهرباء لبيته وسكن فيه.

3/ **معرفة الروحانيات** : وهذه شئ آخر يختلف عما تقدم ، لأن تلك الروحانيات تجمع بين الأحكام الفقهية والمقاصد الشرعية ، إذ المصلي سوف يستصحب المقاصد ولكن بذهن حاضر وقلب متيقظ وفؤاد متأثر **وحينها سيجد طعماً للصلاة ربما لا يظفر به غيره من المصلين** الذين غفلوا عن إحياء روح العبودية لله تعالى في كل جزء من أجزاء الصلاة .

وما أجمل ما قاله الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله : "اعلم أن من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها، وثقل عليه الاشتغال بغيرها. وبيانه من وجهين:

الأول: أن الكمال محبوب بالذات، وأكمل أحوال الإنسان اشتغاله بعبادة الله، فإنه يستنير قلبه بنور الإلهية، ويتشرف لسانه بشرف الذكر والقراءة، وتتجمل أعضاؤه بجمال خدمة الله، وهذه الأحوال أشرف المراتب الإنسانية، والدرجات البشرية. فإذا كان حصول هذه الأحوال أعظم السعادات الإنسانية في الحال، وهي موجبة أيضاً لأكمل السعادات في الزمان المستقبل، فمن وقف على هذه الأحوال، زال عنه ثقل الطاعات، وعظمت حلاوتها في قلبه.

الثاني: أن الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور إلى عالم السرور، ومن الاشتغال بالخلق إلى حضرة الحق، وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة " انتهى **ومن هنا كان عنوان الكتاب : المُجلّـــي عَنْ رُوحانيَّاتِ المُصلِّي**

وكلمة المجلي مأخوذة من جلَّى يجلِّي، تجليةً، فهو مُجَلٍّ، واخترت من معانيه في اللغة معنيان :

الأول : جلَّى الأمرَ : كشفه وأظهره، وأبانه وأوضحه : (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ**) سورة الأعراف **(187)** . فهذا الكتاب يكشف عن روحانيات الصلاة بحيث يجعل العمل بها سهلاً إن شاء الله تعالى .

الثاني : السبق : يقال : جلَّى الفرسُ: سَبَق في الحَلْبة. وأرجو أن يكون العامل بما فيه سابق لغير من المصلين كما أرج أن يكون كتابي هذا سابقاً لكل كتاب أُلّف في هذا الموضوع . وما ذلك على الله بعزيز . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ومعنى كلمة الرُّوحُ : عند أهل اللغة يُذكَّر ويؤنث ، والجمع الأرْواحُ ويسمى القرآن وعيسى وجبرائيل عليهما السلام روحا والنسبة إلى الملائكة والجن رُوحانِيٌّ بضم الراء والجمع روحانيون وكذا كل شيء فيه روح.

ومعنى رُوحانيّات : مفردها رُوحانيّة : وهي جوانب نفسيّة عاطفيّة تسمو بالنَّفس الإنسانيّة فوق الغرائز الدنيويّة والمطامع البشريّة إلى آفاق واسعة من الإيمان والفضائل والأخلاق الكريمة والصفات الحميدة ، يقال : يكدِّر البعض رُوحانيّات شهر رمضان بالأخلاق الفاسدة .

وقد يظن البعض أنني أول من استخدم كلمة روحانيات مراداً بها الجمع بين إعمال الفكر في المقاصد وتحريك القلب للخشوع ، ولكنني وقفت على كلام للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى استعمل فيه كلمة **(روح) بالمعنى المذكور** حيث يقول : **(سرُّ الصلاة وروحها و لبُّها ، هو إقبال العبد على الله بكليّته فيها ، فكما أنه لا ينبغي أن**

يصرف وجهه عن القبلة إلى غيرها فيها ، فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربِّه إلى غيره فيها). ثم رأيت كلاماً للغزالى رحمه في الإحياء وهو يتكلم عن الخشوع في الصلاة قال في آخره (وحاصل الكلام أن حضور القلب هو **روح الصلاة** وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير. فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة. وكم من حي لا حراك به قريب من ميت).

ويقول العلامة ابن سعدي رحمه الله: "**والخُشوع في الصلاة** هو: حضور القلب بين يدي الله تعالى، مُستحضِرًا لقُربه، فيسكن لذلك قلبُه، وتطمئنُّ نفسه، وتسكن حركاته، ويقلُّ التفاتُه، متأدبًا بين يدي ربه، مستحضرًا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتَنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، **وهذا روح الصلاة**، والمقصود منها، وهو الذي يُكتَب للعبد؛ فالصلاة التي لا خشوعَ فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مُجزئة مثابًا عليها، فإنَّ الثواب على حسب ما يعقل القلب منها".

وأما هيكل الكتاب : فهو يتكون مقدمة وتمهيد وخمس عشرة فصلاً وغالب الفصول تحتوي على مبحثين أو أكثر تجدها مفصلة في الفهارس .

وأما منهجي في كتابة هذه الروحانيات كالتالي :

1/ شرح الذكر الوارد في كل ركن من أركان الصلاة وسننها شرحاً موجزاً ، ليس بالقصير المخل ولا بالطويل الممل. لأن المصلي ما لم يفهم معنى ما يقوله من أذكار فلن يخشع قلبه ، ولن تدمع عينه وهذا معلوم بداهة ، ولكن للأسف الشديد اعتاد الكثيرون على تلاوة أذكار الصلاة دون التفكر في معانيها ، أو محاولة التأثر بقلوبهم فيها .

2/ ذكرت الروحانيات على حسب ما يرد في الخاطر أو ما يوجد في المصادر فلا تظنن أيها القارئ أن ترتيبها من الأدنى إلى الأعلى أو العكس ، فكل قارئ يستطيع أن يعرف مقامه من تلك الروحانيات فسيجد فيها العالم طِلبته ، وطالب العلم بُغيته ، والعامي حاجته - بإذن الله تعالى - (قد علم كل أناس مشربهم).

3/ عدم الخوض في المسائل التي أخذت طابع الخلاف بين الفقهاء بل أوردت ما هو متفق عليه في الغالب ، وإن وجد شئ من هذا فهو نادر جداً ، لأن هذا الكتاب ليس معنياً بالأحكام بل بالروحانيات فقط .

واعلم أخي القارئ الكريم : أنني إذا قلت قال الغزالي فهو منقول من كتابه إحياء علوم الدين المجلد الاول (كتاب اسرار الصلاة ومهماتها) وإذا قلت قال ابن القيم فهو من كتابه : أسرار الصَّلاة والفَرق و الموازنَة بين ذَوق الصَّلاة و السَّماع - اعتنى به أبو عبد الله همَّام الجزائري (نسخة إلكترونية).وإذا نقلت من غير هذا الكتابين لهذين العالمين فأنا أسميه . وينبغي التنبيه في هذا المقام إلى أنني رجعت إلى كثير من كتب التفسير وشروح الحديث النبوي كما نقلت من بعض الكتب التي تناولت موضوع الخشوع في الصلاة سواء أكانوا قدامى أو معاصرين فأسأل الله أن يثيبني وإياهم على ذلك .

وأمنيتي في هذا الكتاب أن يطلع عليه العلماء والعامة والمثقفون فما من مسلم إلا وهو في حاجة إلى محتواه ، بل أتمنى أن يُدرَّس جنباً إلى جنب مع أي كتاب فقهي تُدرَّس فيه أحكام الطهارة وأحكام الصلاة ، لأن الفقه فيه نوع من الجفاف والصعوبة يحتاج إلى أن يليِّنه الأستاذ أو الشيخ بمثل هذه الروحانيات ،بل لا أكون أبعدت إن قلت : إن هذا هو الفقه الحقيقي للصلاة وهو الذي ينبغي أن نتعلَّمه حتى تؤتي الصلاة ثمارها في الدنيا والآخرة ، والله أعلم .

وختاماً : اللهَ الكريمَ الرحمنَ الرحيمَ ذا الجلال والإكرام أسأل : أن يتقبل مني هذا العمل وأن ينفعني به وأن ينفع به كل من يطلع عليه أو يعمل على نشره أو يرشد إليه أو يدل عليه . والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخوكم : راجي رحمة الله ذي المنن أحمد خضر حسنين الحسن

- الدوحة - ربيع الأول/1439 – الموافق : ديسمبر/2017

تمهيد

إضاءات للاستفادة من هذه الروحانيات

* اشتملت هذه الروحانيات على شرح مبسط لجميع أذكار **الصلاة** الواجبة منها والمستحبة ، ثم شفعَتْ ذلك بذكر ما فيها من حِكَم ومقاصد وروحانيات وخشوع لله تعالى وحضور للقلب أثناء تلاوة تلك الأذكار.

* بيَّنتْ هذه الروحانيات معاني التكبير وما فيه من تعظيم وإجلال للكبير المتعال ، كما أوضحت معاني سورة الفاتحة وما فيها من تشريف للعبد بمناجاة الرب الرحيم ، كما شرحت معاني التسبيحات ، وما حوته من تأملات في تنزيه لباري البريات وداحي المدحوات ، كما لفتت الانتباه إلى معاني الدعوات التي يرفعها المصلي إلى رب الأرض والسموات بقلبٍ راغبٍ وفؤادٍ راهبٍ.

* **هذه الروحانيات ستجعل المصلي يشعر بعظيم المنة التي امتن الله تعالى بها عليه**، حيث جعله من المقيمين للصلوات الطامعين في دخول الجنات المتسابقين إلى مرضات الله تعالى صاحب الفضل العميم والعطاء الجسيم.

* **هذه الروحانيات فيها أرشادات وتوجيهات للأدب مع رب الأرض والسموات** مع كل ذكر يتلفظ به المصلي وكل حركة يقوم بها من قيام وركوع وسجود ، إذ بينت في ثناياها معنى مهماً ألا وهو : كما أن الخشوع يكون في الذكر فكذلك يحصل مع الفعل ، فليس خشوع الساجد كخشوع الراكع.

* تساءلت وأنا أكتب هذه الروحانيات كيف يمكن للمصلي أن يستحضر هذا الكم الكبير من المعلومات فتكون سبباً في حضور قلبه والاستكانة لربه ، فلا يكاد يقرأ شيئاً

مما يتعلق بركن من أركان الصلاة أو ذكر من أذكارها إلا وهو يصل إلى صفحات ، فالجواب يحتاج إلى ضرب مثالين ، فأقول مستعيناً بالله تعالى :

المثال الأول : ما من أحد إلا وهو يعرف كيف تتم قيادة السيارة ، ففي القيادة عدد من الأعمال التي تقع كلها في وقت واحد على كثرتها : فاليد ممسكة بالمقود والرجل تتدهس المحرك (البنزين) أو المقبض (الفرملة) والعيون تنظر إلى أكثر من مرآة أعني الخلفية والأمامية والتي على اليمين والتي على اليسار ، وإذا مر بعلامة إرشادية مرورية قرأها وعمل بالمطلوب منه ، وإذا احتاج إلى زيادة سرعة أو تخفيفها فعل ذلك في الوقت المناسب ، **ومع هذا كله قد يكون معه شخص يركب بجواره في المقعد أو أحد المقاعد الخلفية فيتكلم معه فيفهم الكلام ويرد الجواب دون أن يرتبك في قيادته.**

كل ذلك في آنٍ واحد ومع ذلك لا يشعر بتعب ولا قلق بل يشعر بسعادة وهو يمارس هذه الأفعال في قيادته لسيارته - خصوصاً إذا كان حديث عهد بتعلم لقيادة السيارة - وهذه كلها أمور حسية واستطاع الإنسان أن يفعلها ويستمتع بها أفتظن أن معرفته بهذا العدد الكبير من المعلومات عن الصلاة يعجز عن الاستفادة منه والاستمتاع به في آن واحد وهي – تلك المعلومات – أمر معنوي ، ومعلوم أن المعنويات ألطف بكثير من المحسوسات بل لا مقارنة بينهما ولهذا يكون التعامل معها أيسر بكثير.

المثال الثاني : إننا نتاول في الوجبة الواحدة عدداً الأطعمة بغرض تغذية الجسم ولو تأملنا في تراكيب تلك الأطعمة لوجدناها تتركب من عناصر كثيرة جداً ، ولا يستغرق تناولها دقائق معدودة ويستفيد منها الجسم الفائدة المرجوة فكيف بالعلم الذي هو وجبة معنوية لإفادة العقل والروح والفكر ؟

لكي تستفيد أخي المصلي من هذه الروحانيات – بعد ما ضربته من أمثلة - ستحتاج إلى اتباع هذه الخطوات:

1/ أن تتوجه إلى الله تعالى بالدعاء الخالص بأن يجعلك ممَّن تحقق بقوله تعالى (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**) **سورة المؤمنون (1-2)** واجعل ذلك أكبر همك في الحياة ، وتذكر أن فلاح الدنيا والآخرة متوقف على خشوعك في صلاتك وأن **الخشوع في الصلاة** - كما بينه العلماء - إنما يحصل لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين.

2/ أن تسحضر أن **لب الصلاة هو الإقبال على الله تعالى بذلك الخشوع** فلذا يجدر بكل مصل أن يتفرغ لها بقلبه وقالبه فلا يأتيها وهو ينوي الاسراع فيها ،لأن وراءه عملاً آخر مهم جداً ، وتأمل لماذا نفى النبي صلى الله عليه وسلم اسم الصلاة عمن صلى وهو منشغل بغيرها فقال : (**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**) رواه مسلم.

3/ عليك أخي المصلي أن تحفظ أكثر من ذكر كل ركن من أركان الصلاة ، فلا تقتصر على ذكر واحد ، وفائدة هذا الحفظ أن تغاير بين تلك المحفوظات بين الحين والآخر فلكل ذكر معانيه وروحانياته التي تختلف عن الذكر الآخر .ولهذا السبب جمعت تلك الأذكار كلها في الفصل الأخير من هذا الكتاب كما سبق بيانه قريباً.

4/ من المهم جداً فهم معاني جميع الأذكار المطلوبة في الصلاة سواءٌ أكانت واجبة أم مسنونة إذ لا يتم خشوع إلا بعد فهم معاني الكلام وتدبره.

5/ من المهم جداً ايضاً إطالة أركان الصلاة الفعلية وعدم الإسراع في أدائها ، لكي تتمكن من اسحضار ما فيها من التعظيم لله تعالى وإجلاله ،كما أنه يجب البطء

والتأني في تلاوة الأذكار لكي تتمكن من تدبر ما تقوله وعدم العجلة **إذ الملاحظ أن الاستعجال في ذلك يتنافى مع الخشوع.**

ختاماً : جاءني أحد الإخوة الملتزمين وقال لي : قبل أيام أذّن المؤذن لصلاة الظهر فتوضأت بعد الأذان مباشرة وخرجت إلى الصلاة فصليتُ أربع ركعات فوجدت فيها لذة وحلاوة للصلاة لم أذق مثلها في حياتي وهكذا في الفريضة ففرحتُ بذلك ثم خرجت في اليوم الثاني مبكراً في نفس الموعد وصليت أيضاً أربع ركعات قبل الفريضة ، ولكني لم أجد تلك اللذة التي وجدتها في اليوم الأول ، فلماذا حدث معي هذا ؟

فأجبته على الفور : لأنك في اليوم الأول خرجت لله أما في اليوم الثاني فخرجت لتجد تلك اللذة ، فرضي مني ذلك الجواب . والله أعلم .

الفصل الأول

بيان عظمة قدر الصلاة وفضلها في الإسلام

المبحث الأول : بيان عظمة قدر الصلاة في الإسلام .

المبحث الثاني : بيان فضل الصلاة من الأحاديث والآثار وكلام العلماء .

المبحث الأول

بيان عظمة قدر الصلاة في الإسلام

لقد كتب عدد من العلماء قديماً وحديثاً كتباً في هذا الموضوع - تعظيم قدر الصلاة - فمن القدامى العلامة محمد بن نصر المروزي المتوفى عام (294 هـ) ومن المعاصرين الشيخ أحمد فريد والشيخ عبد المحسن بن عبد الرزاق البدر ، هذا عدا عما كُتِب من مقالات في **أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام** وتلك الجهود كلها تهدف إلى تعظيم قدر الصلاة في نفوس المؤمنين ولذا كان من واجبي أن أشير إلى هذا الأمر الهام فاخترت ملخصاً – بتصرف - كتبه الشيخ: أبو عبد الله مسند القحطاني – جزاه الله خيراً – وقد جمع فيه أربعين بنداً ودلل على بعضها بالكتاب والسنة .

1- أول ما فرض الله تعالى بعد الإيمان به سبحانه وتوحيده ، بعني من حيث الرتبة والمكانة لا من حيث الزمان التشريعي ، وإلا فهناك بعض الأحكام الشرعية كلف الله تعالى بها عباده قبل الصلاة.

2- **الصلاة أعظم ما فرض الله تعالى بعد الإيمان به وتوحيده**، فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، أعظم من الصوم والزّكاة والحجّ .

3- **الصلاة أعظم شعائر الإسلام الظاهرة**، وخير عمل المسلم كما في الحديث "واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة" رواه الإمام أحمد وصححه الألباني صحيح الجامع.

4- **الصلاة فرضت في السماء، كما هو معلوم من معجزة الإسراء والمعراج، بخلاف سائر أركان الإسلام.**

5- **الصلاة فرضت على جميع الأنبياء والمرسلين، ويتعبّد لله بها أهل السموات والأرض.**

6- **الصلاة أوّل ما يؤمر به المسلم في صغره، كما في الحديث "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين.."** الحديث، رواه الإمام أحمد وأبو داود وحسنه الألباني صحيح الجامع.

7- آخر ما وصّى به النبيّ صلى الله عليه وسلم عند موته كما في الحديث :(**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**) رواه الإمام أحمد والنسائي وصححه الألباني صحيح الجامع .

8- الصلاة لا تسقط عن المسلم ما دامٍ مكلّفاً، ما عدا الحائض والنفساء، فيصلّي المسلم مسافراً أو خائفاً ومريضاً على حسب استطاعته، بخلاف الصوم والزكاة والحجّ فتسقط بالأعذار.

9- لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن شيئاً من أعمال الإسلام تركه كفر إلا الصلاة كما في الحديث **(إن بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة)** رواه مسلم، وفي الحديث الآخر **(العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)** رواه أهل السنن وصححه الألباني صحيح الجامع .

10- آخر ما نفقد من ديننا ، كما في الحديث **(وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة)** حسنه الألباني صحيح الجامع.

11- سمّاها الله إيماناً كما في قوله تعالى : (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**) سورة **البقرة**.(143) والمعنى- وما كان الله- تعالى- ليذهب صلاتكم وأعمالكم الصالحة التي قمتم بها خلال توجهكم إلى بيت المقدس .

12- **أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد**، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم.

13- **الصلاة هي أعظم الأسباب المعينة على مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنّة**، فقد قال عليه الصلاة والسلام لمن سأله مرافقته في الجنّة : "**أعنّي على نفسك بكثرة السجود**" رواه مسلم .

14- بالصلاة يتمايز بها المؤمنون عن المنافقين يوم القيامة وعبر الله عنها بالسجود، كما في قوله تعالى : (**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**) القلم (42).

15- الصلاة هي أعظم وأبرز العلامات التي يعرف بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته ، كما في الحديث : "**إن أمتي يدعون يوم القيامة غرّاً محجّلين من آثار الوضوء...**" رواه البخاري ومسلم.

16- الصلاة تحمي صاحبها يوم القيامة ولو دخل النار، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث" **حرّم الله عزّ وجل على النار أن تأكل أثر السجود**" متفق عليه .

17- الصلاة أعظم ما يعصم المسلم من الفواحش والمنكرات والجرائم، كما في قوله تعالى : (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**) العنكبوت الآية (45) .

18- أعظم ما يعصم الدمّ بعد الإيمان بالله تعالى ، قال تعالى : **(فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ)** التوبة الآية (5) وفي الحديث **(إني نهيت عن قتل المصلّين)** رواه أبو داود والإمام أحمد وصححه الألباني صحيح الجامع .

19- أمر الله بالاستعانة بالصلاة ، قال تعالى : **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)** البقرة.(45) وقال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** الآية البقرة (153).والمراد من **الاستعانة بالصلاة** كما قال بعض العلماء : إن الصلاة رأس الطاعات فمن أقامها فإنها تكون عوناً لع على إقامة بقية الطاعات ، وأما الصبر فهو يستعان به على مغالبة المحرمات . والله أعلم .

20- **كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر أو أحزنه أمر فزع إلى الصلاة،** رواه الإمام أحمد وأبو داود وحسنه الألباني صحيح الجامع .

21- الصلاة هي مصدر الراحة فلذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينادي : **يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها.** رواه الإمام أحمد وأبو داود وصححه الألباني صحيح الجامع .

22- الصلاة هي قرّة عين النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث **(جعلت قرّة عيني في الصلاة)** رواه الإمام أحمد وصححه الألباني صحيح الجامع .

23- ميزان لسائر الأعمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

24- **ميزان لمعرفة مكانتنا عند الله تعالى، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : من أراد أن يعرف مكانته عند الله فلينظر إلى مكانة الصلاة عنده .**

25- جميع أعمالها توحيد لله تعالى وتعظيم له سبحانه وتكبير وتسبيح وتحميد وتهليل وتواضع وتذلّل بين يدي الله جلّ جلاله، فتجتمع فيها أجلّ العبادات.

26 - مناجاة مباشرة بين العبد وربّه، فإذا قرأ المصلّي الفاتحة فقال : الحمد لله ربّ العالمين قال الله : حمدني عبدي، فإذا قال : الرحمن الرحيم، قال الله : أثنى عليّ عبدي، فإذا قال : مالك يوم الدين قال الله : مجّدني عبدي.. إلى آخره كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام (**إن أحدكم إذا كان في صلاته فإنه يناجي ربه**) متفق عليه.

27- **أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة**، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي، وفي رواية **(فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله)** وصححهما الألباني رحمه الله صحيح الجامع.

28- من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، قال عليه الصلاة والسلام : **"ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفّارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كلّه"** رواه مسلم.

29- أعظم أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة بعد الإيمان بالله تعالى، قال تعالى :(**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**)المؤمنون (1-2) .

30- الصلاة هي أعظم أسباب تزكية النفس وتحرّرها من الهلع والجزع والبخل وسيء الأخلاق، قال تعالى: (**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ**) المعارج (19-22) .

31- الصلاة هي أعظم أسباب مفاتيح الرزق، قال تعالى : (**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**) طه (132) .

32 - من حافظ عليها كان له عهد عند الله أن يدخله الجنّة، قال صلى الله عليه وسلم: (**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ ، كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ، فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**) رواه أبو داود وصححه الألباني . وعن أبي قتادة بن ربعي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّهُ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي**) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

33- لا يشتغل المصلي فيها بغيرها، قال صلى الله عليه وسلم : **(إن في الصلاة شغلاً)** متفق عليه.

34- الصلاة عماد الدين، كما قال صلى الله عليه وسلم : (**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد**) رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه الألباني صحيح الجامع .

35- اشترط الله لها أكمل الأحوال من الطهارة والزينة باللباس واستقبال القبلة، ما لم يشترط في غيرها.

36- انتظار الصلاة رباط في سبيل الله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة**

الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرّباط، فذلكم الرّباط) رواه مسلم.

37- أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصطبر عليها كما في قوله تعالى : **(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ)** طه (132) مع أنه أمره بالاصطبار على جميع العبادات كما في قوله : **(فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ)** مريم(65).

38- أوّل ما يستقبل به المولود، فيؤذّن في أذنه، وآخر ما يودّع به المسلم في هذه الدنيا بالصلاة عليه صلاة الميّت، وصدق من قال :

أذان المرء حين الطفل يأتي دليل أن محياه يسيرُ

وتأخير الصلاة إلى الممات كما بين الأذان إلى الصلاة

39- أوّل ما يتحسّر على تركه أهل النار يوم القيامة ويوبّخون عليه، قال تعالى : **(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)** المدثر (42-43) .

40- من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم : **(من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف)** رواه الإمام أحمد وابن حبان، وقال الشيخ بن باز رحمه الله : إسناده جيد مجموع الفتاوى.

فتاوى العلماء في كون الصلاة أفضل العبادات : ترتيب العبادات حسب الأفضلية متعذر، لأنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

عبادات قلبية وعبادات بدنية وعبادة قلبية وبدنية معاً،فأفضل العبادات على الإطلاق شهادة التوحيد، وأفضل العبادات البدنية الصلاة على القول الراجح، ثم اخْتُلِف في ترتيب باقي أركان الإسلام حسب الأفضلية.

قال ابن حجر الهيتمي - تحفة المحتاج - : وأفضل عبادات البدن بعد الشهادتين الصلاة ففرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل، ولا يرد طلب العلم وحفظ القرآن لأنهما من فروض الكفايات، ويليها الصوم فالحج فالزكاة على ما جزم به بعضهم، وقيل أفضلها الزكاة وقيل الصوم وقيل الحج وقيل غير ذلك. انتهى.

وقال النووي في المجموع: **فالمذهب الصحيح المشهور أن الصلاة أفضل من الصوم وسائر عبادات البدن، وقال صاحب المستظهري في كتاب الصيام : اختلف في الصلاة والصوم أيهما أفضل؟ فقال قوم: الصلاة أفضل، وقال آخرون: الصلاة بمكة أفضل والصوم بالمدينة أفضل، قال: والأول أصح**. انتهى.

وقد ثبتت أفضلية بعض الطاعات في بعض الأحاديث الصحيحة وقد حُمِل ذلك على أنه إجابة مخصوصة لسؤال مخصوص تناسب حال كل سائل وما يليق به.

ففي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل، قال: **الصلاة لوقتها وبر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله.**

وقال ابن دقيق العيد - في إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - : وسؤاله عن أفضل الأعمال طلباً لمعرفة ما ينبغي تقديمه منها، وحرصاً على علم الأصل، ليتأكد القصد إليه وتشتد المحافظة عليه، و"الأعمال" ها هنا لعلها محمولة على الأعمال البدنية، كما قال الفقهاء: **أفضل عبادات البدن الصلاة. فإذا جعلناه مخصوصاً بأعمال**

البدن، تبين من هذا الحديث: أنه لم يرد أعمال القلوب، فإن من عملها ما هو أفضل، كالإيمان. وقد ورد في بعض الحديث ذكره مصرحاً به أعني الإيمان، فتبين بذلك الحديث أنه أريد بالأعمال ما يدخل في أعمال القلوب، وأريد بها في هذا الحديث ما يختص بعمل الجوارح، وقوله **(الصلاة على وقتها)** ليس فيه ما يقتضي أول الوقت وآخره، وكأن المقصود به الاحتراز عما إذا وقعت خارج الوقت قضاء. وأنها لا تتنزل هذه المنزلة.

وقد ورد في حديث آخر **(الصلاة لوقتها)** وهو أقرب لأن يستدل به على تقديم الصلاة في أول الوقت من هذا اللفظ، وقد اختلفت الأحاديث في فضائل الأعمال، وتقديم بعضها على بعض، والذي قيل في هذا: إنها أجوبة مخصوصة لسائل مخصوص، أو من هو في مثل حاله، أو هي مخصوصة ببعض الأحوال التي ترشد القرائن إلى أنها المراد، ومثال ذلك: أن يحمل ما ورد عنه - صلى الله عليه وسلم من قوله: ألا أخبركم بأفضل أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم؟. وفسره بذكر الله تعالى على أن يكون ذلك أفضل الأعمال بالنسبة إلى المخاطبين بذلك، أو من هو في مثل حالهم، أو من هو في صفاتهم، ولو خوطب بذلك الشجاع الباسل المتأهل للنفع الأكبر في القتال لقيل له "الجهاد" ولو خوطب به من لا يقوم مقامه في القتال ولا يتمحض حاله لصلاحية التبتل لذكر الله تعالى، وكان غنياً ينتفع بصدقة ماله لقيل له "الصدقة" وهكذا في بقية أحوال الناس، قد يكون الأفضل في حق هذا مخالفاً في حق ذاك، بحسب ترجيح المصلحة التي تليق به. انتهى.[5]

[5]/ الشبكة الإسلامية – ركن الفتوى .

المبحث الثاني

بيان فضل الصلاة من الأحاديث والآثار وكلام العلماء

* **الصلاة نور :** هكذا جاء في الحديث النبوي الشريف ، الصلاة نور، فكما أن النور يستضاء به فكذلك الصلاة تهدي إلى الصواب، وتمنع من المعاصي، وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

* **الصلاة صلة بين العبد وربه**، وهي عماد الدين، يجد فيها المسلم لذة مناجاة ربه، فتطيب نفسه، وتقر عينه، ويطمئن قلبه، وينشرح صدره، وتُقضى حاجته، وبها يرتاح من هموم الدنيا وآلامها.

***الصلاة لها ظاهر وباطن :** أما الظاهر فيتعلق بالبدن كالقيام والجلوس، والركوع والسجود، وسائر الأقوال والأعمال، وأما الباطن فهو يتعلق بالقلب، ويكون بتعظيم الله تعالى، وتكبيره، وخشيته، ومحبته، وطاعته، وحمده، وشكره، وذل العبد وخضوعه لربه، فالظاهر يتحقق بفعل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، والباطن يتحقق بالتوحيد والإيمان، والإخلاص، والخشوع.

* **الصلاة لها جسد وروح :** فجسدها القيام والركوع والسجود والقراءة وروحها: تعظيم الله وخشيته، وحمده، وسؤاله، واستغفاره، والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وعلى عباد الله الصالحين.

* **أمر الله كل مسلم بعد إقراره بالشهادتين :** أن يقيد حياته بأربعة أشياء (الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج) وهذه أركان الإسلام، وفي كل منها تمرين لتنفيذ أوامر الله على

نفس الإنسان ، وماله، وشهوته، وطبيعته؛ ليقضي حياته حسب أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وحسب ما يحب الله ورسوله، لا حسب هواه .

* **المسلم في الصلاة ينفذ أوامر الله على كل عضو من أعضائه وكل حاسة من حواسه** فالقلب يعقل واللسان ينطق والعين تنظر إلى موضع السجود .. وهكذا لكل عضو عمل في الصلاة وهذه ميزة لا توجد في غيرها من العبادات وذلك ليتدرب المصلي على طاعة الله وتنفيذ أوامره في شؤون حياته كلها، في أخلاقه، ومعاملاته، وطعامه، ولباسه، وهكذا حتى يكون مطيعاً لربه داخل الصلاة وخارج الصلاة.

* **والصلاة زاجرة عن فعل المنكرات، وسبب لتكفير السيئات** : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء)** قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: (**فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا**). متفق عليه .

* **الصلاة تعني التَّقرب الدَّائم لله في كلِّ وقتٍ على مدار ساعات اليوم واللّيلة:** فيبقى العبد قريبًا من ربّه لا يغفل عن ذِكره ولا مخافته ولا استشعار عظمته. لذا فهي تزيد من محبة العبد لربه، فيسرعُ في طريقه إليه، وذلك بالمسارعة للقيام بما يحبه سبحانه، فالمحبُ للحبيبِ مطيعُ . كما أنها تعني بقاء لسان المسلم رطبًا بذِكر الله من قراءة قرآنٍ ودعاء أثناء الصّلاة وما يتبعها من أذكارٍ عقب انتهاء الصّلاة.

* **الصَّلاة بخشوعٍ وطمأنينةٍ سببٌ لتطهير القلب من الذُّنوب والآثام والأحقاد؛** فتسمو النَّفس البشريّة عن مفاتن الدُّنيا وزخرفها، ويترّفع عن صغائر الأمور

والمعاصي. فهي تهذيب للنَّفس وإجبارها على التّواضع حينما يقف المرء بين يديّ ملك الملوك الجبار.

* **الصلاة فيها التقرُّب إلى الله في أكثر المواضع قُربًا منه وهو السُّجود**؛ لكي يدعو المسلم بما يشاء لنفسه ولغيره بما يريد من أمور الدُّنيا والآخرة . لذا كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا نزل به أمرٌ جَلَلٌ هرع إلى الصّلاة كي يرفع الله البلاء وينزل الرَّحمة.

* **الصلاة تعني تعويد المسلم على الالتزام بالمواعيد والانضباط وأداء الفعل بالكيفيّة المُكلّف بها**، مع الالتزام بالهدوء والسَّكينة والوقار. وفيها أيضاً تعويد المسلم على السُّلوك الملائم في إطار الجماعة من خلال صلاة الجماعة، وما يتبعها من احترام الآخر وعدم إلحاق الأذى أو الإزعاج بالمجموعة، وضرورة الانصياع لأمر قائدٍ واحدٍ يُمثله الإمام.

* **الصلاة إذا أقيمت فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر**، فهي درعُ وقاية، يُتقى بها الله عز وجل ،وتُوَلِدُ لديهِ الشعورَ بالمراقبة من الله، فيخشاهُ و ينتهي عما حرمهُ سبحانهُ . فهي حِصنه المنيع في وجه الشّيطان وأعوانه.

* **الصلاة امتحانٌ للثبات على أمر الله عز وجل ،والصبر على تنفيذِ أوامره، فهي مقياسٌ للتفاضل بين الناس ،لأخذِ الجزاء من الله يوم القيامة .**

* **الصلاة سبيل لإثبات الإيمان، وشهادةٌ لنفي النفاق والفسق**، وهي الإلتزامُ بأمر الله عز وجل، فهي عمود الدين، يقوم بإقامته . الصلاة وسيلةٌ لحفظ البدن، فحظُ المصلين من العاهات أقل، وعاقبتهم أسلم . الصلاة سبب لجلب الرزق، ودفعِ النِقَمْ في الدنيا والآخرة.

* **الغرض الحقيقي من الصلاة**، إنما هو تعظيم الإله فاطر السموات والأرض بالخشوع له والخضوع لعظمته الخالدة، وعزته الأبدية، فلا يكون المرء مصلياً لربه حقاً الا إذا كان قلبه حاضراً مملوءاً بخشية اللّه وحده، فلا يغيب عن مناجاته بالوساوس الكاذبة أو الخواطر الضارة، ومن ي قف بين يدي خالقه وقلبه على هذه الحالة ذليلاً خاشعاً، خائفاً وجلاً من جلال ذلك الخالق القادر القاهر، ذي السطوة التي لا تحدّ، والمشيئة التي لا تردّ، فإنه بذلك يكون تائباً من ذنبه، منيباً إلى ربه، وتصلح أعماله الظاهرة والباطنة، وتقوى علاقته بربه، ويستقيم مع عبادته تعالى، ويقف عند حدود الدين، وينتهي عما نهاه عنه رب العالمين. كما قال: {إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر} وبذلك يكون من المسلمين حقاً.

فالصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر، وهي تلك الصلاة التي يكون العبد فيها معظماً ربه، خائفاً منه، راجياً رحمته، فحظ كل واحد من صلاته إنما هو بقدر خوفه من اللّه، وتأثر قلبه بخشيته، لأن اللّه سبحانه إنما ينظر إلى قلوب عباده لا إلى صورهم الظاهرة، ولذا الله قال تعالى: (**وأقم الصلاة لذكرى**) سورة طه (14)،ومن غفل قلبه عن ربه لا يكون ذاكراً له، فلا يكون مصلياً صلاة حقيقية، وقال صلى اللّه عليه وسلم: **(لا ينظر اللّه إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه)**.

والصلاة سبب لرفع درجات العبد في الجنة حتى يكون من رفقاء النبي صلى الله عليه وسلم : عَنْ رَبِيعَة بْن كَعْبٍ الأَسْلَمِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: «سَلْ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ. قال: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟». قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قال: **«فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»**. أخرجه مسلم.

بعض من أحوال السلف الصالح في الصلاة:

- قال مجاهد - رحمه الله - : كان إذا قام أحدهم **يصلي يهاب الرحمن** أن يشد بصره لشيء ، أو يلتفت ، أو يقلب الحصى ، أو أن يعبث بشيء ، أو يحدّث نفسه في شأن من شؤون الدنيا ، إلا ناسياً ما دام في صلاته ، تعظيماً لقدر الصلاة. تعظيم قدر الصلاة – للمروزي والخشوع في الصلاة - لابن رجب الحنبلي

- وكان ابن الزبير **إذا قام للصلاة كأنه عود من الخشوع** ! وكان بعضهم ينفتل من صلاته متغير اللون لقيامه بين يدي الله عز وجل ، وبعضهم إذا كان في الصلاة لا يعرف من عن يمينه ولا من عن يساره ، وبعضهم يصفرّ وجهه إذا توضأ للصلاة ، فقيل له : إنا نراك إذا توضأت للصلاة تغيرت أحوالك ، قال **: إني أعرف بين يدي من سأقوم.**

- وكان علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه ، فقيل له مالك ؟ فيقول : جاء والله وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها.

- وكان بعض العلماء لا تنقطع الدموع من خديه على لحيته ، وبلغنا عن بعض التابعين أنه **كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه** ، وكان يقول : أتدرون بين يدي من أقف وأناجي ؟

- وقيل لعامر بن قيس: **أتحدث نفسك في الصلاة ؟ فقال : أو شيء أحب إليّ من الصلاة أحدث به نفسي ؟ قالوا : إنا لنحدث أنفسنا في الصلاة** ، فقال : أبالجنة والحور ونحو ذلك ؟ قالوا : لا ، ولكن بأهلينا وأموالنا ، فقال هذا الرجل الصالح : والله لأن تختلف الأسنّة فيّ أحب إليّ من أن أحدث نفسي في الصلاة بأمور الدنيا.

- وسيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه قال : ثلاثة أنا فيهن رجل ، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس ، **ما دخلت في صلاة فشغلت بغيرها** حتى أنصرف منها ، ولا سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى ، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها.

- قال بعض العلماء : إني أقوم بالأمر ، وأمشي بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكير ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأسلم بالنية ، وأختم بالإخلاص ، وأرجع إلى نفسي بالخوف أخاف ألاّ يقبل مني ، وأحفظه بالجهد إلى الموت.

قال بعضهم : ما رأيت أحسن من صلاة ابن نصر المروزي، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد أضلاعه حتى لا يميل يمنة ولا يسرة من شدة الخشوع.

قال الشيخ محمد راتب النابلسي :

الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة الطاعات: هذا الذي نقوله دائماً أيها الأخوة ، العبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية.

والصلاة غرة الطاعات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات. أيها الأخوة الكرام ، من تركها تهاوناً فقد عصى ، وقد ارتكب كبيرة ، ومن تركها جحوداً بفرضيتها فقد كفر **المصلي مع المنعم لا مع النعمة**: المصلي يرى أن الله يعمل وحده في الكون ، يرى أن الله بيده كل شيء ، يرى أن الله لن يسلمه لأعدائه ، يرى أن الله حيّ قيوم ، يرى أن الله: (**فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ**) سورة الزخرف الآية (84) يرى أن الأمر كله يرجع إليه ، يرى أنه الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، يرى أن الله حسيب على كل

شيء ، أمره بيد الله لا بأيدي الخلق ، المصلي مع المنعم لا مع النعمة ، بين الغرب والشرق هذه الكلمة ، الغرب مع النعمة ، والمؤمنون مع المنعم .

تنبيه : روى الطبراني عن أبي الدرداء . رضي الله عنه . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا**) **قال الألباني: حسن صحيح.**

وقد بيّن عبادة بن الصامت رضي الله عنه علامة ارتفاع الخشوع وهي توضح معناه، وأولى ما فسرّ كلام النبيّ صلى الله عليه وسلم به بعد كلامه كلام أصحابه - رضوان الله عليهم - فهم أعلم الناس بمراده، ففي جامع الترمذي - وصححه الألباني - عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ أنه قال له: إِنْ شِئْتَ لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ **الخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا.** وفي رواية مسند أحمد، وصححها الأرنؤوط بإسناد قوي من طريق جبير بن نفير عن شداد بن أوس أنه سأله: هَلْ تَدْرِي مَا رَفْعُ الْعِلْمِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: **ذَهَابُ أَوْعِيَتِهِ.فدل على أن المراد بالارتفاع موت الخاشعين.**

وأما المراد بالخشوع: فقد بينه الإمام الطحاوي في مشكل الآثار فقال: وَالْخُشُوعُ . الَّذِي أَرَادَ شَدَّادٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَاللهُ أَعْلَمُ . هُوَ الْإِخْبَاتُ وَالتَّوَاضُعُ وَالتَّذَلُّلُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقال مبينا وقت هذا الارتفاع وأنه بين يدي الساعة من خلال الجمع بين الأحاديث المتعلقة بالموضوع، فقال بعد أن سردها: فَفِيمَا رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَذِهِ الْآثَارِ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ أَوَانَ رَفْعِ الْعِلْمِ هُوَ عَلَى زَمَانٍ لَمْ يَكُنْ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ مَا قَالَ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى زَمَانٍ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فَقَدِ اتَّفَقَتْ

آثَارُ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلُّهَا الَّتِي رَوَيْنَا فِي هَذَا الْبَابِ وَيَصْدُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَبِاللهِ التَّوْفِيقَ.

*** تلك هي مكانة الصلاة في الإسلام ، وفي قلوب السلف وكذلك يجب أن تكون في قلب كل مؤمن وهي بهذه المعاني لها أحسن الأثر في تهذيب النفوس، وتقويم الأخلاق، فإن في كل جزء من أجزائها تمريناً على فضيلة من الفضائل الخلقية، وتعويداً على صفة من الصفات الحميدة.**

الفصل الثاني

توضيح مفهوم إقامة الصلاة والخشوع فيها

المبحث الأول : توضيح مفهوم إقامة الصلاة .

المبحث الثاني : حكم الخشوع في الصلاة ودرجات المصلين فيه .

المبحث الأول

توضيح مفهوم إقامة الصلاة

إن الكثيرين لا يفرقون **بين أداء الصلاة وبين إقامتها** مع أن الفرق بينهما كبير وواضح جلي فأداء الصلاة معناه أن يأتي الإنسان بأفعال الصلاة وأذكارها على أي نحو وبأي طريقة يستطيعها وما أيسر هذا على كل أحد بل يقدر عليه الصبي الذي لم يتجاوز السابعة من عمره إن حفظ أذكار الصلاة وشيئا من القرآن الكريم ، فهو يمكنه بكل سهولة أن يقوم ويركع ويسجد ويأتي بأركان الصلاة مرتبة على حسب ما هو معلوم .

ولكن ليس هذه المطلوب من المسلم ليصلي بل **المطلوب منه هو أن يقيم الصلاة** وهذا ما أردت توضيحه في هذا المبحث إذ إن العلم بذلك واجب على كل مكلف يريد إرضاء ربه ويمتثل أمره ليصلي الصلاة المقبولة عند الله تعالى .

وإلى ذلك أشار المولى تعالى في آيات كثيرة إذ لم تأت الصلاة في القرآن إلا وهي مقرونة بلفظ (**أقاموا**) أو نحوها من العبارات . ومن ذلك :

قوله تعالى: **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)** وردت ثماني مرات وقال تعالى : **(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ)** وردت ست مرات،ولم يقل أدوا الصلاة أو يؤدون الصلاة ولو مرة واحدة لأن الله لا يريد صلاة بلا روح فما معنى الإقامة .

إن المفهوم الحقيقي لإقامة الصلاة: هو أداء الصلاة بأفعالها، وركوعها، وسجودها، وخشوعها، والتذلل بين يدي الملك الحق- عز وجل- والتفكر فيما يقرأ من القرآن والأذكار، في مختلف أركان الصلاة، ثم أداء الصلاة مع الجماعة في بيوت الله، وإلقاء

الدنيا وراء الظهور، والإقبال على الله... ثم المحافظة على الصلوات الخمس حين ينادى بهن.. هذا - تقريباً - هو المفهوم الحق لإقامة الصلاة.

وهي واضحة من خلال كلمة (**أقيموا**) فإن الإقامة تشمل كل ما سبق... ومن بلاغة القرآن الكريم جمعه المعاني الجليلة بلفظ موجز، قال الله: (**وأقيموا الصلاة**) ولم ترد آية في القرآن بلفظ: (**صلوا**) بالأمر المجرد عن الإقامة .

وإليك تفصيل المقصود بإقامة الصلاة فيما يأتي :

1/ المحافظة على شروطها: من ستر للعورة وطهارة، واستقبال للقبلة، والطهارة: تشمل رفع للأحداث والأنجاس، طهارة المكان والثوب، ولهذا يقول -تعالى-: (**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**) وقال –تعالى(**إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**)،وقال:(**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**) وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للمرأة: (اغسلي عنك الدم وصلي) أمراً لها بالطهارة. وأما التوجه إلى القبلة فقد قال تعالى: {**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**}، وأما رفع الحدث فهو من شروط الصلاة، ولهذا أمر الإنسان برفع الحدث، والحدث أصغر وهو ما يرفعه الوضوء، وأكبر وهو ما لا يرفعه إلا الغسل، ولكل نواقض. وقد قال صلى الله عليه وسلم : (**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**) وقد الله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)** سورة المائدة الآية (6) .

2/ ومن إقامتها المحافظة على ركوعها وسجودها بمعنى: أن لا ينقرها نقراً كنقر الغراب الدم، وأن يسوي ظهره في الركوع، فلا يرفعه ولا يخفضه، وأن يعتدل بدون كسل ولا ملل، وألا يقعي كإقعاء الكلب، ولا يسجد على ذراعيه، ولكن على كفيه، وأن يضع جبهته على الأرض، ولا ينقرها نقراً، وأن لا يكثر من الحركات، أما الالتفات لغير حاجة ماسة فهو يبطلها.

3/ ومن إقامتها المحافظة على خشوعها: والخشوع هو لب الصلاة، وهو المقصود منها، ولهذا نبه النبي- صلى الله عليه وسلم- على هذا الأمر، وأكثر من التركيز عليه فقال: (**إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها، خمسها، ربعها ، ثلثها ، نصفها**) رواه أحمد وحسّنه الألباني .

يا ترى لماذا حرم هذا الثواب؟!! إنه التفاوت في الخشوع والتفكر والخضوع.. وإذا كان الخشوع هو لب الصلاة وأهمها، فحري بنا أن نذكر بعض معاني الخشوع في الصلاة:

فمنه: طول القنوت والقيام، فكلما أطال الإنسان القيام في الصلاة ، دل ذلك على خشوعه فيها، وإذا رأيته ينقرها نقراً، فهو دليل على أنه يريد أن يخرج منها بأسرع وقت، إما لانشغاله بغيرها، أو لكونه لا يصليها إلا عادة، أو خوفاً من أحد، أو مجاملة لغيره. ولهذا فقد سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي الصلاة أفضل؟ فقال: (**طول القنوت**). رواه مسلم وغيره، وفي رواية (**طول القيام**) رواه أحمد وهو حديث حسن.

ومن الخشوع : التفكر في معاني الآيات، وماذا يراد منها، والتفاعل معها، والبكاء من خشية الله، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بآية فيها تخويف أو تعظيم لله إلا كررها. رواه مسلم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: **(لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وإذا مر بآية فيها تسبيح**

لله سبح). فهذا هو الخشوع والتفكر.. وكان- النبي صلى الله عليه وسلم- إذا قام إلى الصلاة يسمع في صدره كأزيز المرجل – أي كالماء عندما يغلي أو نحوه-... فسبحان الله!! **هذارسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم الصلاة بخشوعها وأركانها**، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالنا نحن لا نرعوي، ولا نتزجر؟؟ يأتي الواحد منا إلى الصلاة وقلبه مشغول هنا وهناك، لا يدري متى ابتدأ فيها، ولا يعلم إلا وقد انتهى... يا أمة محمد! والله ما ضاعت الأمة في آخر أزمانها إلا لما قطعت الصلة الوثقى مع الله ؟ ولهذا يقول الله عن أهم شيء في الصلاة : (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**) سورة المؤمنون(1-2) .فذكر الخشوع بالذات لأهميته وكونه هو المقصود. وسيأتي الكلام عن الخشوع مطولاً في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

4/ ومن إقامة الصلاة: الإكثار من ذكر الله تعالى فيها فيملأها بالذكر وطول القراءة وهذا يقتضي أن يمد في وقتها فلا يسرع في القراءة ولا في ركوعها وسجودها ولا في شئ من أركانها ، وإلا كان هذا نقص كبير يبعده عن صلاة الخاشعين ويقربه من صلاة المنافقين ، قال تعالى :(**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**) النساء (142) أي ولا يذكرون الله فى صلاتهم إلا ذكرا قليلا أو وقتا قليلا؛ لأنهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون، بل هم فى صلاتهم ساهون لاهون .

5/ ومن إقامة الصلاة : المحافظة عليها في أوقاتها مع جماعة المسلمين - بالنسبة للرجال - كما قال الله تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)سورة النساء (103) وقال تعالى :{**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ**} سورة البقرة (238) .

6/ ومن المحافظة عليها وإقامتها : ترك الشواغل إذا نودي للصلاة، قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) سورة الجمعة (9) .ومما عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يكون مع أهله، فإذا نودي للصلاة أي صلاة كانت قام كأن لم يعرف أحداً.

7/ ومن إقامة الصلاة : استحضار أن الصلاة أجلّ مقامات العابدين، وفيها أهم مطالب السائلين من رب العالمين، لما تشتمل عليه من أعظم مقامات العبودية: من إجلال الله وتعظيمه.. وحمده وتمجيده.. وتسبيحه وتقديسه.. وسؤاله واستغفاره.. والتضرع إليه.. والانكسار بين يديه. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: (قال اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قال العَبْدُ: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** قالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قال: **(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** قال اللهُ تَعَالَى: **أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي.** وَإِذَا قال: **(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)**... قال: **مَجَّدَنِي عَبْدِي.** (وَقَالَ مَرَّةً: **فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي**) فَإِذَا قال: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** قال: **هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.** فَإِذَا قال: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)** قال: **هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**). أخرجه مسلم.

بهذا تكون الإقامة الحقيقية، وبهذا يكون المفهوم الحق لإقامة الصلاة.. فليس المراد منا فقط أن نقوم ونركع ونسجد، وقلوبنا ذاهبة كل مذهب، ونحن معرضون عن الرب، ثم نسلم وكأننا ما دخلناها... فإلى الله المشتكى، وإليه نرغب في كل أحوالنا وأمورنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الثاني

حكم الخشوع في الصلاة ودرجات المصلين فيه

أولاً : حكم الخشوع في الصلاة :

قال الغزالي رحمه الله تعالى - باختصار من الإحياء - : اعلم أن أدلة ذلك - يعني وجوب الخشوع في الصلاة - كثيرة فمن ذلك قوله تعالى :**(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)** طه (14) وظاهر الأمر الوجوب، والغفلة تضاد الذكر **فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره ؟**

وقوله تعالى : **(وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ)** الأعراف (205) نهي وظاهره التحريم وقوله عز وجل **(حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)** النساء (43) تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا .. وقال صلى الله عليه وسلم (**ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها**) والتحقيق فيه أن المصلي مناج ربه عز وجل" كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة .

ولا شك أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء، والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به! هذا حكم القراءة والذكر. وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل.

فإن قلت: إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير؟ فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم: أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح؛ وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان؛ فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع.

فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال: من لم يخشع فسدت صلاته ، وروي عن الحسن أنه قال: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع . وعن معاذ بن جبل: من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا صلاة له. وروي أيضاً مسنداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(إن العبد لصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها)** - سبق تخريجه - وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهباً فكيف لا يتمسك به ؟

وقال عبد الواحد بن زيد: **أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، فجعله إجماعاً، وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى.**

والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار، والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق. فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما يطلق عليه

الاسم ولو في اللحظة الواحدة، وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك.

قال الشيخ محمد صالح المنجد : الراجح في حكم الخشوع أنه واجب. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: قال الله تعالى: **{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}** [البقرة:45]، **وهذا يقتضي ذمّ غير الخاشعين. والذمّ لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرّم وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دلّ ذلك على وجوب الخشوع.**

ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضا قوله تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)** إلى قوله سبحانه **(أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** [المؤمنون:1-11]، أخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم.

وإذا كان الخشوع في الصلاة واجبًا وهو المتضمن للسكون والخشوع - هكذا في الأصل ولعلها الخضوع - فمن نَقَر نَقْر الغراب لم يخشع في سجوده، وكذلك من لم يرفع رأسه في الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن لأن السكون هو الطمأنينة بعينها، فمن لم يطمئن لم يسكن، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده، ومن لم يخشع كان آثمًا عاصياً. ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة أن النبي صلى الله عليه

وسلم توعد تاركيه، كالذي يرفع بصره إلى السماء[6] فإنه حركته ورفعه وهو ضد حال الخاشع [7]

وفي فضل الخشوع ووعيد من تركه : يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن ضوءهن وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذّبه)** [8]

وقال عليه الصلاة والسلام في فضل الخشوع أيضا: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين يُقبل عليهما بقلبه ووجهه - وفي رواية: لا يحدّث فيهما نفسه- غفر له ما تقدّم من ذنبه) وفي رواية **(إلا وجبت له الجنة)** رواه البخاري والنسائي.

ثانياً : درجات الخشوع في الصلاة [9]: الخشوع الكامل في الصلاة: في القراءة فيها، والأدعية، والأذكار يكون على ثلاث درجات على النحو الآتي:

الدرجة الأولى: قراءتها والتلفظ بها مع استحضار معانيها، وهذه الدرجة أدنى ما يُجزِئ من الخشوع الكامل، فقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بكى وهو يصلِّي

6/ يشير إلى قوله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ : لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ) .رواه البخاري .

7/ مجموع الفتاوى - (22/553-558).

8/ رواه أبو داود رقم 425 وهو في صحيح الجامع 3242).

9/ مختصر من كتاب الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة – تأليف سعيد بن علي بن وهف القحطاني – (1/128-133)– نسخة إلكترونية – المكتبة الشاملة .

صلاة الليل، فقال بلال - رضي الله عنه -: يا رسول الله لِمَ تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **(أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت علي الليلة آية، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)** سورة آل عمران: الآية، 190.[10]

قال عبد الرحمن بن سليمان: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلّق المتعلّق وينجيه من هذا الويل؟ فأطرق هُنية، ثم قال: (**يقرؤهنّ وهو يعقلهنّ**) [11] وذلك أن من لم يعقل ما يقول، وسها بتفكيره عن معنى ما يقوله، فقد خرج من الخشوع إلى الغفلة، ومما يدلّ على ذلك حديث عثمان - رضي الله عنه -: أنه توضأ وضوءاً كاملاً ثم قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - توضأ نحو وضوئي هذا، وقال: **(من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلّى ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه)** متفق عليه .

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه -: أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (**ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلِّي ركعتين مقبلٌ عليهما بقلبه**

10/ رواه ابن حبان في صحيحه، برقم 620، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 68: (وهذا إسناد جيد)

11/ أخرجه ابن أبي الدنيا في التفكر كما ذكر السيوطي في الدر المنثور، 2/ 409، والمناوي في الفتح السماي، 1/ 205 دون إشارة إلى كتاب ابن أبي الدنيا، وعزاها الكتاني إلى ابن أبي الدنيا في التفكر، نظم المتناثر، ص 244، وانظر: كيف تخشع في الصلاة، لمجدي أبو عريش، ص 19.

ووجهه، إلا وجبت له الجنة) رواه مسلم. ويُؤكِّد ذلك قول ابن عباس رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (**ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها**) [12]

الدرجة الثانية : أن يقرأها وهو يعقلها، ومتأثراً بمعانيها حال قراءتها، وهذه الدرجة تزيد عمّا قبلها بوجود التأثّر من تلك المعاني، حتى يُعرف خشوعه من صوته، ويتأثَّر به من سَمِعَه، ويحسب أنه يخشى الله فيها، فيرغب في آيات الوعد، ويرهب من آيات الوعيد.

الدرجة الثالثة : أن يقرأها مُتأثِّراً غاية التأثر بحقائقها تلك، وهذه الدرجة تزيد عمّا قبلها ببلوغ التأثُّر غايته، وشهود حقائق المعاني بالقلب، حتى كأنَّها رأي عين ،ويشعر صاحب هذه الدرجة من الخشوع بتقصير، وتفريط، فيسأل الله تعالى من فضله راغباً، ويستعيذ من عذابه راهباً، يدفعه إلى ذلك تأثّره؛ ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الليل: (**إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ**) رواه مسلم .

ومِن أصحاب هذه الدرجة من قال الله عنهم: **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}** سورة المؤمنون، الآية: 60.، قالت عائشة: يا رسول، أهو الذي

12/ ذكر المناوي في التيسير شرح الجامع الصغير، 1/ 793، أن حديث: ((ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل)) أن الحكيم الترمذي أخرجه في نوادر الأصول، وإسناده ضعيف، وقال العراقي في تخريج إحياء علوم الدين، 1/ 309 أنه لم يجده مرفوعاً، وذكر الألباني في السلسلة الضعيفة، 14/ 1206، برقم 6941 أن الحديث لا أصل له مرفوعاً، وأنه صح موقوفاً عن بعض السلف، وأن هذا الصحيح الموقوف أخرجه أبو نعيم في الحلية، 7/ 61 من كلام سفيان الثوري. وأما أثر ابن عباس فهو في مدارج السالكين، 1/ 525، وعدة من كتب الإمامين ابن القيم، وابن تيمية رحمهما الله.

يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: **(لا يا بنت الصديق ، ولكنه الرجل يصوم، ويتصدّق، ويُصلّي، وهو يخاف أن لا يُتقبَّل منه)**.[13]

لفتة هامة : قال أحد المهتمين: الخشوع هو حالة من الخضوع والانكسار لله، والذل له سبحانه وتعالى، وهي مرحلة عالية، أما عن كيفية تحقيق الخشوع فأظن أنه هبة من الله لمن أقام الصلاة، بمعنى أنك إذا حافظت على إقامة الصلاة ستحقق الخشوع وستشعر به؛ لأنك مهما حاولت أن تركز سيكون هناك انشغال وانقطاع فقط إذا أقمت الصلاة كما أراد الله، ساعتها ستحقق الخشوع.

ثالثاً : الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق : إذا ظهرت آثار الخشوع على الجوارح، ولم يكن في القلب شيء منه، فهذا خشوع النفاق؛ ولهذا قال حذيفة - رضي الله عنه -: (**إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع**)[14].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (**وقال بعض العارفين: حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، ورأى بعضهم رجلاً خاشع المنكبين والبدن، فقال: يا فلان، الخشوع ها هنا - وأشار إلى صدره- لا ها هنا- وأشار إلى منكبيه**)[15] ورأى عمر بن الخطاب -

13/ رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوقي في العمل، برقم 4198، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، بابٌ ومن سورة المؤمنون، برقم 3175، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، 2/ 409، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 162.

14/ ذكره ابن القيم في مدارج السالكين، 1/ 521، وابن رجب في كتاب الخشوع في الصلاة، ص 13، وأخرجه الديلمي، في مسند الفردوس، 2/ 204، برقم 3007، وابن عدي، في الكامل في الضعفاء، 3/ 455، ترجمة رقم871.

15/ ذكره ابن القيم في: مدارج السالكين، 1/ 521، والأثر في حلية الأولياء، 10/ 230، واعتبره صاحب كتاب تكميل النفع، ص 123غير صحيح نسبته لعمر - رضي الله عنه -.

رضي الله عنه - رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة فقال: **(يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب)** [16]

ورأت عائشة رضي الله عنها شباباً يمشون ويتماوتون في مشيتهم، فقالت لأصحابها: من هؤلاء؟ قالوا نُسَّاك (أي عُبَّاد)، فقالت: (**كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطعم أشبع، وكان هو الناسك حقّاً**)[17].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (**والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق، أن خشوع الإيمان: هو خشوع القلب لله بالتعظيم**، والإجلال، والوقار، والمهابة، والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل، والخجل، والحب، والحياء،**وشهود نعم الله وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة،فيتبعه خشوع الجوارح.**

وأما خشوع النفاق، فيبدو على الجوارح تصنُّعاً وتكلُّفاً، والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشعاً، والقلب غير خاشع، فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر، وأشرق فيه نور العظمة، فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي خُشِيَ به، وخمدت الجوارح، وتوقّر القلب، واطمأنّ إلى لله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه، فصار مُخبِتاً له، والمخبت [18] المطمئنّ، فإن الخبت من الأرض ما اطمأنّ فاستنقع فيه الماء. فكذلك القلب المخبت

16/ مدارج السالكين، 1/ 521، وأورده الغزالي في إحياء علوم الدين، 5/ 41.

17/ مدارج السالكين، 1/ 521، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، 2/ 916: ((وَكَأَنَّهُ أخذه من الْفَائِق))، وقال العجلوني في كشف الخفاء، 1/ 452: ((وهو في النهاية والفائق وغيرهما)).

18/ مفردات غريب القرآن للراغب، ص 141.

قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء فيستقر فيها، **وعلامته أن يسجد بين يدي ربه - إجلالاً، وذُلاً، وانكساراً بين يديه - سجدة، لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه ... فهذا خشوع الإيمان. وأما التماوت، وخشوع النفاق، فهو حالُ عبدٍ تكلَّف إسكان الجوارح تَصنُّعاً، ومراعاة، ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات، وإرادات، فهو يتخشع في الظاهر، وحية الوادي، وأسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة)**[19].

وأختم بما ورد في مناقب حاتم الأصم فيما يتعلق بالصلاة :

رأَى رَجُلٌ حَاتم الأصم واقفًا يَعِظُ النَّاسَ فقال: يا حاتَمُ أرَاكَ تَعظُ الناسَ أَفَتُحْسِنُ أَنْ تُصَلي؟ قَالَ: نعم. قال: كيف تُصَلي؟ قال: أقومُ بالأمرِ وأمْشِي بالسَّكِينَة وأدْخُل بالْهِيبَة وأُكَبِّرُ بالْعَظَمَةِ وأقرأ بالترتيل واجْلِسُ للتشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسَلِمُهَا إلى ربي وأحْفَظُها أيامَ حَياتي وأرْجِعُ باللَّومِ على نفسِي وأخَافُ أن لا تُقْبَلَ منِّي وأرجُو أن تُقْبَلَ منِّي وَأَنَا بَيْنَ الرَّجَا والْخَوف وأشكر مَن عَلَّمَني وَأَعَلِّمُ مَن سَألنِي وأحمدُ رَبي إذ هَدَاني.

وسُئل رحمه الله تعالى كيف تخشع في صلاتك؟ "فقال: **أقوم وأكبّر للصلاة وأتخيل الكعبة أمام عينيّ والصراط تحت قدميّ والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأمل صلاتي وأظنّها آخر صلاة فأكبر الله بتعظيم وأقرأ بتدبّر وأركع بخضوع وأسجد بخشوع وأجعل صلاتي الخوف من الله والرجاء لرحمته ثم أسلّم ولا أدري هل قُبلت أم لا .**

19/ الروح لابن القيم، تحقيق د. بسام علي سلامة العموش، الطبعة الأولى 1406هـ، نشر دار ابن تيمية، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2/ 694 - 695.

الفصل الثاني

هل الصلاة قرة عين لك ؟

المبحث الأول : جواب ابن القيم رحمه الله تعالى .

المبحث الثاني : جواب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى .

المبحث الأول

جواب ابن القيم رحمه الله تعالى

قبل ذكر جوابه رحمه الله تعالى عن سؤالي : **هل الصلاة قرة عين لك ؟** أقول :لا تكون الصلاة قرة عين للمصلي إلا إذا أكمل أركانها الظاهرة وأتم خشوعها في باطنه وكانت هي محلا لاهتمامه وسبباً في راحته واطمئنانه ، ومن هنا أحببت أن أنقل في هذا الفصل تذوق جهبذين من جهابذة العلماء اللذين جمعا بين العلم والعمل والتربية وهما اللذين سيصحباننا في رحلتنا في هذا الكتاب المبارك إلى نهايته ألا وهما : الغزالي وابن القيم رحمهما الله تعالى :

أما الإجابة على السؤال المطروح : فيقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :"وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نعيم يشبه نعيم أهل الْجنَّة إِلَّا هَذَا وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (**حبب إِلَيّ من دنياكم النِّسَاء وَالطّيب وَجعلت قُرَّة عَيْني فِي الصَّلَاة**)[20] . فَأخْبر أَنه حبب إِلَيْهِ من الدُّنْيَا شَيْئَانِ النِّسَاء وَالطّيب ثمَّ قَالَ (**وَجعلت قُرَّة عَيْني فِي الصَّلَاة**).

وقرة الْعين فَوق الْمحبَّة فَإِنَّهُ لَيْسَ كل مَحْبُوب تقر بِهِ الْعين وَإِنَّمَا تقر الْعين بِأَعْلَى المحبوبات الَّذِي يُحب لذاته وَلَيْسَ ذَلِك إِلَّا الله الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ وكل مَا سواهُ فَإِنَّمَا يحب تبعا لمحبته فيُحب لأَجله وَلَا يُحب مَعَه فَإِن الْحبّ مَعَه شرك وَالْحب لأَجله تَوْحِيد"

20/ حبب إلي من دنياكم : النساء و الطيب ، و جعلت قرة عيني في الصلاة أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (5435) وأما زيادة كلمة (ثلاث) فلا تصح، لأن الصلاة ليست من أمور الدنيا، بل النساء والطيب هما فقط من أمور الدنيا في الحديث .

وَالْمَقْصُود أَن مَا تقر بِهِ الْعين أعلَى من مُجَرّد مَا يُحِبهُ فَالصَّلَاة قُرَّة عُيُون المحبين فِي هَذِه الدُّنْيَا لما فِيهَا مِن مُنَاجَاة مَن لَا تقر الْعُيُون وَلَا تطمئِن الْقُلُوب وَلَا تسكن النُّفُوس إِلَّا إِلَيْهِ والتنعم بِذكرِهِ والتذلل والخضوع لَهُ والقرب مِنْهُ وَلَا سِيمَا فِي حَال السُّجُود وَتلك الْحَال أقرب مَا يكون العَبْد من ربه فِيهَا وَمن هَذَا قَول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم:**(يَا بِلَال أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ)**. فَأعلَمَ بذلك أَن رَاحَته صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي الصَّلَاة كَمَا أخبر أَن قُرَّة عينه فِيهَا فَأَيْنَ هَذَا من قَول الْقَائِل نصلي ونستريح من الصَّلَاة.

فالمحب رَاحَته وقرة عينه فِي الصَّلَاة والغافل المعرض لَيْسَ لَهُ نصيب من ذَلِك بل الصَّلَاة كَبِيرَة شاقة عَلَيْهِ إِذا قَامَ فِيهَا كَأَنَّهُ على الْجَمْر حَتَّى يتَخَلَّص مِنْهَا وَأحبُّ الصَّلَاة إِلَيْهِ أعجلها وأسرعها فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُرَّة عين فِيهَا وَلَا لِقَلْبِهِ رَاحَة بهَا وَالْعَبْد إِذا قرت عينه بِشَيْء واستراح قلبه بِهِ فأشق مَا عَلَيْهِ مُفَارقَته والمتكلف الفارغ الْقلب من الله وَالدَّار الْآخِرَة الْمُبْتَلى بمحبة الدُّنْيَا أشق مَا عَلَيْهِ الصَّلَاة وأكره مَا إِلَيْهِ طولهَا مَعَ تفرغه وَصِحَّته وَعدم اشْتِغَاله.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَن يُعلم أَن الصَّلَاة الَّتِي تقر بهَا الْعين ويستريح بهَا الْقلب هِيَ الَّتِي تجمع سِتَّة مشَاهد:

المشهد الأول: الْإِخْلَاص : وَهُوَ أَن يكون الْحَامِل عَلَيْهَا والداعي إِلَيْهَا رَغْبَة العَبْد فِي الله ومحبته لَهُ وَطلب مرضاته والقرب مِنْهُ والتودد إِلَيْهِ وامتثال أمره بِحَيْثُ لَا يكون الْبَاعِث لَهُ عَلَيْهَا حظا من حظوظ الدُّنْيَا أَلْبَتَّة بل يَأْتِي بهَا ابْتِغَاء وَجه ربه الْأَعْلَى محبَّة لَهُ وخوفا من عَذَابه ورجاء لمغفرته وثوابه.

المشهد الثَّانِي : مشْهد الصدْق والنصح : وَهُوَ أَن يفرغ قلبه لله فِيهَا ويستفرغ جهده فِي إقباله فِيهَا على الله وَجمع قلبه عَلَيْهَا وإيقاعها على أحسن الْوُجُوه وأكملها ظَاهرا وَبَاطنا فَإِن الصَّلَاة لَهَا ظَاهر وباطن فظاهرها الْأَفْعَال الْمُشَاهدَة والأقوال المسموعة وباطنها الْخُشُوع والمراقبة وتفريغ الْقلب لله والإقبال بكليته على الله فِيهَا بِحَيْثُ لَا يلْتَفت قلبه عَنهُ إِلَى غَيره فَهَذَا بِمَنْزِلَة الرّوح لَهَا وَالْأَفْعَال بِمَنْزِلَة الْبدن فَإِذا خلت من الرّوح كَانَت كبدن لَا روح فِيهِ أَفلا يستحي العَبْد أَن يواجه سَيّده بِمثل ذَلِك وَلِهَذَا تُلَفُّ كَمَا يُلف الثَّوْب الْخلق وَيضْرب بهَا وَجه صَاحبهَا وَتقول ضيعك الله كَمَا ضيعتني.**وَالصَّلَاة الَّتِي كمل ظَاهرهَا وباطنها تصعد وَلها نور وبرهان كنور الشَّمْس حَتَّى تعرض على الله فيرضاها ويقبلها وَتقول حفظك الله كَمَا حفظتني.**

المشهد الثَّالِث : مشْهد الْمُتَابَعَة والاقتداء : وَهُوَ أَن يحرص كل الْحِرْص على الِاقْتِدَاء فِي صلَاته بِالنَّبِيِّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَيُصلي كَمَا كَانَ يُصَلِّي ويعرض عَمَّا أحدث النَّاس فِي الصَّلَاة من الزِّيَادَة وَالنُّقْصَان والأوضاع الَّتِي لم يُنْقل عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم شَيْء مِنْهَا وَلَا عَن أحد من أصحابة وَلَا يقف عِنْد أَقْوَال المرخصين الَّذين يقفون مَعَ أقل مَا يَعْتَقِدُونَ وُجُوبه وَيكون غَيرهم قد نازعهم فِي ذَلِك وَأوجب مَا أسقطوه **وَلَعَلَّ الْأَحَادِيث الثَّابِتَة وَالسّنة النَّبَوِيَّة من جَانِبه وَلَا يلتفتون إِلَى ذَلِك وَيَقُولُونَ نَحن مقلدون لمَذْهَب فلَان وَهَذَا لَا يُخلّص عِنْد الله وَلَا يكون عذرا لمن تخلف عَمَّا علمه من السّنة عِنْده فَإِن الله سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أَمر بِطَاعَة رَسُوله واتباعه وَحده وَلم يَأْمر بِاتِّبَاع غَيره وَإِنَّمَا يطاع غَيره إِذا أَمر بِمَا أَمر بِهِ الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وكل أحد سوى الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فمأخوذ من قَوْله ومتروك.**

وَقد أقسم الله سُبْحَانَهُ بِنَفسِهِ الْكَرِيمَة أَنّا لَا نؤمن حَتَّى نحكم الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِيمَا شجر بَيْننَا وننقاد لحكمه ونسلم تَسْلِيمًا فَلَا ينفعنا تحكيم غَيره والانقياد لَهُ وَلَا ينجينا من عَذَاب الله وَلَا يقبل منا هَذَا الْجَواب إِذا سمعنَا نداءه سُبْحَانَهُ يَوْم الْقِيَامَة:(**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ)** القصص (65) فَإِنَّهُ لَا بُد أَن يسألنا عَن ذَلِك ويطالبنا بِالْجَوَابِ قَالَ تَعَالَى:(**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ)** الأعراف (6) ،وَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم : (**أما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون**) رواه أحمد والبيهقي.

يَعْنِي الْمَسْأَلَة فِي الْقَبْر فَمن انْتَهَت إِلَيْهِ سنة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَتركهَا لقَوْل أحد من النَّاس فسيرد يَوْم الْقِيَامَة وَيعلم.

المشهد الرَّابِع : مشْهد الْإِحْسَان : وَهُوَ مشْهد المراقبة وَهُوَ أَن يعبد الله كَأَنَّهُ يرَاهُ وَهَذَا المشهد إِنَّمَا ينشأ من كَمَال الْإِيمَان بِاللَّه وأسمائه وَصِفَاته حَتَّى كَأَنَّهُ يرى الله سُبْحَانَهُ فَوق سمواته مستويا على عَرْشه يتَكَلَّم بأَمْره وَنَهْيه وَيُدبر أَمر الخليقة فَينزل الْأَمر من عِنْده ويصعد إِلَيْهِ وَتعرض أَعمال الْعباد وأرواحهم عِنْد الموافاة عَلَيْهِ فَيشْهد ذَلِك كُله بِقَلْبِه وَيشْهد أسماءه وَصِفَاته وَيشْهد قيوما حَيا سميعا بَصيرًا عَزِيزًا حكيما آمرا ناهيا يحب وَيبغض ويرضى ويغضب وَيفْعل مَا يَشَاء وَيحكم مَا يُرِيد وَهُوَ فَوق عَرْشه لَا يخفى عَلَيْهِ شَيْء من أَعمال الْعباد وَلَا أَقْوَالهم وَلَا بواطنهم بل يعلم خَائِنَة الْأَعْين وَمَا تخفي الصُّدُور.

ومشهد الْإِحْسَان أصل أَعمال الْقُلُوب كلهَا فَإِنَّهُ يُوجب الْحيَاء والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والتوكل والخضوع لله سُبْحَانَهُ والذل لَهُ وَيقطع الوسواس وَحَدِيث النَّفس وَيجمع الْقلب والهم على الله. فحظ العَبْد من الْقرب من الله على قدر

حَظه من مقَام الْإِحْسَان وبحسبه تَتَفَاوَت الصَّلَاة حَتَّى يكون بَين صَلَاة الرجلَيْن من الْفضل كَمَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض وقيامهما وركوعهما وسجودهما وَاحِد.

المشهد الْخَامِس: مشْهد الْمِنَّة: وَهُوَ أَن يشْهد أَن الْمِنَّة لله سُبْحَانَهُ كَونه أَقَامَهُ فِي هَذَا الْمقَام وَأَهَّله لَهُ ووفَّقه لقِيَام قلبه وبدنه فِي خدمته فلولا الله سُبْحَانَهُ لم يكن شَيْء من ذَلِك كَمَا كَانَ الصَّحَابَة يحدون بَين يَدي النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَيَقُولُونَ:

وَالله لَوْلَا الله مَا اهتدينا وَلَا تصدقنا وَلَا صلينَا

قَالَ الله تَعَالَى: **(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** الحجرات (17) ، فَالله سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي جعل الْمُسلم مُسلما وَالْمُصَلي مُصَليا كَمَا قَالَ الْخَلِيل صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: **(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ)** وَقَالَ:**(ربّ اجْعَلنِي مُقيم الصَّلَاة وَمن ذريتي)** فالمنة لله وَحده فِي أَن جعل عَبده قَائِما بِطَاعَتِهِ وَكَانَ هَذَا من أعظم نعمه عَلَيْهِ وَقَالَ تَعَالَى:(**وَمَا بكم من نعْمَة فَمن الله)** وَقَالَ: **(وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)** الحجرات (7) وَهَذَا المشهد من أعظم الْمشَاهد وأنفعها للْعَبد وَكلما كَانَ العَبْد أعظم توحيدا كَانَ حَظه من هَذَا المشهد أتم.

وَفِيه من الْفَوَائِد أَنه يحول بَين الْقلب وَبَين الْعجب بِالْعَمَلِ ورؤيته فَإِنَّهُ إِذا شهد أَن الله سُبْحَانَهُ هُوَ المان بِهِ الْمُوفق لَهُ الْهَادِي إِلَيْهِ شغله شُهُود ذَلِك عَن رُؤْيَته والإعجاب بِهِ وَأَن يصول بِهِ على النَّاس فيرفع من قلبه فَلَا يعجب بِهِ وَمن لِسَانه فَلَا يمن بِهِ وَلَا يتكثر بِهِ وَهَذَا شَأْن الْعَمَل الْمَرْفُوع.

وَمن فَوَائده أَنه يضيف الْحَمد إِلَى وليه ومستحقه فَلَا يشْهد لنَفسِهِ حمدا بل يشهده كُله لله كَمَا يشْهد النِّعْمَة كلهَا مِنْهُ وَالْفضل كُله لَهُ وَالْخَيْر كُله فِي يَدَيْهِ وَهَذَا من تَمام التَّوْحِيد فَلَا يسْتَقرّ قدمه فِي مقَام التَّوْحِيد إِلَّا بِعلم ذَلِك وشهوده فَإِذا علمه ورسخ فِيهِ صَار لَهُ مشهدا وَإِذا صَار لِقَلْبِهِ مشهدا أثمر لَهُ من الْمحبَّة والأنس بِاللَّه والشوق إِلَى لِقَائِه والتنعم بِذكرِهِ وطاعته مَا لَا نِسْبَة بَينه وَبَين أعلَى نعيم الدُّنْيَا أَلْبَتَّة. وَمَا للمرء خير فِي حَيَاته إِذا كَانَ قلبه عَن هَذَا مصدودا وَطَرِيق الْوُصُول إِلَيْهِ عَنهُ مسدودا بل هُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:(ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) الحجر(3).

المشهد السَّادِس: مشْهد التَّقْصِير : وَأَن العَبْد لَو اجْتهد فِي الْقيام بِالْأَمر غَايَة الِاجْتِهَاد وبذل وَسعه فَهُوَ مقصر وَحقّ الله سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أعظم وَالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَن يُقَابَل بِهِ من الطَّاعَة والعبودية والخدمة فَوق ذَلِك بِكَثِير وَأَن عَظمته وجلاله سُبْحَانَهُ يَقْتَضِي من الْعُبُودِيَّة مَا يَلِيق بهَا.

وَإِذا كَانَ خدم الْمُلُوك وعبيدهم يعاملونهم فِي خدمتهم بالإجلال لَهُم والتعظيم والاحترام والتوقير وَالْحيَاء والمهابة والخشية والنصح بِحَيْثُ يفرغون قُلُوبهم وجوارحهم لَهُم فمالك الْمُلُوك وَرب السَّمَوَات وَالْأَرْض أولى أَن يُعَامل بذلك بل بأضعاف ذَلِك وَإِذا شهد العَبْد من نَفسه أَنه لم يوفِّ ربه فِي عبوديته حَقه وَلَا قَرِيبا من حَقه علم تَقْصِيره وَلم يَسعهُ مَعَ ذَلِك غير الاسْتِغْفَار والاعتذار من تَقْصِيره وتفريطه وَعدم الْقيام بِمَا يَنْبَغِي لَهُ من حَقه وَأَنه إِلَى أَن يغْفر لَهُ الْعُبُودِيَّة وَيَعْفُو عَنهُ فِيهَا أحْوج مِنْهُ إِلَى أَن يطْلب مِنْهُ عَلَيْهَا ثَوابًا وَهُوَ لَو وفاها حَقّهَا كَمَا يَنْبَغِي لكَانَتْ مُسْتَحقَّة عَلَيْهِ بِمُقْتَضى الْعُبُودِيَّة فَإِن عمل العَبْد وخدمته لسَيِّده مُسْتَحقّ عَلَيْهِ بِحكم كَونه عَبده ومملوكه فَلَو طلب مِنْهُ الْأُجْرَة على عمله وخدمته لعده النَّاس أَحمَق وأخرق هَذَا وَلَيْسَ هُوَ عَبده وَلَا

مَمْلُوكه على الْحَقِيقَة وَهُوَ عبد الله ومملوكه على الْحَقِيقَة من كل وَجه لله سُبْحَانَهُ فعمله وخدمته مُسْتَحقّ عَلَيْهِ بِحكم كَونه عَبده فَإِذا أثابه عَلَيْهِ كَانَ ذَلِك مُجَرّد فضل ومنة وإحسان إِلَيْهِ لَا يسْتَحقّهُ العَبْد عَلَيْهِ.

وَمن هَهُنَا يُفهم معنى قَول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (لن يدْخل أحد مِنْكُم الْجنَّة بِعَمَلِهِ قَالُوا وَلَا أَنْت يَا رَسُول الله قَالَ وَلَا أَنا إِلَّا أَن يتغمدني الله برحمة مِنْهُ وَفضل) رواه البخاري.

وَقَالَ أنس بن مَالك رَضِي الله عَنهُ:(يُخْرَجُ لِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ دَوَاوِينَ : دِيوَانٌ فِيهِ ذُنُوبُهُ ، وَدِيوَانٌ فِيهِ النِّعَمُ ، وَدِيوَانٌ فِيهِ عَمَلُهُ الصَّالِحُ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَصْغَرَ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ ، فَتَقُومُ ، فَتَسْتَوْعِبُ عَمَلَهُ كُلَّهُ ، ثُمَّ تَقُولُ : أَيْ رَبِّ ! وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ مَا اسْتَوْفَيْتُ ثَمَنِي وَقَدْ بَقِيَتِ الذُّنُوبُ وَالنِّعَمُ , قَالَ : فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعَبْدِهِ خَيْرًا ، قَالَ لِابْنِ آدَمَ : ضَعَّفْتُ حَسَنَاتِكَ ، وَتَجَاوَزْتُ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ، وَوَهَبْتُ لَكَ نِعَمِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ).وَهَذَا ثَابت عَن أنس.

وَهُوَ أدل شَيْء على كَمَال علم الصَّحَابَة برَبهمْ وحقوقه عَلَيْهِم كَمَا أَنهم أعلم الْأمة بِنَبِيِّهِمْ وسنته وَدينه فَإِن فِي هَذَا الْأَثر من الْعلم والمعرفة مَا لَا يُدْرِكهُ إِلَّا أولو البصائر العارفون بِاللَّه وأسمائه وَصِفَاته وَحقه وَمن هُنَا يفهم قَول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي الحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالْإِمَام أَحْمد من حَدِيث زيد بن ثَابت وَحُذَيْفَة وَغَيرهمَا: (إِن الله لَو عذب أهل سمواته وَأهل أرضه لعذبهم وَهُوَ غير ظَالِم لَهُم وَلَو رَحِمهم لكَانَتْ رَحمته خيرا لَهُم من أَعْمَالهم)[21].

21/ كتاب أرسله ابن القيم إلى بعض أخوانه : (ص 59_70).تحقيق الشيخ إياد القيسي. منقول من موقع ملتقى أهل الحديث .

المبحث الثاني

جواب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى

وأما إجابة الغزالي على السؤال المطروح (هل الصلاة قرة عين لك ؟) فيقول : في كتاب الإحياء فصل (في بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة) : اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي:

حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء. فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ، أما التفاصيل :

فالأول: حضور القلب : ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما، ولا يكون الفكر جائلاً في غيرهما، ومهما انصرف في الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب .

ولكن **الثاني : التفهم لمعنى الكلام** وهو أمر زائد وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ؛ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم .وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات.. وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله؟ ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، فإنها تفهم أموراً؛ تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة .

الثالث : التعظيم : وهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظماً له فالتعظيم زائد عليهما .

الرابع : الهيبة : وهي زائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة، والهيبة مصدرها الإجلال.

الخامس : الرجاء : لا شك أنه زائد فكم من معظم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته. والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل.

السادس : الحياء : هو زئد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويُتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب .

وأما أسباب هذه المعاني الستة فاعلم :

1/ أن حضور القلب : سببه الهمة فإن قلبك تابعٌ لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك. ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه. والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً بل جائلاً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا، **فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة،** والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها.

فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك

الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر **فلا تظنن أن له سبباً سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان.**

2/ وأما التفهم : فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر. وعلاج دفع الخواطر الشاغلة يكون بقطع موادها أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها، وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة، لذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر.

3/ وأما التعظيم : فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين:

إحداهما: معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه .

الثانية : معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم، وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه،

4/ وأما الهيبة والخوف : فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به كمخلوق، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع

القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض .**وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة .**

5/ وأما الرجاء : فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة .

6/ وأما الحياء : فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث داخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج . ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين ، وأعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقيناً انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب.

وبقدر اليقين يخشع القلب . ولذلك قالت عائشة صلى الله عليه وسلم : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه) .

وقد روي أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام (**يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق**) .

وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها. وإلى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه. ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة في المسجد وقد اجتمع الناس عليها. وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط مَنْ على يمينه ويساره.

وورد أن جماعة - من العُبَّاد - كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم. وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج، ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه(**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**) الأحقاف) (19).

فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات.

ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: يُحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة، ولقد صدق فإنه يحشر كلٌّ على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه: ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

الفصل الثالث

من مقاصد الصلاة وثمارها

المبحث الأول : بيان طرف من مقاصد الصلاة .

المبحث الثاني : ثمرة الصلاة تحسين الأخلاق .

المطلب الأول : كيف تكون الصلاة سبباً في تحسين أخلاق المصلي.

المطلب الثاني : التدريب العملي لتحسين الأخلاق أثناء إقامة الصلاة .

المبحث الأول

بيان طرف من مقاصد الصلاة

جعل الله عز وجل للعبادات مقاصد وغايات ، وحكما وأسرارا ، والصلاة هي عمود الإسلام وغرة العبادات ومن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، من حافظ عليها حفظه الله ،وكانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ولذا كانت لها **مقاصد جليلة وغايات عظيمة** من ذلك ما يأتي[22] :

1/ من أعظم مقاصد الصلاة : ذِكْرُ الله عز وجل والتقربُ إليه وتجديد العهد به:

المقصود الأعظم للصلاة هو ذكر الله تعالى والتقرب إليه وتجديد العهد به ،قال تعالى : (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**) سورة طه (14).

قال العلامة ابن عاشور في تفسير هذه الآية : وَاللَّامُ فِي لِذِكْرِي لِلتَّعْلِيلِ، أَيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِأَجْلِ أَنْ تَذْكُرَنِي، لِأَنَّ الصَّلَاةَ تُذَكِّرُ الْعَبْدَ بِخَالِقِهِ. إِذْ يَسْتَشْعِرُ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِمُنَاجَاتِهِ. فَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِيمَاءٌ إِلَى حِكْمَةِ مَشْرُوعِيَّةِ الصَّلَاةِ .

وقال تعالى : **(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ)** سورة العنكبوت (45) .لذلك اشتملت الصلاة من أعمال القلوب والألسن والجوارح فرضا وندبا ما لم يشتمل عليه غيرها ؛ كل ذلك ليتفرغ المكلف للإقبال عليها ؛ لأن مقصودها تجديد العهد بالله ؛ ولذلك جعلت لها مواقيت متقاربة ؛ لئلا يبعد عهد العبد بذكر الله.

22/ مقال للدكتور : حماد محمد إبراهيم منصور - موقع شبكة ضياء – بتصرف .

2/ **تعظيم الله عز وجلَّ** : من مقاصد الصلاة تعظيم الله عز وجل وتبجيله ، ولذلك اشتملت الصلاة على أعلى أنواع التعظيم من دعاء وتلاوة وركوع وسجود وتكبير وتحميد وتسبيح.

قلت : وكتابي هذا من أوله إلى آخره لبيان هذا المقصد وتجليته إذ الإسلام قائم على أمرين كبيرين:

أحدهما : تعظيم الله الخالق وأعظم مظهر لتعظيم الخالق هو أداء العبادات كالذكر والصيام، **وأفضل العبادات إقامة الصلاة .**

الثاني : الشفقة على المخلوق ، ويظهر هذا في أداء الزكاة وإخراج الصدقات وإغاثة الملهوف والإحسان إلى الجيران وإكرام الضيفان ونحو هذا ، مما فيه نفع للمخلوقين .

3/ **الخضوع والانقياد لله تعالى**: الصلاة وما تشتمل عليه من أحكام تعبدية مثل الطهارة و القيام والركوع والسجود والأوقات وعدد الركعات ، تُعلِّم المسلم الخضوع والانقياد لأمر الله تعالى سواء عَلِم الحكمة من الأمر أم لم يعلمها.

4/ **تزكية النفس : التزكية** هي التطهير والزيادة والنماء في الخير .فالنفس تطهر وتنمو وتكبر بالطاعات وفعل الخيرات ، وتدنس وتصغر وتحقر بالذنوب والمعاصي والتهالك على الشهوات والملذات .

والدليل على ذلك قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** [الجمعة 2]

وقوله تعالى **(خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** سورة التوبة(103)والصلاة من أعظم العبادات التي تطهر النفس وتزكيها،وتجعل للمسلم روحا زكية ونفسا مطمئنة.

5/ النهي عن الفحشاء والمنكر وتهذيب الأخلاق: الصلاح النفساني و النهي عن الفحشاء والمنكر وتهذيب الأخلاق مقصد من مقاصد الصلاة وثمرة من ثمراتها . سيأتي مزيد بيان في آخر الفصل إن شاء الله تعالى .

6/ الصلاة غذاء للروح: خلق الله الإنسان من جسد و روح وجعل لكل منها غذاء ، ولما كان الجسد أصله من الأرض جعل الله غذاءه ما يخرج من الأرض ، ولما كانت الروح من أمر الله ،قال تعالى:(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سورة الحجر(29)جعل غذاءها في ذكره سبحانه والاتصال به. وأعظم العبادات التي تحتوي على ذكر لله تعالى هي الصلاة ، فهي صلة بين العبد وربه ، وقد قال تعالى : (وأقم الصلاة لذكري)[طه4] وقال تعالى : **(كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب)** سورة اقرأ (19) وقال صلى الله عليه وسلم : (إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء).

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " فاعلم أنه لا ريب أن الصلاة قرة عُيون المحبين ، ولذة أرواح الموحدين ، وبستان العابدين و لذة نفوس الخاشعين ، ومحك أحوال الصادقين ، وميزان أحوال السالكين ، وهي رحمةُ الله المهداة إلى عباده المؤمنين، ولما امتحن الله سبحانه عبده بالشهوة وأشباهها من داخل فيه و خارج عنه ، اقتضت تمام رحمته به وإحسانه إليه أن هيأ له مأدبة قد جمعت من جميع الألوان والتحف والخلع و العطايا ، و دعاه إليها كل يوم خمس مرَّات ، وجعل في كل لون من ألوان

تلك المأدبة ، لذة و منفعة و مصلحة ووقارا لهذا العبد .. فيصدر المدعو من هذه المأدبة و قد أشبعه و أرواه ، وخلع عليه بخلع القبول ، و أغناه ، وذلك أن قلبه كان قبل أن يأتي هذه المأدبة ،قد ناله من الجوع و القحط والجذب والظمأ والعري والسقم ما ناله ، فيصدر - أي يرجع - من عنده و قد أغناه و أعطاه من الطعام والشراب واللباس و التحف ما يغنيه).

7/ الصلاة جلاء للهموم والأحزان : من ثمرات الصلاة أنها تجلي الهموم وتذهب الأحزان ، **يقول العلامة ابن عاشور :** (عَلَى أَنَّ فِي الصَّلَاة سرا إِلهيًّا لَعَلَّه ناشىء عَنْ تَجَلِّي الرِّضْوَانِ الرَّبَّانِيِّ عَلَى الْمُصَلِّي فَلِذَلِكَ نَجِدُ لِلصَّلَاةِ سِرًّا عَظِيمًا فِي تَجْلِيَةِ الْأَحْزَانِ وَكَشْفِ غَمِّ النَّفْس) .

ويقول الإمام ابن رشد : (فالعبادات هي أدوية لأمراض القلوب ،وإن الله تعالى أنزلها رحمة للعباد وصقالا لمرآة قلوبهم ؛ليتوصلوا بذلك إلى محل أنسه ، وسكنهم في حظيرة قدسه) .

ولذلك أمرنا الله بالاستعانة بها في الشدائد، فقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** سورة البقرة(153) وفي هذا يروي الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال : " دخلت مع أبي بكر على صهر لنا من الأنصار ، فحضرت الصلاة ، فقال : يا جارية ائتيني بوضوء لعلي أصلي فأستريح ،فرآنا أنكرنا ذلك عليه فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قم يا بلال فأرحنا بالصلاة) .

وروى أيضا بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر– أي نزل به– صلى)ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : (وجعلت قرة عيني في الصلاة).

وأختم هذا المبحث بمزيد بيان لأعظم مقاصد الصلاة ألا وهو أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر : وذلك من خلال ذكر سؤال طرحه بعضهم على لجنة الفتوى في الشبكة الإسلامية فقال : **أود أن أسأل عن تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) وما المقصود بالفحشاء و المنكر ؟ و هل صحيح أن الفحشاء هو الزنا و المنكر هو الخمر ؟**

الإجابة :

أولا : يقول الله عز وجل : (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) العنكبوت(45) .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسْعُود رضِي اللهُ عَنْه قَالَ : لاَ تَنْفَعُ الصَّلاَةُ إِلاَّ مَنْ أَطَاعَهَا ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ : (**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**) رواه ابن أبي شيبة (13 / 298) بسند حسن.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" نَفْسُ فِعْلِ الطَّاعَاتِ يَتَضَمَّنُ تَرْكَ الْمَعَاصِي ، وَنَفْسُ تَرْكِ الْمَعَاصِي يَتَضَمَّنُ فِعْلَ الطَّاعَاتِ وَلِهَذَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، فَالصَّلَاةُ تَضَمَّنَتْ شَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا نَهْيُهَا عَنْ الذُّنُوبِ . والثَّانِي تَضَمُّنُهَا ذِكْرِ اللَّهِ " انتهى .[23]

23/ مجموع الفتاوى" (10 / 753)

قال ابن عاشور رحمه الله :" الصلاة تشتمل على مذكرات بالله من أقوال وأفعال من شأنها أن تكون للمصلي كالواعظ المذكر بالله تعالى ؛ إذ ينهى سامعه عن ارتكاب ما لا يرضي الله . وهذا كما يقال : صديقك مرآة ترى فيها عيوبك .

ففي الصلاة من الأقوال تكبير لله وتحميده وتسبيحه والتوجه إليه بالدعاء والاستغفار ، وقراءة فاتحة الكتاب المشتملة على التحميد والثناء على الله والاعتراف بالعبودية له وطلب الإعانة والهداية منه واجتناب ما يغضبه وما هو ضلال ، وكلها تذكر بالتعرض إلى مرضاة الله ، والإقلاع عن عصيانه وما يفضي إلى غضبه ، فذلك صد عن الفحشاء والمنكر.

وفي الصلاة أفعال هي خضوع وتذلل لله تعالى من قيام وركوع وسجود ، وذلك يذكر بلزوم اجتلاب مرضاته ، والتباعد عن سخطه . وكل ذلك مما يصد عن الفحشاء والمنكر.

وفي الصلاة أعمال قلبية من نية واستعداد للوقوف بين يدي الله ، وذلك يذكر بأن المعبود جدير بأن تمتثل أوامره ، وتجتنب نواهيه.

فكانت الصلاة بمجموعها كالواعظ الناهي عن الفحشاء والمنكر ، فإن الله قال (تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ولم يقل تصد وتحول ونحو ذلك مما يقتضي صرف المصلي عن الفحشاء والمنكر.

ثم الناس في الانتهاء متفاوتون ، وهذا المعنى من النهي عن الفحشاء والمنكر هو من حكمة جعل الصلوات موزعة على أوقات من النهار والليل ، ليتجدد التذكير وتتعاقب المواعظ . وبمقدار تكرر ذلك تزداد خواطر التقوى في النفوس ، وتتباعد

النفس من العصيان حتى تصير التقوى ملكة لها ،ووراء ذلك خاصية إلهية جعلها الله في الصلاة ، يكون بها تيسير الانتهاء عن الفحشاء والمنكر.

روى أحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق ، فقال : (**سينهاه ما تقول**) أي صلاته بالليل.

واعلم أن التعريف في قوله تعالى (**الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**) تعريف الجنس ، فكلما تذكر المصلي عند صلاته عظمة ربه ووجوب طاعته ، وذكر ما قد يفعله من الفحشاء والمنكر ، كانت صلاته حينئذ قد نهته عن بعض أفراد الفحشاء والمنكر " انتهى .

وقال السعدي رحمه الله :" وجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، أن العبد المقيم لها ، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها ، يستنير قلبه ، ويتطهر فؤاده ، ويزداد إيمانه ، وتقوى رغبته في الخير ، وتقل أو تعدم رغبته في الشر ، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها " انتهى .

ثانيا :المقصود بالفحشاء : كل فحش من القول أو الفعل ، وهو كل ذنب استفحشته الشرائع والفطر ، والمنكر : كل مستقبح غير معروف ولا مرضي .

قال ابن العربي رحمه الله :" قِيلَ : الْفَحْشَاءُ الْمَعَاصِي ، وَهُوَ أَقَلُّ الدَّرَجَاتِ ، فَمَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنْ الْمَعَاصِي وَلَمْ تَتَمَرَّنْ جَوَارِحُهُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، حَتَّى يَأْنَسَ بِالصَّلَاةِ

وَأَفْعَالِهَا أُنْسًا يَبْعُدُ بِهِ عَنْ اقْتِرَافِ الْخَطَايَا ، وَإِلَّا فَهِيَ قَاصِرَةٌ . والْمُنْكَرُ : هُوَ كُلُّ مَا أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ وَغَيْرُهُ، وَنَهَى عَنْهُ " انتهى .[24]

وقال ابن عاشور رحمه الله :" الفحشاء : اسم للفاحشة ، والفحش : تجاوز الحد المقبول . فالمراد من الفاحشة : الفعلة المتجاوزة ما يقبل بين الناس . والمقصود هنا من الفاحشة : تجاوز الحد المأذون فيه شرعا من القول والفعل ، وبالمنكر : ما ينكره ولا يرضى بوقوعه .وكأن الجمع بين الفاحشة والمنكر منظور فيه إلى اختلاف جهة ذمه والنهي عنه "[25]

ثالثا : تفسير من فسر " الفحشاء " بالزنا ، و " المنكر " بالخمر : ليس خارجا عما ذكرناه سابقا ، وإنما هو من باب تفسير اللفظ العام بأحد أفراده ، كما قيل في تفسير " الجبت " بأنه الشيطان ، وقيل : الشرك ، وقيل : الأصنام ، وقيل : الكاهن ، وقيل : الساحر . وقيل غير ذلك .والجبت يشمل ذلك كله .[26]

ولا شك أن الزنا من الفحشاء ، بل هو من أفحش الفواحش . ولا ريب . أيضا . أن الخمر من المنكر ، وهي أم الخبائث ، ومن أنكر المنكر . لكن ليست الفحشاء مقصورة على الزنا ، وليس المنكر مقصورا على شرب الخمر ، كما سبق بيانه . الله تعالى أعلم .

24/ أحكام القرآن" (3 / 439-440) ، وينظر : "تفسير القرطبي" (10 / 167) .

25/ التحرير والتنوير - (20 /179) .

26/ تفسير ابن كثير" (2 / 334) .

المبحث الثاني

ثمرة الصلاة تحسين الأخلاق

المطلب الأول : كيف تكون الصلاة سبباً في تحسين أخلاق المصلي .

المطلب الثاني : التدريب العملي لتحسين الأخلاق أثناء إقامة الصلاة .

المطلب الأول

كيف تكون الصلاة سبباً في تحسين أخلاق المصلي

أفردت لهذا العنوان هذا المبحث لأهميته أولاً ، ولأن غالبية الناس لا يفهمون من مقاصد الصلاة إلا أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر – وهذا صحيح وقد تحدثنا عنه في المبحث السابق - بينما نجد أن الله تعالى قد بين لنا **أن الصلاة هي السبب الرئيس في اكتساب مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وذلك في موضعين من كتاب الله تعالى:**

الأول : قوله تعالى في سورة المؤمنون : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)

ووجه الدلالة - من الآيات - على كون الصلاة تثمر التخلق بمكارم الأخلاق اسم الوصول (**الذين**) المعطوف بالواو على قوله تعالى (**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**)

فصار المعنى أن من خشع في صلاته فهو سوف يتصف بما ورد بعد ذلك من صفات (**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**) ... الخ ، وإن كان المتبادر إلى الذهن أن العطف على قوله تعالى (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**) فتكون هذه صفات للمؤمنين وليس للمصلين ، **أقول نعم هذا محتمل ولكن هل يا ترى من فرط في صلاته يمكن أن يتصف ببقية صفات المؤمنين المذكورة بعد ذلك ... من هنا قلت الصلاة هي التي تثمر مكارم**

الأخلاق ، ويدل صحة ما قلنا ما ورد في الموضع الثاني في سورة المعارج في قوله تعالى :

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) ... الخ فجاءت (الَّذِينَ) دون واو فتبين أن هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات هم المصلون المذكورون في قوله تعالى (إِلَّا الْمُصَلِّينَ) ثم عطف عليها (الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) .. الخ الصفات المذكورة

والآن إليك تفسيراً مختصراً للآيات المشتركة بين سورتي المؤمنون والمعارج:

الآية الأولى: قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} وفيها بشارة بأن من يطبق ما سيأتي في الآيات التالية ويقيمها فهو من المفلحين في الدنيا والآخرة، والفلاح هو النجاة والفوز، فمن يقيم هذه الأمور التالية يصبح من ورثة جنة الفردوس خالدًا فيها.

الآية الثانية: قوله تعالى : {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} لأن الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، فهي الصلة والرابطة بين العبد وربه، لذا كان الخشوع من لوازم الصلاة لأنه ليس للإنسان من صلاته إلا ما يعقل منها.

الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} والإعراض عن اللغو خصلة من خصال الإيمان، واللغو: ما لا فائدة فيه من الأقوال والأعمال. فيدخل فيه اللهو والهزل وكل ما يخل بالمروءة وبآداب الإسلام.أى: أن صفات هؤلاء المؤمنين أنهم ينزهون أنفسهم عن الباطل والساقط من القول أو الفعل، ويعرضون عن ذلك في كل أوقاتهم لأنهم لحسن صلتهم بالله- تعالى- اشتغلوا بعظائم الأمور وجليلها: لا بحقيرها

وسفسافها، وهم كما وصفهم الله- سبحانه- في آية أخرى: (وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) وأيضاً (وإذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً).

وقد ربط بعض العلماء بين الخشوع في الصلاة وبين الإعراض عن اللغو فقال : مَنْ كثر لغوه قل خشوعه لأن اللغو له تأثير في القلب ، والعكس بالعكس أي من قل لغوه زاد خشوعه .

الآية الرابعة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}.. والزكاة فريضة مهمة من فرائض الإسلام، وهي تمثل معنى التكافل الاجتماعي بين الناس، وأداءً لحق الفقراء على الأغنياء .

وفي آداء الزكاة تطهير للأموال مما يكون قد شابها من حرام أو شبهة، وكذلك تطهير للنفس وتزكية لها من أمراضها وأهوائها مثل البخل والشح وغيرهما، يقول تعالى: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}**.

ويرى بعض العلماء: أن المراد بالزكاة هنا: زكاة النفس. أى: تطهيرها من الآثام والمعاصي. فهي كقوله- تعالى-(**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها**) أى: أن من صفات هؤلاء المؤمنين، أنهم يفعلون ما يطهر نفوسهم ويزكيها.

قال ابن كثير رحمه الله: " ويحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادا، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا " .

الآيات الخامسة والسادسة والسابعة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ }

والمراد منها : هي أن يحفظ الإنسان فرجه من أن يراه أو يمسه غير الأزواج والزوجات في أطار علاقة شرعية ترضي الله .. فما من شهوة أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان إلا وجعل لها طريقة مشروعة لتحصيلها فجعل الزواج لحفظ الفروج من الحرام، وحينما أمر الله بغض البصر سمح له أن يطلق بصره فيمن تحل له مثل الزوج لزوجته أو الزوجه لزوجها. والمملوكة ملك اليمين وهي الأمة المسترقاة بطريق شرعي فتحل له .

وحفظ الفروج من أسباب دخول الجنة، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه، أضمن له الجنة."

الآية الثامنة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}.. وتعني أداء الأمانات إلى أهلها إذا ائتمنك أحد عليها، وكذلك الإخلاص في العمل الذي ائتمنت عليه، وكذلك وفاء العهود إذا قطعت وعدًا أو عهدًا لأحد، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده.

الآية التاسعة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}.. وهي أداء الصلوات الخمس في وقتها بشروطها وأركانها، لأنها من أعظم فرائض الإسلام، وهي من أحب الأعمال إلى الله، ويجب أن يترتب على المحافظة على الصلاة كذلك أن تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر.

وقد ورد في الأثر (**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له)** أثر صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.[27]

الآية العاشرة والحادية عشر: قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ "10" الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "11"}..

وهي ثمرة الاتصاف بالصفات المذكورة فيما تقدم من آيات رسمت شخصية المسلم الحق، فكان نتيجة ذلك أن يرث الإنسان جنة الفردوس خالدًا فيها .. وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الفردوس: **(إذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن)**. صححه الألباني في صحيح الترمذي.

وهناك صفتان وردتا في سورة المعارج دون سورة المؤمنون وهما :

الأولى : الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) :

قال القرطبي رحمه الله :الذين هم على صلاتهم دائمون أي على مواقيتها . وقال عقبة بن عامر : هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا . والدائم الساكن ، ومنه : نهي عن البول في الماء الدائم ، أي الساكن . وقال ابن جريج والحسن : هم الذين يكثرون فعل التطوع منها .

27/ رواه عنه الإمام أحمد في الزهد، كما في كشف الخفاء ومزيل الإلباس. ولكن نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم لا تصح. قال الألباني رحمه الله تعالى في سلسلة الضعيفة (باطل) .

الثانية : (وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ)أداء الشهادة :

جاء تفسيرها : وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ أى: والذين هم من صفاتهم أنهم يؤدون الشهادة على وجهها الحق، فلا يشهدون بالزور أو الباطل، ولا يكتمون الشهادة إذا طلب منهم أن يؤدوها، عملا بقوله- تعالى- **وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ.**

فالشهادات: جمع شهادة. والمراد بالقيام بها: أداؤها على أتم وجه وأكمله وأعدله، إذ القيام بها يشمل الاهتمام بشأنها، وحفظها إلى أن يؤديها صاحبها على الوجه الذي يحبه- سبحانه-.

المطلب الثاني

التدريب العملي لتحسين الأخلاق أثناء إقامة الصلاة

قد يقول قائل كيف أوفق بين تلك الصفات التي زعمت أن المصلي بإمكانه أن يكتسبها إذا خشع في صلاته ؟ أقول : قد بين ذلك بعض العلماء بقوله : وإليك جملة من أعمال الصلاة وآثارها في تهذيب النفوس:

أولاً: النية : وهي عزم القلب على امتثال أمر اللّه تعالى بأداء الصلاة كاملة، كما أمر بها اللّه مع الإخلاص له وحده، ومن يفعل ذلك في اليوم والليلة خمس مرات، فلا ريب في أن الإخلاص ينطبع في نفسه، ويصبح صفة من صفاته الفاضلة التي لها أجمل الأثر في حياة الأفراد والجماعات، فلا شيء أنفع في حياة المجتمع الإنساني من الإخلاص في القول والعمل، فلو أن الناس أخلصوا لبعضهم بعضاً في أقوالهم وأعمالهم، لعاشوا عيشة راضية مرضية، وصلحت حالهم في الدنيا والآخرة، وكانوا من الفائزين.

والمقصود أن الإخلاص في الصلاة وهي من أجل الأعمال وأعظمها سينقل المصلي إلى الإخلاص فيما هو دونها وسواء أكان ذلك في تعامله مع الله تعالى أو مع الناس .

ثانياً: القيام : إن القيام بين يدي اللّه تعالى: فالمصلي يقف ببدنه وروحه بين يدي خالقه مطرقاً يناجيه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، يسمع منه ما يقول، ويعلم منه قلبه ما ينوي، ولا ريب في أن من يفعل ذلك مرات كثيرة في اليوم والليلة، فإن قلبه يتأثر بخالقه، فيأتمر بما أمره به، وينتهي عما نهاه عنه، فلا ينتهك للناس حرمة، ولا يعتدي لهم على نفس، ولا يظلمهم في مال، ولا يؤذيهم في دين أو عرض.

ثالثاً: القراءة : ينبغي لمن يقرأ أن لا يحرك لسانه بالقراءة، وقلبه غافل، بل ينبغي له أن يتدبر معنى قراءته ليتعظ بما يقول، فإذا مر على لسانه ذكر الإله الخالق وجل قلبه خوفاً من عظمته وسطوته، كما قال تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** وإذا ذكرت صفات اللّه تعالى من رحمة وإحسان وجب عليه أن يعلم نفسه كيف تتخلق بتلك الصفات الكريمة، فالإنسان مكلف بأن يتخلق بهذه الأخلاق، فإذا ما قرأ في صلاته الآيات التي تشتمل على صفات الإله الكريمة وعقل معناها، وكرّرها في اليوم والليلة مرات كثيرة. فإن نفسه تتأثر بها لا محالة ومتى تأثرت نفسه بجميل الصفات حبب إليه الاتصاف بها، ولذلك أحسن الأثر في تهذيب النفوس والأخلاق .

رابعاً: الركوع والسجود : وهما من أمارات التعظيم لمالك الملوك، خالق السموات والأرض وما بينهما، فالمصلي الذي يركع بين يدي ربه لا يكفيه أن يحنى ظهره بالكيفية المخصوصة، بل لا بد أن يشعر قلبه بأنه عبد ذليل، ينحني أمام عظمة إله عزيز كبير، لا حد لقدرته، ولا نهاية لعظمته فإذا انطبع ذلك المعنى في قلب المصلي مرات كثيرة في اليوم والليلة كان قلبه دائماً خائفاً من ربه فلا يعمل الا ما يرضيه، وكذلك المصلي الذي يسجد لخالقه، فيضع جبهته على الأرض معلناً عبوديته لخالقه. فإنه إذا استشعر قلبه ذل العبودية، وعظمة الرب الخالق فلا بد أن يخافه ويخشاه، وبذلك تهذب نفسه وينتهي عن الفحشاء والمنكر.

قصة بديع الزمان النورسي مع كمال أتاتورك وأهمية الصلاة:

في تاريخ 1923/1/19 وجه الأستاذ (سعيد النورسي) بياناً الى مجلس الأمة التركي ،تضمن عشر مواد بين فيه أهمية الصلاة ، لأنه لاحظ بأسف بالغ أن معظم نواب

مجلس الأمة آنذاك لا يؤدون الصلاة . واستهل الأستاذ النورسي بيانه بـ(**يا أيها المبعوثون .. إنكم لمبعوثون ليوم عظيم**).

ومما قاله الأستاذ النورسي : إن الأمة الإسلامية مع أن قسماً منهم لا يؤدون الصلاة الا أنهم يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين أتقياء حتى لو كانوا هم فسقة ، **بل إن أول ما يبادر أهل الولايات الشرقية مسؤوليهم هو سؤالهم عن صلاتهم** ، فإن كانوا مقيمين لها ، فبها ونعمت ويثقون بهم ، والا فسيظل الموظف المسؤول موضع شك وارتياب رغم كونه مقتدراً في أداء واجباته ".[28]

-ويذكر الأستاذ النورسي حادثة شاهدها بأم عينه ليبين للنواب أهمية إقامة الصلاة ، فيقول : ولقد حدث في حينه اضطرابات في عشائر (بيت الشباب) فذهبت لأستقصي أسبابها ، فقالوا : إن مسؤولنا القائمقام – العمدة - لا يقيم الصلاة ويشرب الخمر ، فكيف نطيع أوامر أمثال هؤلاء المارقين من الدين .. **هذا علماً إن الذين قالوا هذا الكلام هم أنفسهم كانوا لا يؤدون الصلاة بل كانوا قطاع طرق**!) [29]

أثَّر بيان الأستاذ النورسي هذا فيهم ، فأقبل ما يقارب من ستين نائبا من النواب الى أداء الصلاة حتى أن مسجد بناية مجلس الأمة لم يعد كافيا للمصلين فانتقلوا الى غرفة مجاورة أكبر منه،وما إن رأى (مصطفى كمال) رئيس الدولة آنذاك هذا المشهد حتى أمتعض ، ولم يرضَ عن هذا البيان – وهو الذي كرر دعوة الأستاذ النورسي الى أنقرة مراراً لشهرته بعدائه للمحتلين الانكليز ولكون (أنقرة) مركز حركة المقامة - فاستدعى (النورسي) وجرت بينهما مشادة عنيفة ، وكان مما قاله (مصطفى

28/ المثنوي العربي النوري - النورسي - تحقيق احسان قاسم الصالحي- ص 197

29/ المرجع السابق : نفس المكان .

كمال) : لا ريب اننا بحاجة الى أستاذ قدير مثلك ، لقد دعوناك الى هنا للاستفادة من أرائك المهمة ، ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة ، لقد كان أول جهودك هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس فأجابه (النورسي) مشيراً اليه بأصبعه في حدة :باشا .. باشا .. **إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة ، وأن الذي لا يصلي خائن ، وحكم الخائن مردود** .[30]

وأخيراً : الصلاة تحقق الورع لدى المصلي : هذه قصة يحكيها الدكتور محمد راتب النابلسي فيقول : تزوج أحدهم امرأة ثانية فعلمت زوجته الأولى دون أن تتأكد فبحثت وأرسلت مَن يجمع لها الأخبار، فإذا هي تقع على الحقيقة، زوجها تزوج امرأة ثانية، وبعد حين مات الزوج، وفي أثناء توزيع التركة قسمت حصتها بينها وبين ضرتها، وأرسلت هذا المبلغ إلى ضرتها على أنها زوجة ولها نصف الثمن، ما كان من ضرتها إلا أن قالت: والله طلقني قبل أن يموت، وليس لي عنده شيء،

ثم يعلق : حياة الوازع الداخلي شيء لا يصدق، أنت مطمئن مع الناس جميعاً، لا أحد يأكل على الناس أموالهم، لا أحد يكذب، لا أحد يغش، إنه يخاف الله عز وجل، وحينما ينعدم الوازع الداخلي نعيش في غابة، مجتمع الغاب القوي يأكل الضعيف، الأذكى يستغل الأقل ذكاء، الأقوى يتحكم بالأضعف، الغني يتحكم بالفقير، هذا مجتمع الغاب من دون وازع داخلي، بالوازع الداخلي القضية سهلة جداً، الصلاة تحقق الوازع الداخلي قال تعالى: (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ**).

30/ بديع الزمان سعيد النورسي (حياته واثاره) تأليف احسان الصالحي - ص53

الفصل الرابع

الأسباب الجالبة للخشوع بين الغزالي وابن القيم رحمهما الله تعالى

المبحث الأول : الأسباب الجالبة للخشوع عند الغزالي رحمه الله تعالى .

المبحث الثاني : الأسباب الجالبة للخشوع عند ابن القيم رحمه الله تعالى .

المبحث الأول

الأسباب الجالبة للخشوع عند الغزالي رحمه الله تعالى

قال الغزالي رحمه الله تعالى : بيان الدواء النافع في حضور القلب :

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظماً لله عز وجل وخائفاً منه وراجياً له ومستحيياً من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه، وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة. ولا يلهي عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة.

فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه. وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً.

- أما الخارج - يعني الظاهر المقابل للباطن - فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل، ويكون الإبصار سبباً للافتكار، ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض.

- ومَن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لابد وأن يتفرق به فكره. وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلي في بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره.

- ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة. ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم.

- والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم. وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفاً ولا سيفاً إلا نزعه ولا كتاباً إلا محاه.

وأما الأسباب الباطنة : فهي أشد فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره، ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يحدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهو المطلع على سره وجهره ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي شيبة **"إني نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذي في البيت"** رواه أبو داود فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم؛ فهذا طريق تسكين الأفكار.

- **فإن كان لا يسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل** الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب، ولاشك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق.

- فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فإمساكه أضر عليه من إخرجه فيتخلص منه بإخراجه كما روي أنه صلى الله عليه وسلم "لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته، وقال صلى الله

عليه وسلم (**اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي وائتوني بأنبجانية أبي جهم)**. متفق عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم م ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال : (شغلني هذا، نظرة إليه ونظرة إليكم) أخرجه النسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان ان الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق.

- وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدر كم صلى؟ فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفاً.

فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره.

فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب. **فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة**. ومثاله: رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه، فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة، فقيل له: إن هذا أسير السواني - نوع من الأشجار - ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة. فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول في دفعها فإن الذباب كلما ذُبَّ آب ولأجله سعي ذباباً. فكذلك الخواطر، وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها

أصل واحد وهو حب الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد.

- ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة. فإن مَنْ فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته. وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة وردِّ القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة، فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالاً، حتى إن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فإذن لا مطمع فيه لأمثالنا، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً. وعلى الجملة فهمة الدنيا **وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان.**

المبحث الثاني

الأسباب الجالبة للخشوع عند ابن القيم رحمه الله تعالى

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

و سرُّ الصلاة و روحها و لبُّها ، هو إقبال العبد على الله بكليّته فيها ، فكما أنه لا ينبغي أن يصرف وجهه عن القبلة إلى غيرها فيها ، فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربِّه إلى غيره فيها.

بل يجعل الكعبة . التي هي بيت الله . قبلة وجهه و بدنه ، ورب البيت تبارك و تعالى قبلة قلبه وروحه ، وعلى حسب إقبال العبد على الله في صلاته ، يكون إقبال الله عليه، وإذا أعرضَ أعرض الله عنه ، كما تدين تُدان.

وللإقبال على الله في الصلاة ثلاث منازل :

الأول : إقبال العبد على قلبه فيحفظه و يصلحه من أمراض الشهوات و الوساوس ، والخطرات المُبطلة لثواب صلاته أو المنقصة لها.

الثاني : إقباله على الله بمراقبته فيها حتى يعبده كانه يراه.

الثالث : إقباله على معاني كلام الله ، وتفاصيله و عبودية الصلاة ليعطيها حقها من الخشوع والطمأنينة وغير ذلك. فباستكمال هذه المراتب الثلاث يكون قد أقام الصلاة حقاً ، ويكون إقبال الله على المصلي بحسب ذلك.

كيف يكون الإقبال في كل جزء من أجزاء الصلاة :

فإذا انتصب العبد قائماً بين يديه ، فإقباله على قيُّومية الله وعظمته فلا يتفلت يمنة و لا يسرة. وإذا كبَّر الله تعالى كان إقباله على كبريائه و إجلاله و عظمته. وكان إقباله على الله في استفتاحه على تسبيحه والثناء عليه وعلى سُبحات وجهه ، وتنزيهه عمَّا لا يليق به ، ويثني عليه بأوصافه وكماله. فإذا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، كان إقباله على ركنه الشديد ، وسلطانه وانتصاره لعبده ، و منعه له منه و حفظه من عدوه.

وإذا تلى كلامه كان إقباله على معرفته في كلامه كأنه يراه ويشاهده في كلامه كما قال بعض السلف : لقد تجلّي الله لعباده في كلامه.

والناس في ذلك على أقسام و لهم في ذلك مشارب ، و أذواق فمنهم البصير ، و الأعور ، و الأعمى ، و الأصم ، و الأعمش ، و غير ذلك ، في حال التلاوة و الصلاة ، فهو في هذه الحال ينبغي له أن يكون مقبلاً على ذاته و صفاته و أفعاله و أمره و نهيه و أحكامه و أسمائه.

و إذا ركع كان إقباله على عظمة ربه ، وإجلاله و عزه و كبريائه ، ولهذا شرع له في ركوعه أن يقول : " سبحان ربي العظيم. "

فإذا رفع رأسه من الركوع كان إقباله على حمد ربه والثناء عليه وتمجيده و عبوديته له وتفرده بالعطاء و المنع.

فإذا سجد ، كان إقباله على قربه ، و الدنو منه ، و الخضوع له و التذلل له ، و الافتقار إليه والانكسار بين يديه ، و التملق له.

فإذا رفع رأسه من السجود جثى على ركبتيه ، وكان إقباله على غنائه وجوده ، و كرمه و شدة حاجته إليه ، و تضرعه بين يديه و الانكسار ؛ أن يغفر له و يرحمه ، و يعافيه و يهديه و يرزقه.

فإذا جلس في التشهد فله حال آخر ، و إقبال آخر يشبه حال الحاج في طواف الوداع ، واستشعر قلبه الانصراف من بين يدي ربه إلى أشغال الدنيا و العلائق و الشواغل التي قطعه عنها الوقوف بين يدي ربه و قد ذاق قلبه التألم و العذاب بها قبل دخوله في الصلاة ، فباشر قلبه روح القرب ، و نعيم الإقبال على الله تعالى ، و عافيته منها و انقطاعها عنه مدة الصلاة ، ثم استشعر قلبه عوده إليها بخروجه من حمى الصلاة ، فهو يحمل همَّ انقضاء الصلاة و فراغه منها و يقول : ليتها اتصلت بيوم اللقاء.

ويعلم أنه ينصرف من مناجاة مَن كلّ السعادة في مناجته ، إلى مناجاة من كان الأذى و الهم والغم و النكد في مناجاته ، و لا يشعر بهذا و هذا إلا من قلبه حي معمور بذكر الله ومحبته ،والأنس به ، و من هو عالم بما في مناجاة الخلق و رؤيتهم ، و مخالطتهم من الأذى و النكد ، وضيق الصدر و ظلمة القلب ، و فوات الحسنات ، و اكتساب السيئات ، و تشتيت الذهن عن مناجاة الله تعالى عز و جل .

وقال رحمه الله في شرح وصية نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام وقوله في: (وآمركم بالصلاة، فإذا صليتم، فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت) رواه البخاري.

الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى .

الثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالى عنه، وقد سئل رسول الله عن التفات الرجل في صلاته فقال: (**اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**) رواه البخاري .

وفي الأثر: يقول الله تعالى: (إلى خير مني، إلى خير مني)؟ ومَثَل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه، كمثل رجل قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً، وقد انصرف قلبه عن السلطان، فلا يفهم ما يخاطبه به، لأن قلبه ليس حاضراً معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان، أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه؟ فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على وجه الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبته، وذلت عنقه له، واستحيى من ربه تعالى أن يقبل على غيره. أو يلتفت عنه، وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية ،وهذا الأثر رواه عبدالله بن المبارك في كتاب (الزهد والرقائق).

إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وأن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساهٍ غافل. فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله، وبينه وبينه حجاب، لم يكن إقبالاً ولا تقريباً، فما الظن بالخالق عز وجل؟ وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس، والنفس مشغوفة بها، ملأى منها، فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار، وذهبت به كل مذهب؟ .

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعده ويمنّيه وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهوِّن عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها. فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكِّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة، وأيس منها، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تخفف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه .

فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطاً وراحة وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرة عينه ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها، فنستريح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم : (**يا بلال أرحنا بالصلاة**) رواه أحمد وصححه الألباني، **ولم يقل: أرحنا منها .**

وقال : (**جُعلت قرة عيني في الصلاة**) فمن جعلت قرة عينه في الصلاة، كيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي عينه في الصلاة، هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل، فتقول: (**حفظك الله كما حفظتني**).وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها،

فإنها تلفِّ كما يلف الثوبُ الخلق، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول:(**ضيعك الله كما ضيعتني**) .

وقد روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: **(ما من مؤمن يتم الوضوء إلى أماكنه، ثم يقوم إلى الصلاة في وقتها فيؤديها لله عز وجل لم ينقص من وقتها، وركوعها وسجودها ومعالمها يستضيء بنورها ما بين الخافقين حتى يُنتَهى بها إلى الرحمن عز وجل، ومن قام إلى الصلاة فلم يكمل وضوءها وأخرها عن وقتها، واسترق ركوعها وسجودها ومعالمها، رفعت عنه سوداء مظلمة، ثم لا تجاوز شعر رأسه تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، ضيعك الله كما ضيعتني**)،والحديث ضعيف.

فالصلاة المقبولة، والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل، فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به، كانت مقبولة .

والمقبول من العمل قسمان :

أحدهما: أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل، ذاكر لله عز وجل على الدوام، فأعمال هذا العبد تُعرض على الله عز وجل حتى تقف قبالته، فينظر الله عز وجل إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية، وقد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عز وجل متقرب إليه، أحبها ورضيها وقَبلهَا .

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة، وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله، فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبه لاه عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله عز وجل، لم تقف تجاهه، ولا يقع نظره عليها، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال، حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز،

فيثيبه على ما كان له منها، ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها. فهذا قبوله لهذا العمل: إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والحور العين.

وإثابة الأول رضى العمل لنفسه، ورضاه عن معاملة عامله، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، فهذا لون، والأول لون.

الفصل الخامس

روحانيات المصلي عند سماعه الأذان وعند تحصيله للطهارة

المبحث الأول : روحانيات المصلي عند سماعه الأذان .

المبحث الثاني : روحانيات المصلي عند تحصيله للطهارة .

المطلب الأول : روحانيات طهارة الثوب والبدن والمكان.

المطلب الثاني : روحانيات الوضوء.

المطلب الثالث : كيفية الغسل وحُكمه والحكمة من مشروعيته.

المطلب الرابع : روحانيات المسلم عند التيمم .

المبحث الثالث : الحِكَم المقاصدية من تشريع الطهارة في الإسلام .

المطلب الأول : الفوائد الذاتية للطهارة الحسية.

المطلب الثاني : الفوائد الدينية للطهارة الحسية .

المبحث الأول

روحانيات المصلي عند سماعه الأذان

* يكون صاحبنا جالساً قبل الأذان في بيته أو مكتبه أو مع أصدقائه أو في حالة من الانسجام في العمل أو تجاذب أطراف الحديث مع إخوانه - أو امرأة مع صويحباتها - فيسمع صوت المؤذن ينادي : الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد ألا إله إلا الله ... بصوت عال ... ما هو الشعور الذي يعتري صاحبنا يا ترى ؟ وما الذي يجول في خاطره ؟ فرح وسرور أو هم ثقيل ... الناس في هذا يختلفون كل على حسب إيمانه وحبه لربه.

* **المهم أن من روحانيات صاحبنا عند سماع الأذان أنه** : سيفرح وتغمره السعادة بسماعه للأذان لأنه تذكر أنه سيقوم لمناجاة ربه الذي يحبه ، وسيفارق مجلسه الذي قد يضيق فيه صدره من كثرة ما يسمع من كلام فارغ ، وربما غيبة أو نميمة ، وأيضاً لأنه سيدخل في عمل صالح هو قرة عينه ... سيقوم لإقامة الصلاة .. نعم لإقامة الصلاة لا لأدائها . ولذا سيتابع المؤذن ويدعو بعده بالدعاء المأثور - كما سيأتي - وهنا قلبه يشعر باشتياقه للانتقال من التحدث مع المخلوقين إلى التحدث مع الخالق جل وعلا فأين هذا من هذا .

* **وأنقل لك كلام الغزالي في هذا المقام** : (فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة؛ فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : **(أرحنا بها يا بلال)** أخرجه أحمد وأبو داود .

* وأعلى من صاحبنا هذا درجة – في روحانياته - الذي يكون قد دخل المسجد قبل الأذان ، فهو يشهد منَّة الله تعالى عليه حيث وفَّقه لسماع الأذان وهو في بيته سبحانه فأصبح داع لا مدعو ، ولذا قال بعضهم الأذان لتنبيه الغافلين وأما الذاكرون فهم يدخلون بيت الله قبل أن يناديهم المنادي .

* فليت شعري كيف ستكون متابعة هذا الذي دخل المسجد قب الأذان أهي هي كتلك التي ممن سمع النداء وهو خارج المسجد ، لا شك أنه سيختلف .

* ومن روحانيات المسلم عند سماع الأذان : أن يتابع المؤذن فيقول مثل ما يقول ففي المسند وصحيح البخاري وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) .

وعن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله قال أشهد أن محمدا رسول الله ثم قال حي على الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة).
صحيح مسلم .

فعُلم من هذا الحديث أن متابعة الأذان ليس في كل جمل الأذان كما يسمعها بل هناك بعض التغيير فإذا نودي لهذا الأمر العظيم (حي الصلاة ، حي على الفلاح) هذا

الذي لا يستطيعه المسلم بمفرده إلا بإعانة الله -جل وعلا- فأظهر عجزه وفقره بقوله: لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول لنا ولا قوة ولا قدرة إلا بإعانة الله -جل وعلا-، وهذا اعتراف بالعجز والضعف.

* **ومن روحانيات المسلم بعد الانتهاء من متابعة المؤذن :** أن يقول - بعد تشهد المؤذن - (وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا) لما ورد عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :(**من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له ذنبه**). صحيح مسلم .

- ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : (**اللهم صلي على محمد وعلى آل كما صليت على ابراهم وعلى ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد**).

- ثم يلهج بالدعاء آنف الذكر (**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته**) رواه البخاري .

* **ولا تكتمل له المتعة والروحانيات بتلك المتابعة ولا بهذا الدعاء إلى إذا فهم المعاني، وإليك شرحها مختصراً لها :**

المراد **بالدعوة التامة** هي الأذان ، لأنه دعوة ،ووصفها بالتامة ، لاشتمالها على تعظيم الله ، وتوحيده ، والشهادة بالرسالة ، والدعوةإل الخير .

والصلاة القائمة هي الصلاة المعهودة المدعو إليها. والمشار إليه **(هذه)** ليتصوره الإنسان في ذهنه ، لأنك عندما تسمع الأذان تتصور أن هناك صلاة ،والقائمة: قال العلماء: التي ستقام فهي قائمة باعتبار ما سيكون .

آت محمداً الوسيلة : والوسيلة هنا هي المنزلة العلية في الجنة وقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو وفيه (**ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**)

لكن لو قال قائل: إذا كانت الوسيلة حاصلة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فما الفائدة من أن ندعو الله له بها؟ فالجواب: لعلَّ من أسباب كونها له دُعاءُ النَّاس له بذلك، وإن كان صلّى الله عليه وسلّم أحقَّ الناس بها. ولأن في ذلك تكثيراً لثوابنا؛ وتذكيراً لحقِّه علينا.

والفضيلة : من الفضل وهو الزيادة، تقول: هذا شيء فاضل يعني: زائد، ليس له حد ومنه: فضل الماء أي: باقي الماء، فالفضيلة هي الفاضل، والمعنى: أعط نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم الفضل في كل شيء، والعلو في الدرجات، فهو علو في الدنيا، وعلو في موقف القيامة، وعلو في الآخرة: علو في الحياة وفي الممات بحق تلك إحدى المعجزات فأعطى الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم الفضل والعلو في الدارين، بل في الدور كلها، (**آت نبينا محمداً الوسيلة والفضيلة**) وبعضهم يزيد: والدرجة العالية الرفيعة، وهذا لم يرد في الحديث .

والمقام المحمود هو المقام الذي يحمده الناس عليه يوم القيامة. وهو الشفاعة كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**) سورة الاسراء(79) سئل عنها قال هي الشفاعة وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**(إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم إلى أن يأتوا عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فأوتى فأقول أنا لها**) وقد قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم (**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**) وعسى من الله إيجاب.[31]

من **روحانيات المسلم عند سماع الأذان : أن يسأل ربه ويدعوه بما يحب من خيري الدنيا ، والآخرة ، فالدعاء عند الأذان مستجاب؛ لما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ثُوّب بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء)**. رواه أحمد وحسنه الألباني . والتثويب : إقامة الصلاة . وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذا كان عند الأذان فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء، وإذا كان عند الإقامة لم ترد دعوة**) رواه عبد الرزاق في المصنف وروى عبد الرزاق أيضاً عن محارب عن ابن عمر رضي الله عنه قال: **كان يأمر بالدعاء عند أذان المؤذنين.**

31/ انظر الشرح الممتع - للشيخ ابن عثيمين .

المبحث الثاني

روحانيات المصلي عند تحصيله للطهارة

المطلب الأول : روحانيات طهارة الثوب والبدن والمكان .

المطلب الثاني : روحانيات الوضوء .

المطلب الثالث : كيفية الغسل وحُكمه والحكمة من مشروعيته .

المطلب الرابع : روحانيات المسلم عند التيمم .

المراد بالطهارة هنا طهارة الثوب والبدن والمكان من القاذورات كما يدخل فيها الوضوء والغسل ، فجميع هذه الأشياء تندرج تحت قوله صلى الله عليه وسلم **(الطهور شطر الإيمان)** رواه مسلم ، قال العلماء : والطهور شرط الصلاة ، ومفتاح من مفاتيح أبواب الجنان ، ويقصد به الفعل الشرعي الذي يزيل الخبث ويرفع الحدث ، ولا تصح الصلاة إلا به ، ويشمل أيضا تطهير الثياب والبدن والمكان .وإليك روحانيات المسلم عند ذلك كله من خلال هذه المطالب :

المطلب الأول

روحانيات طهارة الثوب والبدن والمكان

قال تعالى: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) [التوبة: 108]، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) سورة البقرة:(222) وقال تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) سورة التوبة (31).

في آية البقرة يقول السعدي : أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ففيه مشروعية الطهارة مطلقا، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقا، شرطا لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.

وقال الخازن : **"إنَّ طهارة الظاهر إنما يحصل لها أثر عند الله جل جلاله إذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي، وقيل: يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين؛ يعني: طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي، وطهارة الظاهر من**

الأحداث والنجاسات بالماء، والله يحب المطَّهِّرين: فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم، بما اختاروه لأنفسهم من المداومة على محبة الطهارة"

أما ما يجب تنظيفه من البدن فقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء. قال مصعب: ونسيت العاشرة: إلا أن تكون المضمضة) رواه مسلم .

وبالجملة فمن حصل طهارة بدنه وثيابه يكون قد عمل بقوله تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)** وقد كان السلف الصالح يقفون بين يدي الله في عبادتهم وهم في أكمل زينة، فهذا- مثلا- الإمام الحسن بن على، كان إذا قام إلى الصلاة لبس أحسن ثيابه فقيل له يا ابن بنت رسول الله لم تلبس أجمل ثيابك؟ فقال: إن الله جميل يحب الجمال، فأنا أتجمل لربي، لأنه هو القائل: (**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**) سورة الأعراف (31).

فمن روحانيات طهارة الثوب والبدن وستر العورة : ما أشار إليه الغزالي رحمه الله تعالى بقوله (وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر. وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتدل بها بنفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله عز

وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف).

ومن روحانيات طهارة الثوب والبدن : ما قاله بعض العلماء : الطهارة الروحية، هي الأصل، وهي المراد، فحين تكون النفس خبيثة، وتمتلئ بالشهوات الشيطانية، والشبهات الشركية، والحقد والكيد، وتمني هلاك الآخرين، فلا معنى للثوب النظيف والجلد النظيف.

ومما يجب الاهتمام به السواك قبل الوضوء أو في أثنائه :

السواك من سنن الوضوء والصلاة : فعن أبي هريرة مرفوعا : (**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**) . رواه أحمد والشيخان وفي رواية لأحمد (**لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء**) . وخير العيدان للاستياك ، عود الأراك المعروف الذي يؤتى به من الحجاز ، لأنه إذا دق طرفه قليلا يصير خيرا من السواك الصناعية التي تسمى فرشة الأسنان ، ويقال إن من خواصه شد اللثة .

قال بعض العلماء (**ومن يواظب على السواك من أول عمره تحفظ له أسنانه التي هي ركن من أعظم أركان الصحة والجمال ، وهي نعمة لا يعرف أكثر الناس قيمتها إلا بعد أن يفسدها السوس ، ويضطر إلى قلعها بعد أن يقاسي من آلامها ما يقاسي**).

المطلب الثاني

روحانيات الوضوء

الوضوء هو مفتاح الصلاة كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (**مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم**) أخرجه أبو داود . والترمذي ، وابن ماجه ، وهو من مكفرات الخطايا، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن **(من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره)رواه مسلم .**

* **فمن روحانيات الوضوء استحضار كونه عبادة وليس مجرد تنظيف للأعضاء** بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بعظيم أجره فقال (**الطهور شطر الإيمان**) رواه مسلم ، فجعل ثواب الوضوء يساوي نصف ثواب الصلاة .لأن الإيمان هنا المراد منه الصلاة كما في قوله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) ، سورة البقرة (143) .

* ومن علم أنه عبادة وجب عليه إحضار القلب عنده وطلب الأجر من فعله ، وهذا يقتضي عدم الكلام بغير ذكر الله أو الضحك أو ما شاكل ذلك في أثنائه وعلى المؤمن أن يحاول أن يجعل الوضوء كفارة لذنوبه كما ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (**إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ -أوِ المُؤْمِنُ- فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ -أوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ- فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ - أوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ- فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَعَ المَاءِ - أوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيّاً مِنَ الذُّنُوبِ**). أخرجه مسلم.

* **ومن روحانيته عند الوضوء استحضار ذنوبه والتوبة منها واستحضار مغفرتها** فيا ترى كم سيجعلك ذلك الحضور مع معاني الحديث آنف الذكر - أيها المتوضئ - خاضعاً متذللاً لله تعالى راجياً منه أن يحقق فيك كلام نبيه صلى الله عليه وسلم حتى تخرج بعد فراغك من الوضوء من ذنوبك كيوم ولدتك أمك .

* وفي هذا المقام يقول ابن القيم رحمه الله تعالى (فبالوضوء يتطَّهر من الأوساخ ، و يُقدم على ربِّه متطهرا ، والوضوء له ظاهر وباطن:

فظاهره : طهارة البدن ،وأعضاء العبادة. **وباطنه وسرّه** : طهارة القلب من أوساخ الذنوب و المعاصي و أدرانه بالتوبة ؛ و لهذا يقرن تعالى بين التوبة والطهارة في قوله تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** }[البقرة : 222] و شرع النبي صلى الله عليه و سلم للمتطهّر أن يقول بعد فراغه من الوضوء أن يتشهد ثم يقول : **(اللهم اجعلني من التوّابين ، و اجعلني من المتطهرين)**فكمَّل له مراتب العبدية و الطهارة ، باطنا و ظاهرا ، فإنه بالشهادة يتطهر من الشرك ، و بالتوبة يتطهر من الذنوب ، و بالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة) اهـ .

وقال بعض العلماء : هذه الأحاديث النبوية في فضل الوضوء وآثاره في إخراج الخطايا مع ماء الوضوء من جسد المتوضئ: لها أثرها كذلك في نفس المتوضئ، بما يشعر به من رضىً وانشراح صدر، وسكينة نفس، بما أدى من واجب، وما حصل من فضل الله تعالى ومثوبته. حتى إنك لتسمع من كثير من المسلمين قولهم: الوضوء سلاح المؤمن. فهو يحس كأن الوضوء عُدّةٌ وقوة له.

* **ومن روحانيات المتوضئ** عندما تكسل نفسه وتدعوه إلى تسويف الوضوء أو عدم إحسانه في صلاتي الفجر والعشاء - أيام البرد الشديد - أو صلاتي الظهر والعصر - أيام

الحر الشديد - أن يستحضر ما ورد من قول خير البشر صلى الله عليه وسلم : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط) رواه مسلم.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : (إسباغ الوضوء على المكاره) **كما بينه العلماء : أن الإنسان يتوضأ وضوءه على كره منه ، إما لكونه فيه حمى ينفر من الماء فيتوضأ على كره ، وإما أن يكون الجو باردا وليس عنده ما يسخن به الماء فيتوضأ على كره** ، وإما أن يكون هناك أمطار تحول بينه وبين الوصول لمكان الوضوء فيتوضأ على كره ، المهم أنه يتوضأ على كره ومشقة ، لكن بدون ضرر ، أما مع الضرر فلا يتوضأ بل يتيمم ، هذا مما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات .

وقد بين أهل العلم أن ذلك لا يعني قصد المشقة وتطلبها ، فالمشقات ليست من مقاصد الشريعة ولا من مراد الشارع ، ولكن إذا لم يتيسر سبيل العبادة إلا بوقوع المشقة ، فيعظم الأجر في هذه الحالة ، وفرق بين الأمرين .

* ومن روحنايات المتوضئ ألا يغفل عن الدعاء بعد الانتهاء منه فيقول ما ورد عن عُمَر بْنِ الخَطَّابِ رضي اللَّه عَنْهُ عنِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ : (ما مِنْكُمْ مِنْ أَحدٍ يتوضَّأُ فَيُبْلِغُ أَو فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ : أَشْهدُ أَنْ لا إِله إِلاَّ اللَّه وحْدَه لا شَرِيكَ لهُ، وأَشْهدُ أَنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ وَرسُولُه ، إِلاَّ فُتِحَت لَهُ أَبْوابُ الجنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ) رواه مسلم. وزاد الترمذي : (اللَّهُمَّ اجْعلْني من التَّوَّابِينَ واجْعلْني مِنَ المُتَطَهِّرِينَ) .

*** ومن الروحانيات التي يشعر بها المتوضئ بعد فراغه من الوضوء : ما قاله ابن القيم** (فشرع له أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله عز و جل ، و الوقوف بين يديه ، فلما طَهر ظاهرا و باطنا ، أُذِن له بالدخول عليه بالقيام بين يديه و بذلك يخلص من الإباق.و بمجيئه إلى داره ، ومحل عبوديته يصير من جملة خدمه ، و لهذا كان المجيء إلى المسجد من تمام عبودية الصلاة الواجبة عند قوم و المستحبة عند آخرين).* **وقال الدكتور مختار سالم** : " الوقوف على قدم واحدة عند غسل القدم الأخرى: تمرين بدني جيد، ينمي ويطور درجة الاتزان العصبي تدريجيا مع كل وضوء. وتعتبر الحركات التي نؤديها أثناء الوضوء بمثابة تمرينات تمهيدية أو تسخين، لتنشيط وإحماء الجسم، استعدادا للوقوف بين يدي الله لأداء الصلاة بهمة ونشاط ".

فائدة : قال بعض المعاصرين : ومما يذكر هنا: ما حدث لعمال مصانع شركة المحلة الكبرى للغزل والنسيج، أول إنشائها، فقد أصيب كثير من العمال بأمراض صدرية نتيجة العمل في غزل القطن وما يتعلق به، على حين لم يصب آخرون من زملائهم. وأرسلت لجنة من المسؤولين لدراسة الموضوع، وكيفية الوقاية منه، فتبين للجنة:

أن العمال المتدينين المحافظين على الصلاة والوضوء، المداومين على المضمضة والاستنشاق . لا سيما الاستنشاق . سلموا من هذه الأمراض، نتيجة الوضوء وتكرار الاستنشاق عدة مرات في اليوم والليلة، فكان ذلك سببا في معافاتهم من أمراض الصدر.أما العمال غير المتدينين، الذين لا يحرصون على الصلاة والوضوء، فأصيبوا بما أصيبوا به. وقد شاع بين العمال حينئذ: أن الصلاة تحمي الإنسان من أمراض الصدر! جعلوها من باب الكرامات وخوارق العادات، والواقع أنها تحمي الإنسان وفق سنن الله تعالى في خلقه.

المطلب الثالث

كيفية الغسل وحُكمه والحكمة من مشروعيته

*** أما كيفيته :**

فعَنْ السيدة مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أم المؤمنين رضي الله عنها زّوجة انها قَالَتْ: "**وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضُوءَ الجَنَابَةِ: فَأَكْفَأَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَهُ، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ أَوْ الْحَائِطِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ فَرْجَهُ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ، ثُمَّ غَسَلَ جَسَدَهُ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ، قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِخِرْقَةٍ فَلَمْ يُرِدْهَا فَجَعَلَ يَنْفُضُ بِيَدِهِ**." رواه البخاريّ ومسلم .

وأما حكمه : فمعلوم أن الغسل من الجنابة واجب على كل مسلم ومسلمة ، ويسمى المسلم بالجُنُب لأنه بذلك يتجنب التلبس ببعض العبادات كالصلاة والطواف ودخول المسجد وتلاوة القرآن ولا يجوز له أن يفعلها إلا بعد الاغتسال والتطهر والجنابة ترتفع بالغسل أو بالتيمم عند تعذر الغسل.

*** وأما الحكمة من مشروعيته :** قد يسأل سائل ما هي الحكمة من إيجاب الغسل للجنابة ؟

الجواب : اعلم أن الشرع ينقسم إلى قسمين فيما يتعلق ببيان الحكمة التشريعية فيما فرضه على العباد :

القسم الأول : أن تكون الحكمة من القيام بعمل ما تكون ظاهرة ومنصوص عليها ، ومثال ذلك ، بين الله تعالى الحكمة من فرض الصلاة فقال **(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ**

تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) العنكبوت (45) وقال تعالى في الحكمة من فرض الصيام **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** البقرة (183)

- **القسم الآخر** : أن تكون الحكمة غير ظاهرة ويكون العبد هو المتسبب فيها ، وفي هذه الحالة يسميها العلماء : أمر تعبدي محض لا حكمة له إلا الإذعان والخضوع لأمر الله تعالى ، ولكن ليس هناك مانع شرعي من البحث عن مقاصدها والحكمة منها ،ولعل الحكمة من غسل الجنابة تندرج تحت القسم الثاني ، ولذا توصل بعض الباحثين إلى شئ من الحِكَم من إيجاب غسل الجنابة :

1/ انه عند القيام بعملية الجماع يفقد الجسم نشاطه وحيويته ولكن عند الغسل ترجع له حيويته ونشاطه بالاضافة إلى تأكيد العلم لذلك وأن عدم الإغتسال له أضرار كثيرة الإنسان في غنى عنها ، بالإضافة إلى أن الإغتسال هو إحدى طرق النظافة الشخصية. وفي هذا المعنى يقول **الدكتور محمد نزار الدقر:** وفي وجوب الاغتسال من الجنابة حكم صحية رائعة. فالجماع وقذف المني بأي سبب كان يؤدي إلى فتور وارتخاء يعلل طبياً بوهن في الجملة العصبية وتوسع في الأوعية الدموية المحيطية يؤدي إلى فقدان قسط كبيرمن النشاط العضلي والفكري ، وإن الاغتسال ينبه الشبكة العصبية الحسية لتوقظ الجهاز العصبي ويسترجع حيويته .ويتسبب عن اللقاء الجنسي وهن نفسي ورغبة في النوم والاغتسال ينشط الجسم والروح .

2/ ينقل د. ابراهيم الراوي عن مصدر علمي أن الجلد أثناء عملية القذف يفرز من مساماته عرقاً ذو تركيز عال من السموم ويمكن أن يعود فيمتصها فيتأذى بذلك

والاغتسال إجراء حاسم لتطهير الجلد من هذه السموم , وقد حث الشارع على سرعة التطهر من الحدث الأكبر

3/ ويقول أيضاً : إن إيجاب الغسل بعد الجماع يقي المسلم من خطر الإفراط في الجماع والذي يؤدي إلى الانهاك والمرض. وإن التفكير في الغسل والإعداد له يجبر المرء على الاعتدال في طلب اللقاء الجنسي ويحفظ بذلك قدراته وحيويته إلى عمر مديد .

4/ إن التوجيهات الصحية تدعو إلى الاغتسال عقب كل مجهود عضلي كبير وعقب التدريبات الرياضية المجهدة فالاغتسال يزيل آثار الجهد العضلي ويخفف عقابيله والجماع من هذه الناحية جهد عضلي.

المطلب الرابع

روحانيات المسلم عند التيمم

جاء في تفسير المنار (باختصار وتصرف): في تفسير قوله تعالى (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا) النساء (43) .

جرى جماهير العلماء على أن التيمم أمر تعبدي محض لا حكمة له إلا الإذعان والخضوع لأمر الله تعالى ، وذلك أن لأكثر العبادات منافع ظاهرية لفاعليها ، ومنها : الوضوء والغسل ، فإذا هي فُعلت لأجل فائدتها البدنية أو النفسية ولم يُقصد بها مع ذلك الإذعان وطاعة الشارع الحكيم لم تكن عبادة ، ولذلك كان التحقيق أن النية واجبة في العبادات كلها ولا سيما الطهارة :

1/ **فالحكمة العليا للتيمم هي أن يأتي المكلف عند الصلاة بتمثيل بعض عمل الوضوء ليشير به إلى أنه إذا فاته ما في الوضوء أو الغسل من النظافة** ، فإنه لا يفوته ما فيه من معنى الطاعة ، فالتيمم رمز لما في الطهارة المتروكة للضرورة من معنى الطاعة التي هي الأصل في طهارة النفس المقصودة من الدين أولا وبالذات ، والتي شرعت طهارة البدن ؛ لتكون عونا عليها ووسيلة لها ، فإن من يرضى لنفسه أن يعيش في الأوساخ والأقذار لا يكون عزيز النفس آبي الضيم كما يليق بالمؤمن .

2/ **ويلي هذه الحكمة حكمة أخرى عالية** ،وهي ما في تمثيل عمل الطهارة بالإشارة من معنى الثبات والمواظبة والمحافظة ، فمن اعتاد ذلك يسهل عليه إتقان العمل وإتمامه ، ومن اعتاد ترك العمل المطلوب المؤقت في بعض أوقاته لعذر يوشك أن يتهاون به في بعض الأوقات لغير عذر ، بل لمحض الكسل ، فمَلَكَة المواظبة والمحافظة ركن من

أركان التربية والنظام ، وترى مثل ذلك واضحا جليا في نظام الجندية الحديث ، فإن الجنود في مأمنهم داخل المعاقل والحصون يقيمون الخفراء عليهم آناء الليل والنهار في أوقات السلم والأمان ؛ لكيلا يقصروا في ذلك أيام الحرب ، ولهم مثل ذلك أعمال كثيرة هم لها عاملون ، كما يتعاهد الخدم في القصور والدور العامة والخاصة للأمراء والحكام وغيرهم من الذين يلتزمون النظام في معيشتهم الأماكن بالكنس والفرش والأثاث بالتنفيض والمسح في أوقات معينة ، وإن لم يكن هنالك وسخ ولا غبار ، **وبذلك تكون هذه المعاهد كلها وما فيها نظيفا دائما ، وما من مكان تترك فيه هذه القاعدة العملية ، وتتبع قاعدة تنظيف الشيء عند طروء الوسخ أو الغبار عليه فقط ، إلا وترى الوسخ يلم به في أوقات كثيرة .**

فإذا تأملت هذا ظهر لك أن إباحة القيام للصلاة عند فقد الماء مثلا بدون الإتيان بعمل يمثل طهارتها ، ويذكر بها تضعف ملكة المواظبة حتى يصير العود إليها عند وجود الماء مستثقلا ، وأن في التيمم تقوية لتلك الملكة وتذكيرا بما لا بد منه عند إمكانه بغير مشقة ، هذا ما ظهر لي ، ولم أسمعه قبل من أستاذ ولا رأيته في كتاب ، ولعلك تراه معقولا مقبولا لا تكلف فيه ، ثم إنني أنقل لك ما قاله العلماء في ذلك :

قال العلامة ابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين :

- ومما يظن أنه على خلاف القياس باب التيمم ، قالوا : إنه على خلاف القياس من وجهين :

أحدهما: أن التراب ملوث لا يزيل درنا ولا وسخا ولا يُطهِّر البدن ، كما لا يطهر الثوب.

الثاني : أنه شرع في عضوين من أعضاء الوضوء دون بقيتها ، وهذا خروج عن القياس الصحيح ، ولعمر الله إنه خروج عن القياس الباطل المضاد للدين ، وهو على وفق القياس الصحيح ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل من الماء كل شيء حي وخَلَقَنا من التراب ، فلنا مادتان الماء والتراب ، فجعل منهما نشأتنا وأقواتنا وبهما تطهُّرنا وتعبُّدنا ، فالتراب أصل ما خلق منه الناس ، والماء حياة كل شيء ، وهما الأصل في الطبائع التي ركب عليها هذا العالم وجعل قوامه بهما ، وكان أصل ما يقع به تطهير الأشياء من الأدناس والأقذار هو الماء في الأمر المعتاد ، فلم يَجُز العدول عنه إلا في حال العدم أو العذر بمرض أو نحوه ، وكان النقل عنه إلى شقيقه وأخيه التراب أولى من غيره ، وإن لوَّث ظاهرا فإنه يطهِّر باطنا ، ثم يقوي طهارة الباطن فيزيل دنس الظاهر أو يخففه ، وهذا أمر يشهده من له بصر نافذ بحقائق الأعمال وارتباط الظاهر بالباطن وتأثر كل منهما بالآخر وانفعاله عنه .

وأما كونه في عضوين ففي غاية الموافقة للقياس والحكمة ، فإن وضع التراب على الرءوس مكروه في العادات ، وإنما يُفعَل عند المصائب والنوائب ، والرِّجلان محل ملابسة التراب في أغلب الأحوال ، وفي تتريب الوجه من الخضوع والتعظيم لله والذل له والانكسار ما هو أحب في العبادات إليه ، وأنفعها للعبد ، ولذلك يُستحب للساجد أن يُترِّب وجهه لله وألا يقصد وقاية وجهه من التراب ، **كما قال بعض الصحابة لمن رآه قد سجد ، وجعل بينه وبين التراب وقاية ، فقال : ترِّب وجهك ، وهذا المعنى لا يوجد في تتريب الرجلين ، وأيضا فموافقة ذلك القياس من وجه آخر** ، وهو أن التيمم جُعل في العضوين المغسولين وسقط من العضوين الممسوحين ، فإن الرجلين تمسحان في الخف ، والرأس في العمامة ، فلما خفف عن المغسولين بالمسح خفف عن الممسوحين بالعفو ، إذ لو مسحا بالتراب لم يكن فيه تخفيف عنهما ، بل كان

فيه انتقال من مسحهما بالماء إلى مسحهما بالتراب ، فظهر أن الذي جاءت به الشريعة هو أعدل الأمور وأكملها وهو الميزان الصحيح .

وأما كون تيمم الجنب كتيمم المحدث ، فلما سقط مسح الرأس والرجلين بالتراب عن المحدث سقط مسح البدن كله بالتراب عنه بطريق الأولى ، إذ في ذلك من المشقة والحرج والعسر ما يناقض رخصة التيمم ، ويدخل أكرم المخلوقات على الله في شبه البهائم إذا تمرغ في التراب ، فالذي جاءت به الشريعة لا مزيد في الحسن والحكمة والعدل عليه ، ولله الحمد ، اهـ .

وقال الشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) ما نصه : لما كان من سنة الله في شرائعه أن يسهل عليهم كل ما يستطيعونه ، وكان أحق أنواع التيسير أن يسقط ما فيه حرج إلى بدل ، لتطمئن نفوسهم ولا تختلف الخواطر عليهم بإهمال ما التزموه غاية الالتزام مرة واحدة ، ولا يألفوا ترك الطهارات ، أسقط الوضوء والغسل في المرض والسفر إلى التيمم ، ولما كان ذلك كذلك نزل القضاء من الملأ الأعلى بإقامة التيمم مقام الوضوء والغسل ، وحصل له وجود تشبيهي أنه طهارة من الطهارات ، وهذا القضاء أحد الأمور العظام التي تميزت بها الملة المصطفوية من سائر الملل ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : جعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء أقول : **إنما خص الأرض ؛ لأنها لا تكاد تفقد ، فهي أحق ما يرفع به الحرج ؛ ولأنها طهور في بعض الأشياء كالخف والسيف بدلا عن الغسل بالماء ، ولأن فيه تذللا بمنزلة تعفير الوجه في التراب ، وهو يناسب طلب العفو ، وإنما لم يفرق بين بدل الغسل ولم يشرع التمرغ ؛ لأن من حق ما لا يعقل معناه بادي الرأي أن يجعل كالمؤثر بالخاصية دون المقدار ، فإنه هو الذي اطمأنت نفوسهم به في هذا الباب ؛ ولأن التمرغ فيه بعض الحرج فلا يصلح رافعا للحرج بالكلية** ، وفي معنى المرض :

البرد الضار لحديث عمرو بن العاص ، والسفر ليس بقيد إنما هو صورة لعدم وجدان الماء يتبادر إلى الذهن ، وإنما لم يؤمر بمسح الرجل بالتراب ؛ لأن الرجل محل الأوساخ ، وإنما يؤمر بما ليس حاصلا ليحصل به التنبه اهـ.

المبحث الثالث

الحِكَم المقاصدية من تشريع الطهارة في الإسلام

المطلب الأول : الفوائد الذاتية للطهارة الحسية .

المطلب الثاني : الفوائد الدينية للطهارة الحسية .

المطلب الأول

الفوائد الذاتية للطهارة الحسية

وأقصد بالطهارة هنا ما سبق ذكره آنفاً من الوضوء والغسل ونظافة الثياب والبدن والمكان والسواك ونحوه ، فقد وقفت على كلام غاية في الأهمية في تفسير المنار لمؤلفه السيد محمد رشيد رضا – رحمه الله تعالى - عند تفسير قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) المائدة (6)** حيث يقول - بتصرف يسير - :

الفوائد الذاتية للطهارة الحسية : أما فوائدها الذاتية فثلاث :

الفائدة الأولى : إن غسل البدن كله وغسل أطرافه ، يفيد صاحبه نشاطا وهمة ، ويزيل ما يعرض لجسده من الفتور والاسترخاء بسبب الحدث ، أو بغير ذلك من الأعمال التي تنتهي بمثل تأثيره ، فيكون جديرا بأن يقيم الصلاة على وجهها ، ويعطيها حقها من الخشوع ومراقبة الله تعالى ، ويعسر هذا في حال الفتور والكسل ، والاسترخاء والملل ، أو الحر والبرد ، ونزيد ذلك بيانا فنقول : من المعروف عقلا وتجربة أن الطهارة دواء لهذه العوارض ، فهي بمقتضى سنة رد الفعل تفيد المقرور حرارة ، والمحرور ابترادا ، وتزيل الفتور الذي يعقب خروج الفضلات من البدن ، كالبول والغائط اللذين يضر احتباسهما، كاحتباس الريح في البطن ، فالحاقن من البول ، والحاقب من الغائط ، والحازق من الريح ،كالمريض ، وكل منهم تكره صلاته كراهة شديدة ، **فمتى خرجت هذه الفضلات الضار احتباسها يشعر الإنسان كأنه كان يحمل حملا ثقيلا وألقاه ، ويشعر عقب ذلك بفتور واسترخاء ، فإذا توضأ زال**

ذلك ، ونشط وانتعش ، وكذلك من مس فرجه أو قبل امرأته أو مس جسدها بغير حائل يحصل له لذة جسدية في بعض الأحيان ، وحدوث اللذة عبارة عن تنبه ، أو تهيج في العصب ، يعقبه فتور ما بمقتضى سنة رد الفعل ، والوضوء يزيل هذا الفتور الذي يصرف النفس باللذة الجسدية عن اللذة الروحية والعقلية ، ولهذا اشترط بعض من قال بنقض الوضوء بمس ما ذُكِر أن يكون بلذة ، واكتفى بعضهم بكونه مظنة اللذة .

أما إذا بلغ الإنسان من هذه اللذة الجسدية غايتها بالوقاع أو الإنزال ، فيكون ذلك منتهى تهيج المجموع العصبي الذي يعقبه - بسنة رد الفعل - أشد الفتور والاسترخاء والكسل ، وضعف الاستعداد للذة الروحية بمناجاة الله وذكره ، ولا يزيل ذلك إلا غسل البدن كله، فلذلك وجب الغسل عقب ذلك . واشترط بعضهم في الإنزال اللذة .

ويحصل نحو هذا الضعف والفتور للمرأة بسببين آخرين ، وهما الحيض والنفاس ،فشرع لها الغسل عقبهما كما شرع لها الغسل من الجنابة كالرجل ، والظاهر أن سبب ما ورد في السنة من الأمر بالوضوء من أكل ما مسته النار كله هو ما فيه من اللذة ، وخص منها لحم الإبل لأنهم كانوا يستطيبونه ، أو لأنه يُستثقل على المعدة ،فيضعف النشاط عقب أكله ،ثم خفف النبي صلى الله عليه وسلم عن الأمة في ذلك ،واكتفى بالحدث الذي هو غاية الأكل عن المبدأ كما هو مذهب الجماهير ، ومن زال عقله بمرض عصبي أو غيره، كالإغماء ، والسكر ، وتناول بعض المخدرات والأدوية ، لا ينشط بعد إفاقته إلا إذا أمس الماء بدنه بوضوء أو غسل، ويقرب من الإغماء ونحوه النوم . ومهما اختلف الفقهاء في نقض الوضوء به ؛ هل هو لذاته أو لكونه مظنة لشيء آخر ؟ وهل ينقض مطلقا ، أو يشترط فيه الكثرة ، أو عدم تمكن المقعدة من الأرض ؟ فالجماهير على وجوب الوضوء عقب النوم المعتاد .

واعلم أن هذه الفائدة – أي من النشاط والحيوية - تحصل بالماء دون غيره من المائعات ،فلا تحصل عبادة الغسل بغيره لإنعاشه وكونه أصل الأحياء كلها ، وهذا الذي تعبر عنه الصوفية بتقوية الروحانية للعبادة ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى : (فلم تجدوا ماء فتيمموا) الآية .

الفائدة الثانية من فوائد الطهارة الذاتية : ما أشرنا إليه من كونها ركن الصحة البدنية ، وبيان ذلك : أن الوسخ والقذارة مجلبة الأمراض والأدواء الكثيرة ، كما هو ثابت في الطب ، ولذلك نرى الأطباء ورجال الحكومات الحضرية ، يشددون في أيام الأوبئة والأمراض المعدية - بحسب سنة الله تعالى في الأسباب - في الأمر بالمبالغة في النظافة، وجدير بالمسلمين أن يكونوا أصلح الناس أجسادا ، وأقلهم أمراضا ، لأن دينهم مبني على المبالغة في نظافة الأبدان والثياب والأمكنة ، فإزالة النجاسات والأقذار التي تولد الأمراض من فروض دينهم ، وزاد عليها إيجاب تعهد أطرافهم بالغسل كل يوم مرة أو مرارا ، إذ ناطه الشارع بأسباب تقع كل يوم ، وتعاهد أبدانهم كلها بالغسل كل عدة أيام مرة ، فإذا هم أدوا ما وجب عليهم من ذلك ، تنتفي أسباب تولد جراثيم الأمراض عندهم ، ومن تأمل تأكيد سنة السواك ، **وعرف ما يقاسيه الألوف والملايين من الناس من أمراض الأسنان ، كان له بذلك أكبر عبرة ، ومن دقائق موافقة السنة في الوضوء لقوانين الصحة - غير تقديم السواك عليه - تأكيد البدء بغسل الكفين ثلاث مرات ، وهذا ثابت في كل وضوء ، فهو غير الأمر بغسلهما لمن قام من النوم ؛ ذلك بأن الكفين اللتين تزاول بهما الأعمال يعلق بهما من الأوساخ الضارة وغير الضارة ما لا يعلق بسواهما** ، فإذا لم يبدأ بغسلهما يتحلل ما يعلق بهما فيقع في الماء الذي به يتمضمض المتوضئ ويستنشق ، ويغسل وجهه وعينيه ، فلا يأمن أن يصيبه من ذلك ضرر مع كونه ينافي النظافة المطلوبة ،

ومن حكمة تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل جميع الأعضاء اختبار طعم الماء وريحه ، فقد يجد فيه تغيرا يقتضي ترك الوضوء به .

الفائدة الثالثة من فوائد الطهارة الذاتية: تكريم المسلم نفسه في نفسه وفي أهله وقومه الذين يعيش معهم ، كما يكرمها ويزينها لأجل غشيان بيوت الله تعالى للعبادة بهداية قوله تعالى : **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)** الأعراف (31) ومن كان نظيف البدن والثياب كان أهلا لحضور كل اجتماع ، وللقاء فضلاء الناس وشرفائهم ، ويتبع ذلك أنه يرى نفسه أهلا لكل كرامة يكرم بها الناس ، وأما من يعتاد الوسخ والقذارة فإنه يكون محتقرا عند كرام الناس ، لا يعدونه أهلا لأن يلقاهم ويحضر مجالسهم ، ويشعر هو في نفسه بالضعة والهوان . ومن دقق النظر في طبائع النفوس وأخلاق البشر رأى بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن ، أو طهارة الجسد واللباس ، وطهارة النفس وكرامتها ، ارتباطا وتلازما .

والطهارة في الآية تشمل الأمرين معا ، كما تقدم ، وكل منهما يكون عونا للآخر ، كما أن التنطع والإسراف في أي واحدة منهما يشغل عن الأخرى . وهذا هو سبب عدم عناية بعض الزهاد والعباد بنظافة الظاهر ، وعدم عناية الموسوسين المتنطعين في نظافة الظاهر بنظافة الباطن ، والإسلام وسط بينهما ، يأمر بالجمع بين الأمرين منهما ، وإن اشتبه ذلك على بعض المحققين حتى هونوا أمر نظافة الظاهر في بعض كتبهم مع ذكرهم لأدلتها في تلك الكتب ، والله تعالى يقول : **(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)** البقرة : (143) ولأجل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **الطهور شطر الإيمان** " رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي مالك الأشعري ، وله تتمة ، وذلك أن الإنسان مركب من جسد ونفس ، وكماله إنما يكون بنظافة بدنه ، وتزكية

نفسه ، فالطهور الحسي هو الشطر الأول الخاص بالجسد ، وتزكية النفس بسائر العبادات هو الشطر الثاني ، وبكلتيهما يكمل الإيمان بالأعمال المترتبة عليه .

ويؤيد ذلك ما ورد من تأكيد الأمر بالغسل يوم الجمعة والطيب ، ولبس الثياب النظيفة ، لأنه يوم عيد الأسبوع ، يجتمع الناس فيه على عبادة الله تعالى ، فيطلب فيه ما يطلب في عيدي السنة . وورد في أسباب الأمر بالغسل فيه خاصة أن بعض الصحابة كانوا يتركون فيه أعمالهم قبيل وقت الصلاة ، فتشم رائحة العرق منهم ، ولا تكون أبدانهم نظيفة ، وفي بعض هذه الروايات أنهم كانوا يلبسون الصوف ، فإذا عرقوا علت رائحته حتى شمها النبي صلى الله عليه وسلم مرة وهو يخطب ، فكان يأمرهم بالغسل والطيب والثياب النظيفة لأجل هذا ، رواه ابن جرير وغيره . وقد روى مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من عدة طرق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " غسل الجمعة واجب على كل محتلم " ، أي بالغ مكلف . وحكى ابن حزم القول بوجوب غسل الجمعة عن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعمرو بن سليم وعطاء وكعب والمسيب بن رافع وسفيان الثوري ومالك والشافعي وأحمد ، ولكن المالكية والشافعية على كونه سنة مؤكدة ، والوجوب قول الشافعي في القديم ، ورواية عنه في الجديد ، وعارض القائلون بأنه سنة حديث الوجوب بما يدل على أن المراد به التأكيد لصحة صلاة الجمعة ممن توضأ فقط ، وقال الظاهرية : إنه واجب لليوم ، وليس شرطا لصحة صلاتها ، وقال ابن القيم : إن أدلة وجوبه أقوى من أدلة وجوب الوضوء من لمس المرأة ومس الفرج والقيء والدم .

المطلب الثاني

الفوائد الدينية للطهارة الحسية

لقد تكلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله في هذا الموضوع في تفسير الآية التي أشرنا إليها في المطلب السابق حيث يقول (بتصرف) : إن الفوائد من جعل الطهارة من أحكام الدين وعبادته أربع ، وهي كما نرى :

الفائدة الأولى : أن يتفق على المواظبة عليها كل مذعن لهذا الدين ، من حضري وبدوي ، وذكي وغبي ، وفقير وغني ، وكبير وصغير ، وأمير ومأمور ، وعالم بحكمتها وجاهل لمنفعتها حتى لا تختلف فيها الآراء ، ولا تحول دون العمل بها الأهواء ، كما هو شأن البشر في جميع ما يستقلون فيه من الأشياء .

الفائدة الثانية : أن تكون من المذكرات لهم بفضل الله ونعمته عليهم ؛ حيث شرع لهم ما ينفعهم ويدرأ الضرر عنهم ، فإذا تذكروا أنه يرضيه عنهم أن تكون أجسادهم على أكمل حال من النظافة والطهارة ، ويتذكرون أن أهم ما فرض عليهم لأجله تطهير أجسادهم هو أنه من وسائل تزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم وتهذيب أخلاقهم التي يترتب عليها صلاح أعمالهم ; لأنه تعالى ينظر نظر الرضاء والرحمة إلى القلوب والأعمال ، لا إلى الصور والأبدان ، فيعنون بالجمع بين الأمرين ؛ توسلا بهما إلى سعادة الدارين ، كما هو مقتضى الإسلام **(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)** (البقرة : 201) .

الفائدة الثالثة : أن مجرد ملاحظة المؤمن امتثال أمر الله تعالى بالعمل ، وابتغاء مرضاته بالإتيان به على الوجه الذي شرعه ، مما يغذي الإيمان به ، ويطبع في النفس ملكة المراقبة له ، فيكون له عند كل طهارة بهذه النية والملاحظة ، التي شرحنا معناها

في بحث نية الوضوء ، جذبة إلى حظيرة الكمال المطلق ، تتزكى بها نفسه ، وتعلو بها همته ، وتتقدس بها روحه ، فيصلح بذلك عمله ، وقس على هذه العبادة سائر العبادات ، لهذا كان لأولئك المصطفين الأخيار ، من صحابة النبي المختار ، تلك الأعمال والآثار ، والعدل والرحمة والإيثار ، التي لم يعهد البشر مثلها في عصر من الأعصار ، وهذا مما يتجلى به قول جمهور العلماء بوجوب النية للوضوء والغسل ، وضعف قول من ذهب إلى عدم وجوبها .

الفائدة الرابعة : اتفاق المؤمنين على أداء هذه الطهارات بكيفية واحدة ، وأسباب واحدة أينما كانوا ومهما كثروا وتفرقوا ، وأن اتفاق أفراد الأمة في الأعمال من أسباب الاتفاق في القلوب ، فكلما كثر ما تتفق به كان اتحادها أقوى .

وجملة القول في الطهارة : أنها هي المبالغة في النظافة من غير تنطع ، ولا وسوسة ، وقد اتفق العلماء على أنها من العبادات المعقولة المعنى ، حتى قال بعضهم : لا تجب في الوضوء النية ولا الترتيب الذي ثبت في الكتاب والسنة والعمل المطرد .

وقد أوجب الإسلام طهارة البدن والثوب والمكان ، كما أوجب غسل الأطراف التي يعرض لها الوسخ كل يوم بأسباب من شأنها أن تتكرر كل يوم ، وغسل جميع البدن بأسباب من شأنها أن تتكرر كل عدة أيام ، وأكد غسل الجمعة والعيدين ، وحث على السواك والطيب ، وقد اشتهر امتياز الإسلام بالنظافة على جميع الأديان ، حتى صار هذا معروفا له عند غير أهله ، وسمعت كثيرين من أدباء النصارى يذكرون هذه المزية للإسلام ، ويعللونها بأن العرب كانت قليلة العناية بالنظافة ، لقلة الماء في بلادها ، ولقرب أهل الحضر منها من البدو في قلة التأنق والترف .

شبهة وجوابها : إننا ننبه أذهان المؤمنين إلى جهالة بعض المعطلين ، الذين ينتقدون جعل الطهارة من الدين ، ويزعمون أنهم ينطقون بحقائق الفلسفة ، يقول هؤلاء العميان : إن الطهارة والآداب يجب أن تؤتى لمنفعتها وفائدتها المترتبة عليها ، لا لأن الله تعالى أمر بها ويثيب على فعلها ويعاقب على تركها ، ويزعمون أن الدين يحول دون هذه الفلسفة العالية التي ارتقوا إليها ، ويفسد نفس الإنسان بتخويفه من العقاب ، ويحجبه عن معرفة الواجب والعمل به لأنه الواجب - أي حجاب - ويحتجون على ذلك بأنهم هم وأمثالهم ، ممن لا دين لهم ، أنظف ثيابا وأبدانا من جمهور المتدينين ، حتى المتنطعين منهم في الطهارة والموسوسين ، ومن يعدهم الجمهور من الأولياء والقديسين . ونقول في كشف شبهتهم وإظهار جهالتهم:

أولا : إن الدين الإسلامي الذى لا يوجد في الأرض دين سماوي سواه ثابت الأصل ، سامق الفرع ، لم يشرع للناس شيئا إلا ما كان فيه دفع لضرر أو مفسدة ، أو جلب لنفع أو مصلحة ، وهو يهدي الناس إلى معرفة أحكامه مع معرفة حكمها الكاشفة لهم عن فوائدها ومنافعها **(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)** (البقرة : 151) فما يتبجحون به من الاهتداء إلى وجوب القيام بالأعمال والآداب ، مع مراعاة منافعها وفوائدها ، هو مما هدى إليه الإسلام الذى عظم أمر حسن النية في جميع الأمور ، وحث على طلب الحكمة في كل عمل .

ثانيا : إن أمر الأمم بالأعمال والآداب التي تفيدها في مصالحها الاجتماعية ، ومنافع أفرادها الشخصية ، ونهيها عن الأفعال التي تضر الأفراد والجمهور لا يقبلان ويمتثلان بمجرد تعليلهما بدفع الضر وجلب النفع كما يزعمون ; لأمرين :

- أحدهما : أن إقناعك جميع أفراد الأمة أو أكثرها بضرر كل ما تراه ضارا ونفع كل ما تراه نافعا متعذر ، ولم يتفق لأحد من العقلاء والحكماء إرجاع أمة من الأمم عن عمل ضار ، ولا حملها على عمل نافع بمجرد دعوتهم إلى ذلك بالدليل على نفع النافع وضرر الضار ، ولا ترى أمة ولا قبيلة من البشر متفقة على شيء من ذلك إلا بسبب دعوة دينية أو تقاليد أوصلهم إليها اختبارهم الموافق لطبيعة معاشهم ، وكثيرا ما تكون هذه التقاليد المتفق عليها بين قوم مختلفا فيها عند آخرين ، أو متفقا على ضرر ما يراه أولئك نافعا ، ونفع ما يرونه ضارا .

- ثاني الأمر : أن مجرد الإقناع والاقتناع بضرر الضار ونفع النافع لا يوجب العمل ولا الترك ، لأنه قد يعارضه هوى النفس ولذتها فيرجح الكثيرون أو الأكثرون الهوى على المنفعة ، خصوصا إذا كانت لأمتهم لا لأشخاصهم ، وإننا نرى هؤلاء المعترضين المساكين يشربون الخمر ، وهم يعتقدون أنها ضارة ، وقد أفقر القمار بيوت أمثلهم وأشهرهم ، وأذل من أذل منهم بالدين والحجز على ما يملك ، وبيعه حتى قيل إنه أمات بعضهم غما وكمدا ، ونراهم مع ذلك مفتونين به لا يتركونه ، فإذا كان هذا شأن أرقاهم علما وفهما وأدبا وفلسفة في اتباع أهوائهم التي ثبت لهم ضررها بالاختبار والعيان ، وليس وراء ذلك برهان ؛ فكيف يزعمون أنه يمكن تهذيب الأمة بالإقناع العقلي على تعذره ، وما عرفوا من أثره ؟ !

وأما ما يعنون به من النظافة وبعض الآداب ، فإنهم لا يأتونه لما عندهم من الفلسفة والعلم بنفعه ، بل قلدوا فيه قوما اهتدوا إليه بأسباب اجتماعية علمية وعملية ، وتجارب واختبارات عدة قرون . حدثني رجل من أرقى الأمة الإنكليزية أخلاقا وأدبا وعلما واستقلالا - وهو مستر متشل أنس الذي كان وكيل نظارة المالية بمصر : أنه لا يزال يوجد في أوربا من لا يغتسل في سنته أو في عمره ولا مرة واحدة ، وأن الشعب

الإنكليزي هو أشد الشعوب الأوربية عناية بالنظافة ، والقدوة لها فيها ، كما يظهر ذلك لكل مسافر في البواخر التي يسافر فيها كثير من الأوروبيين المختلفي الأجناس ، وأن الإنكليز قد تعلموا الاستحمام وكثرة الغسل من أهل الهند .

ومن دلائل تقليد هؤلاء المتفرنجين المساكين في النظافة الظاهرة ، وأنهم ليسوا فيها على شيء من العقل والفلسفة ، أنهم في غسل الأطراف يستبدلون ما يسمونه " التواليت " بالوضوء الذي هو أكمل منه وأنفع ، وأن من يعنى منهم بأسنانه يستبدل في تنظيفها " الفرشة " بمسواك الأراك ، وهو أنفع منها بشهادة أئمتهم الإفرنج ، **كما قال أحد الأطباء الألمانيين لمن أوصاه بأسنانه : " عليك بشجرة محمد " صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في مجلة (غازتة باريس الطبية) تحت عنوان " عناية العرب بالفم " :** بتأثير السواك تصير الأسنان ناصعة البياض ، واللثة والشفتان جميلة اللون الأحمر ، إلى أن قالت : وإنه ليسوؤنا ألا تكون عنايتنا بأفواهنا ، ونحن أهل المدنية ، كعناية العرب بها ، وقالوا : إن ما في عود الأراك من المادة العفصية العطرة يشد اللثة ، ويحول دون حفر الأسنان ، وإنه يقوي المعدة على الهضم ، ويدر البول ، وقد فاتنا أن نذكر هذا عند الكلام على السواك .

ثالثا : إذا ثبت بالعقل والبرهان والاختبار والعيان أن إقناع أمة من الأمم بالنفع والضرر متعذر ، وأن حملها على ترك الضار وعمل النافع للأفراد وللجمهور ; لأنه نافع ، غير كاف في هدايتها ، ثبت أن إصلاح شأنها بالفضيلة والآداب ، وترك المضار ، والاجتهاد في سبيل المنافع ، يتوقف على تأثير مؤثر آخر يكون له السلطان الأعلى على النفس ؛ وهو الدين ، فثبت بهذا أن الجمع بين معرفة حِكم الأعمال ، وكونها طاعة لله تعالى تؤهل العامل لسعادة النفس في الآخرة ، كما يستفيد بها ما يترتب عليها من المنفعة في الدنيا ، هو الذي يرجى أن يذعن له جمهور الأمة ، فمن الناس

من لا يطمئن قلبه بالإيمان والإذعان لأحكام الدين إلا إذا عرف حكمة كل أصل من أصوله ، وكل حكم من كليات أحكامه ، ومنهم من يذعن لكل ما يأمره به دينه ، ولا يهمه البحث عن حكمته، لأن استعداده لطلب الحكمة ضعيف ، ولكنه إذا قبل ذلك ، بادئ بدء ، من غير معرفة حكمته لا يلبث أن ينال حظا من هذه الحكمة عندما يتفقه في دينه كما يجب عليه ، ومهما ضعف الدين فهو أعم تأثيرا من الإقناع العقلي ، فقلما يوجد مسلم متدين لا يغتسل من الجنابة ، وما نراه من ترك كثير ممن يسمون مسلمين للكثير من مهمات الإسلام ، فسببه أنه ليس لهم من الإسلام إلا الاسم ، فلا تعلموا حقيقته ، ولا تربوا على تزكيته .

رابعا : أن معنى كون الطهارة ، وغيرها من الأعمال الأدبية والفضائل ، دينا هو أن الوحي الإلهي يأمرنا بها لما فيها من الخير والفوائد الذاتية التي تنفعنا ، وتدرأ الضر عنا ، وهو ما بيناه أولا ، ولفوائد أخرى لا ندركها إلا بجعلها من أحكام الدين .

خامسا : إن ما احتجوا به من تقصير كثير من المسلمين في الطهارة العامة ، لا حجة فيه ، نعم إنهم صاروا يقصرون في النظافة ، ويعدون الطهارة أمرا تعبديا ، لا ينافي القذارة ، ويرون أنه يمكن أن يكون الإنسان طاهرا ، وإن كان كالجيفة في وسخه ونتنه ، وأن يكون نظيفا تام النظافة ، وهو غير طاهر ، ويعدون كثيرا من الطيب والمائعات المطهرة نجسة كالكحول ، وأنواع الطيب التي يدخل فيها .

ونحن نقول : إن الدين الإسلامي حجة على أمثال هؤلاء ، وليسوا حجة عليه ، إلا عند من يجهل حقيقته ويتلقاه عنهم ، لا عن كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم . وأكثر هؤلاء المتفرنجين المعترضين يجهلون حقيقته ، ومنهم من لا يعرف من أصوله ولا من فروعه شيئا ، إلا ما يسمعه ويراه من هؤلاء العوام ، ولا

سيما المعممين منهم ، بل يعدون من الإسلام ما يسمعونه من بعض أعدائه ، ويقرءونه في صحفهم وكتبهم التي ينشرها دعاة النصرانية ، ونحوها ما يكتبه رجال السياسة ; لأنهم يتبعون فيه الهوى ، فكل من هذين الفريقين ينظر إلى كتب الإسلام ، وإلى حال المسلمين بعين السخط ، ملتمسا منها ما يمكن له أن يعيبه وينفر منه ; فهو لا يطلب حقيقته ، ولذلك لا يدركها ، ولا يقول ما ظهر له منها على وجهه ، بل يحرف الكلم عن مواضعه .

الفصل السادس

روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد وفي انتظاره للصلاة

المبحث الأول : روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد .

المبحث الثاني : روحانيات المسلم عند دخوله المسجد وانتظاره للصلاة.

المطلب الأول : روحانيات المسلم عند دخوله المسجد.

المطلب الثاني : روحانيات المسلم بعد دخوله المسجد وأثناء انتظاره للصلاة .

المبحث الأول

روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد

نحن في كل يوم نخرج من بيوتنا لتحقيق عددا من الأهداف .. فنخرج مثلاً للوظيفة أو لزيارة صديق أو لصلة رحم أو لشراء سلعة أو لقضاء مصلحة في دائرة حكومية .. فهل في هذه المشاوير كلها نخرج من البيت وفي دواخلنا نفس الإحساس .. لا أظن ذلك فالذي يخرج لقضاء مصلحة في دائرة حكومية لا يكون شعوره هو هو عندما يخرج ناوياً زيارة أحد أرحامه وهكذا يختلف الشعور ما بين مشوار وآخر ، وهنا أطرح هذا السؤال : ما هو شعورك عندما تخرج قاصداً بيت الله تعالى لأداء فريضة من فرائضه سبحانه ؟

ينبغي أن تعلو وجهك الابتسامة وأن ينشرح صدرك لأن هذا أهم مشوار تذهب إليه في حياتك، كيف لا ؟ وأنت ستدخل بيت الله تعالى وتقف بين يديه وتناجيه وتبث إليه شكواك وتتضرع إليه وتسأله حوائجك وتطلب منه إزالة همك وتفريج كربك .

بناءاً على ما سبق أقول : كان لا بد من وجود روحانيات لدى المسلم وهو خارج إلى بيت الله تعالى ، وهذا ما سيتضح من خلال النقاط الآتية :

- بعد أن يحقق المسلم الطهارة على الوجه المذكور من التطيب والتزين ولُبْس أجمل الثياب عملاً بقول الله تعالى : **(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) الأعراف (31)** وبقوله صلى الله عليه وسلم : **(إن الله جميل يحب الجمال)** رواه مسلم. فيُستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد ، وكذا يستحب التطيب لأنه من الزينة .

- ثم إن المسلم يخرج إلى بيت الله تعالى مهما كان الجو إذ إنه من حق الله تعالى عليه أن يمشي إليه زائراً له تعالى في بيته في الحر والبرد وفي حال قوته وضعفه ونشاطه وكسله .

- فمن روحانيات المسلم عند مشيه هذا أن يعلم يقيناً أنه يزور الله تعالى الملك الرحمن الرحيم .. نعم أنا أقصدها إنه يزور ربه جل وعلا فقد أخبرنا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال :(**من توضأ في بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد فهو زائر الله تعالى، وحق على المزور أن يكرم زائره**). رواه الطبراني، وصحح الهيثمي والسيوطي سنده، وحسنه الشيخ الألباني ، **لكن للأسف الشديد بعض المصلين يذهب للمسجد بملابس نومه ، وقد نسي أنه يقف أمام ربه ومولاه ؟**

قال أحدهم : صليت ذات يوم في المسجد ولاحظت أن أحد المصلين جاء إلى الصلاة بملابس النوم، فلما خرج من المسجد خرجتُ وراءه وقلت له تفضل عندنا في البيت لنشرب الشاي ؟ فاعتذر وقال لي : أنا مش جاهز لزيارتك ، فقلت له : كيف رضيت لنفسك أن تأتي إلى بيت الله بهذه الملابس؟ وتستحي أن تأتي بها إلى بيتي ؟ الله أحق أن تستحي منه .

- ومن روحانيات المسلم عند مشيه إلى بيت الله تعالى أن يسعى في تحقيق الإيمان لعلمه أن المساجد هي بيوت الله في الأرض وهي خير البقاع وأحبُّها إلى الله عز وجل ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، والمسجد بيت كل تقي ، ومن كان مداوما على عمارة المساجد والصلاة فيها فهذا دليل الإيمان بالله، قال الله تعالى : (**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**) التوبة (18).

- **ومن روحانيات المسلم عند مشيه إلى بيت الله تعالى :** أن يستحضر في عقله وقلبه أنه يطمع فيما عند ربه جل وعلا ، قال صلى الله عليه وسلم : (**من غدا إلى المسجد أو راح،أعد الله له نُزُلا من الجنة كلما غدا أو راح**) متفق عليه. فهل هناك هدفاً أسمى من نيل (**نُزُلا من الجنة**) أو غاية أجل وأعظم أو أفضل من ذلك .

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم (**من غدا إلى المسجد أو راح**)، ما قال: للصلاة فقط، والغدو يطلق على الذهاب في أول النهار، والرواح يكون في آخره، فسواء كان ذهب لاعتكاف، أو ذهب لطلب علم، أو ذهب لصلاة فإنه يعد الله -عز وجل- له بذلك نزلاً، والنزل هو ما يعد للضيف، فتصور هذا النزل الذي يعده الله تبارك وتعالى وهو أغنى الأغنياء، وهو أكرم الأكرمين -سبحانه وتعالى-، فلو أنك دعيت إلى مأدبة وأعد لك النزل -ما يوضع للضيف- فإن مثل هذا قد يحتاج الإنسان إلى مكافأة عليه، ورد للجميل وشكر وما أشبه ذلك، فهو شيء كثير، أو كبير أو يعده الإنسان من الإحسان الواصل إليه، يحتاج إلى مقابلته، ومع ذلك الله تبارك وتعالى بهذا العمل اليسير (**غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلاً كلما غدا أو راح**) في كل مرة يُعَد له نزلاً، فما ظنكم بهذا النزل الذي يعده رب العالمين -سبحانه وتعالى؟ كما أفاده أحد العلماء .

وزادك ربك الله - أيها الحريص - على الأجر ثواباً فأخبرك النبي صلى الله عليه وسلم: (**صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**). **رواه البخاري.**

- **ومن روحانيات المسلم عند خروجه إلى بيت الله تعالى أن يستحضر أنه :** يطلب مغفرة السيئات ورفع الدرجات في جنة عرضها الأرض والسموات كما أخبرنا حبيبنا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : (**من تطهر في بيته ثم مشي إلى بيت من بيوت الله**

ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة) رواه مسلم .

- ومن روحانيات المسلم عند خروجه إلى بيت الله تعالى :أن يقول الدعاء الوارد عن خير الأنبياء صلى الله عليه وسلم : (باسم الله توكلت على الله ، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل علي) حديث صحيح رواه أبو داود الترمذي والنسائي ، وهذا يقال أينما توجه الإنسان إلى المسجد أوغيره

- فإذا توجه إلى بيت الله تعالى عليه أن يشرِّف لسانه وجنانه بما ورد من الدعاء عن خير الأنام عليه الصلاة واسلام في هذا المقام (اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي لساني نوراً، وفي شعري نوراً، وفي بشري نوراً، وفي عظمي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً، اللهم اجعل أمامي نوراً، وخلفي نوراً، وعن يمين نوراً، وعن شمالي نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً، وزدني نوراً، وأعظم لي نوراً) رواه البخاري ومسلم .

- قال القرطبي رحمه الله تعالى : (هذه الأنوار التي دعا بها رسول الله يمكن حملها على ظاهرها؛ فيكون سأل الله تعالى أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نوراً، يستضيء به يوم القيامة في تلك الظلم، هو ومن تبعه أو مَن شاء الله منهم. والأولى أن يقال: هي مستعارة للعلم والهداية؛ كما قال تعالى: (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) سورة الزمر (الآية 22)وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) الأنعام (الآية: 122) .

وقال غيره : والتحقيق في معناه أن النور مُظهِرٌ ما نسب إليه، وهو يختلف بحسبه، فنور السمع مظهر للمسموعات، ونور البصر كاشف للمبصرات، ونور القلب كاشف عن المعلومات، ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات.

وقال الطيبي رحمه الله: (معنى طلب النور للأعضاء عضواً عضواً؛ أن يتحلى بأنوار المعرفة والطاعات ويتعرى عما عداهما؛ فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس، فكان التخلص منها بالأنوار السادَّة لتلك الجهات).

وكل هذه الأمور راجعة إلى الهداية والبيان وضياء الحق، وإلى ذلك يرشد قوله تعالى: (**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**) إلى قوله تعالى: (**نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**) سورة النور، الآية:(35).

- **ومن روحانيات المصلي عند خروجه إلى بيت الله تعالى** : أن يستحضر ما ورد في الحديث (**رجل قلبه معلق بالمساجد**)، جاء في وصف هذا التعلق : إن المسلم كلما نودي للصلاة فيها سارع إليها وإليه بشوقٍ وشديدِ رغبة؛ لينال القلب ارتياحه الذي لا يتهيأ بمتاع الدنيا وإنْ عَظُم، فسبيله في ذلك سبيل من كان يأمر بلالاً رضي الله عنه: (**أَرِحنا بها يا بلال**) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإذا قُضِيَت الصلاة ظلَّ القلب معلَّقًا بالمسجد، وإن خرج منه الجسد، حتى يعود إليه مرة أخرى.

وما كان هذا التعلُّق أن يأتِيَ من فراغ، ولكنه ثمرة التعلق بالله سبحانه وتعالى، محبةً وإنابةً ورغبة ورهبة وخوفًا ورجاءً وإخلاصًا وتوكُّلاً وذلاً وتعبُّدًا، فالتعلق بالله عز وجل وحده هو الغاية العظمى والنجاة الحقة .

- **ومن روحانيات المصلي عند خروجه إلى بيت الله تعالى :** أن يعلم أنه حينما يستحضر تلك المعاني كلها فإن هذا سيدعوه إلى الإخلاص الذي هو لب لباب الأعمال

وغاية أمنيات العمال: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : (من أتى المسجد لشيء فهو حظه) رواه أبو داود . وهذا يدل على أن من أتى المسجد لقصد حصول شيء أخروي أو دنيوي فذلك الشيء حظه ونصيبه ؛ لأنه – كما في الحديث (ولكل امرئ ما نوى)، وهذا فيه تنبيه على تصحيح النية في إتيان المساجد لئلا يكون مختلطًا بغرض دنيوي ، كالتمشية أو اللقاء مع الأصحاب بل ينوي العبادة وزيارة بيت الله ويرجو الثواب من عند الله عز وجل.

- **ومن روحانيات المصلي عند خروجه إلى بيت الله تعالى :** أن يجعل نياته متعددة أي لا يقتصر على نية أداء صلاة الجماعة فقط بل عليه أن ينوي عددا من الأعمال الصالحات : كتكثير سواد الصالحين والاعتكاف في المسجد وينوي السلام على جيرانه وينوي الصدقة إن وجد محتاجاً وحضور الدرس إن قام واعظ يعظ الناس أو إن كان له حظ من العلم أن ينوي بخروجه تعليم الناس ،فيكون بهذا حاز أجر حجة تامة كما ورد في حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ الله عَنْه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ قَالَ: (مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ)[32].

كما له أن ينوي زيارة مريض إن علم أن هناك مريض من أهل المسجد وبذلك يحوز ثواب عيادة المريض الوارد في حديث جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ , فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2504) .

30/ أخرجه الطبراني (94/8 ، رقم (7473) قال الهيثمي (123/1) رجاله موثقون كلهم . والحاكم (169/1 ، رقم 311,وأبو نعيم في الحلية 97/6 ، وابن عساكر (456/16 . قال الألباني: حسن صحيح .

وغير ذلك من النيات فيحوز جميع هذه الأجور وإن لم يفعلها لقوله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نوى**).

- ومن روحانيات المصلي عند خروجه إلى بيت الله تعالى في أيام الحر الشديد : أن إذا دعته النفس إلى الصلاة في البيت متعذرة له بشدة الحر أن يستحضر ما أخبر به الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في حق النار : (**ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم**)، قالوا: والله إن كانت لكافية! قال:(**إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها**) فحقٌ على العاقل أن يسأل نفسه وهو يتقي حرّ الدنيا: ماذا أعدّ لحرِّ الآخرة ونارها؟

ويخاطب نفسه قائلاً : إذا كنت لا تصبرين على مشية قصيرة في حرِّ الظهيرة، كيف بك إذا دنت الشمس من رؤوس الخلق، وطال وقوفهم، وعظم كربهم، واشتد زحامهم؟!

عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا**) ، قال: وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه. رواه مسلم.

ورأى عمر بن عبد العزيز رحمه الله قومًا في جنازة قد هربوا من الشمس إلى الظل، وتوقوا الغبار، فأبكاه حال الإنسان يألف النعيم والبهجة، حتى إذا وُسِّد قبره فارقهما إلى التراب والوحشة، وأنشد:

من كان حين تُصيبُ الشمسُ جبهته أو الغبارُ يخافُ الشَينَ والشَعثا

ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشته فسوفَ يسكنُ يوماً راغمًا جدثًا

في ظل مَقْفَرَةٍ غبراءَ مظلمةٍ يُطيلُ تحت الثرى في غمها اللبثا

جهزي بجَهَازٍ تبلُغين به يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا

وقال آخر:

تفـــر من الهجـــير وتتقيه فهلّا من جهنم قد فررتا

وتُشفق للمصر على الخطايا وترحمه ونفسك ما رحمتا

فوائد لا تخلو من روحانيات :

ومما يعين المسلم على تحصيل تلك الروحانيات أن يتأدب بما ورد من آداب عن خير البريات عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات وهي :

أولاً : الخروج إلى المسجد مشيًا، وعدم الجري في الطريق إليه :

إذا خرج المسلم من بيته متوجِّهًا إلى المسجد ليؤدي الصلاة في جماعة المسلمين، فينبغي أن يكون مَشِيُه بسَكينة ووَقار، والسكينة: هي الطُّمأنينة والتأني في المشي، والوقار: هو الرصانة والرزانة والهدوء وغضُّ البصر وخَفضُ الصوت وقلة الالتفات، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**إذا سمعتم الإقامةَ فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**)، والمعنى المراد: فما أدركتم من الصلاة مع الإمام فصلُّوه معه مقتدين به، وما فاتكم من الصلاة مع الإمام فأتِمُّوه، أي: أكملوه وحدكم.

ثانيًا: التبكير إلى الصلاة، وإدراك تكبيرة الإحرام :

ينبغي للمسلم أن يخرج إلى المسجد مبكرًا؛ ليُدرك تكبيرة الإحرام خلف الإمام وليحضر الصلاة مع الجماعة من أوَّلِها، فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كُتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق**) رواه الترمذي.

ثالثًا: المقاربةُ بين الخُطى:

وينبغي للمسلم أيضًا أن يقارب بين الخُطَى في مَشْيِه إلى الصلاة، لتكثُر خطواته، وتكثر تبعًا لذلك حسناتُه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا توضأ أحدكم فأحسنَ الوُضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يُخْرِجُه إلا الصلاة، لم يَخْطُ خطوةً إلا رُفِعت له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة**).

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (**إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصليها ثم ينام**) رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً**) رواه مسلم .

وعَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :(بَشِّرْ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود

قال ابن علان رحمه الله : " الظُّلَم : جمع ظلمة ، وهي تعم ظلمة العشاء والفجر . وفي الحديث : فضل المشي إلى الصلاة سواء كان المشي طويلاً أو قصيراً ، وفضل المشي إليها للجماعات في ظلم الليل " انتهى[33].

وهذا الفضل ثابت - إن شاء الله - لمن صلى العشاء والفجر مع الجماعة ، ولو كانت الطرق مضاءة . لأن هاتين الصلاتين في ظلمة الليل.

فهذه الأحاديث وغيرها فيها حث للمسلم على أن يجتهد في إتيان المسجد ماشياً لا راكباً ولو كانت داره بعيدة , ما لم تكن مشقة أو عذر ككبر ونحوه ، وألا يعوَّد نفسه ركوب السيارة ، إذا كان المسجد تصله القدم بلا مشقة.

رابعاً : مع هذه الفضائل العظيمة في المشي إلى المسجد من محو الخطايا ورفع الدرجات والأجر العظيم والنور التام يوم القيامة ؛ فإن هناك فوائد أخرى عظيمة تعود على البدن:

إن المشي إلى المسجد هو رياضة بحد ذاته وفوائده لا تحصى ؛ وله دور كبير في تقوية الجسم وتنشيطه بإذن الله تعالى ؛ ليكون أهلاً لمقاومة الأمراض والآفات.

إن السعي إلى بيوت الله كل يوم في أوقات معلومة متقطعة يكفي لتمرين العضلات وتنشيط الأوصال وتحسين حالة الجسم ، كما أن المشي إلى المساجد يساهم في الوقاية من الأمراض التي يسببها الخمول وكثرة الجلوس وعلى رأسها السمن ؛ لأن المشي يعمل على إذابة الشحوم والدهون. **كما أن المشي علاج لأمراض القلب حيث إنه يعطي القلب - بإذن الله - القدرة على العمل وتحمل الجهود ، حيث تكون**

33/ دليل الفالحين بشرح رياض الصالحين – لابن علان - (3/558-559)

الدورة الدموية أكثر انتظاماً. كما أن المشي إلى المسجد علاج للتعب الذهني والتفكير الطويل ؛ إذ إنه يعيد العقل إلى حالته الطبيعية ، ويساعد على الاسترخاء العصبي والعضلي.

وبالجملة ففي المشي إلى بيوت الله تعالى من الفوائد الصحية الشيء الكثير مما أبان عنه الطب الحديث ، وهي فوائد عاجلة ينعم الله تعالى بها على عبده المؤمن في الدنيا حيث لبى النداء وأجاب داعي الله ، وهناك الأجر العظيم والنور التام في الدار الآخرة إن شاء الله تعالى 34.

34/ أحكام حضور المساجد" (60-62) لفضيلة الشيخ عبد الله الفوزان .

المبحث الثاني

روحانيات المسلم عند دخوله المسجد وانتظاره للصلاة

المطلب الأول : روحانيات المسلم عند دخوله المسجد .

المطلب الثاني : روحانيات المسلم بعد دخوله المسجد وأثناء انتظاره للصلاة .

المطلب الأول

روحانيات المسلم عند دخوله المسجد

نحن ندخل أماكن عديدة في حياتنا اليومية ، فنزور صيديقاً في بيته ونزور آخر في متجره وربما يكون لنا حظ فنزور عالماً من كبار العلماء في مجلسه للإفادة من علمه ،فهل شعورنا يكون واحداً في تلك الأمكان كلها أم أنه يختلف ؟ وهل تصرفاتنا فيها واحدة أم أنها تختلف ؟ لا شك من وجود اختلاف كبير بين جلوسي مع صديقي في بيته وجلوسي في بيت ذلك العالم من حيث التصرف والشعور ، فسوف تراني منبسطاً في بيت صديقي وربما أضحك بأعلى صوتي لكن من المستحيل أن أفعل الشئ ذاته في العالم ؟ وهو أدب مطلوب لهيبة العلم وهيبة المجلس .

على ضوء ما سبق أقول: الآن أنا سأدخل بيت الله تعالى فما هو شعوري وقد وصلت إلى الباب ؟ هنا يأتي دور معرفة الروحانيات فأقول راجياً من الله العون القبول :

- **من روحانيات المسلم عند دخوله المسجد** : استحضار عظمة المكان وأنه بيت الرحمن جل جلاله فقد تعالى **(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)** النور (36) ،قال قتادة رحمه الله: "المساجد أَمَرَ الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها، وقد ذكر لنا أن كعباً كان يقول: "مكتوبٌ في التوراة إن بيوتي في الأرض المساجد، وإنه من توضأ فأحسن وضوءه، ثم زارني في بيتي أكرمته، وحق على المزور كرامة الزائر."

- **ومن روحانيات المسلم عند دخوله المسجد** : استحضار عظمة الله تعالى الذي سأدخل بيته هو صاحب العظمة والجلال ، الموصوف بصفات الجمال والكمال ،وهو

الملك ومالك الملك الذي بيده كل شئ ، ولا يغيب عنه شئ ، والقادر على كل شئ ، والمدبر لكل شئ ، هو الرحمن الرحيم ، الذي يريد بعباده الخير في الدنيا والآخرة ،وأستحضر أيضا أن بيته مهبط الرحمات الربانية ،فهل يعقل أن أدخل بيته دون أدنى تغير في إحساسي أو أن أشعر بأنني سأدخل مكاناً يختلف عن جميع الأماكن ، إن المسجد أخذ قدسيته من نسبه إلى الله تعالى (**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)** سورة التوبة (18) هكذا قال الله **(مساجد الله)** ، **فأضافها إليه إضافة تشريف وتمجيد وتكريم .**

ولما سمعت من تلك الإضافة قال العلماء : لم يكن شيءٌ في الوجود على قلب المسلم يلقى التقديس والتعظيم والإجلال مثل كتاب الله، وحرمات الله، وبيوت الله، فإن بيوت الله من شعائره التي يجب أن تعظّم، ولا يحتاج مسلم صادق في توجهه إلى الله، وموثّق ارتباطه بدينه، لا يحتاج إلى مذكِّر له بتعظيم بيوت الله، وإنما يندفع اندفاعاً من تلقاء نفسه يعظِّم بيوت الله، ويصون حرمتها، ويحافظ على قدسيتها، إلاّ من شذّ ممن لا ينتبه من نفسه.

وقد أقام الإسلام تعظيم بيوت الله، وصيانة حرمتها، وإبقاء قدسيتها على ثلاثة أركان:

1/ ركن التقدير: وهو التعظيم لها واحترامها ظاهرا وباطنا فلا يزال المسجد عظيما في نفس كل مؤمن ، يتجنب فيه رفع الصوت فلا يتكلم فيه إلا همسا ، ومن ابا أولى ألا يزعج أحدا يقوم فيع بعبادة الله تعالى سواء بالصلاة أو الذكر أو تلاوة القرآن أو تعليم العلم .

2/ وركن التطهير: أي ينظف المسجد من الأوساخ والأدناس وقد ورد في ذلك من الأجور قوله صلى الله الله عليه وسلم : (عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد) رواه أبو داود والترمذي وعائشة قالت : (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدُّور وأن تنظف وتطيب) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (487).

ما يدل على فضل من اعتنى بذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقم المسجد فمات فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا مات قال أفلا كنتم آذنتموني به ؟ دلوني على قبره أو قال قبرها فأتى قبرها فصلى عليها" متفق عليه . ومعنى يقم : أي ينظف .

3/ وركن التعمير : وعمارة المساجد بمعناها العام تشمل العمارة بنوعيها الحسية والمعنوية وهي المقصودة هنا كالصلاة فيها ولزومها وعبادة الله فيها، وتعيين الأئمة والمؤذنين فيها، وفتح حلق الذكر فيها من تعليم القرآن والفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم النافعة،وجاءت الإشارة إلى هذا في قوله تعالى: **(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)** سورة التوبة (18)

- ومما يعين المسلم على استحضار تلك روحانيات عند دخوله المسجد :أن يتلو الدعاء الذي علمنا إياه سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث أمر الداخل لبيت الله أن يدخل برجله اليمنى وأن يقول: (بسم الله اللهم صَلِّ على محمد) رواه ابن السُّني وحسنه الألباني.ويقول أيضاً : (اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك) رواه أحمد وغيرُه.

- والسبب في تقديم الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي علمنا وأرشدنا كما أنه قدوتنا وليكون بقاؤنا في المسجد وجميع تصرفاتنا فيه على وفق سنته صلى الله عليه وسلم .ومعنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في جميع المواضع، أن يذكره ربه في الملأ الأعلى، وقيل: تعظيمه في الدنيا بإعلاء كلمته، وإحياء شريعته، وفي الآخرة برفع درجته، وتشفيعه لأمته.

- **قوله: (أبواب رحمتك)** أي: أنواع رحمتك.يقول الطيبي رحمه الله تعالى - كما في تحفة الأحوذي - : "لعل السر في تخصيص الرحمة بالدخول، والفضل بالخروج؛ أن من دخل اشتغل بما يزلفه إلى ثوابه وجنته، فيناسب ذكر الرحمة، وإذا خرج اشتغل بابتغاء الرزق الحلال فناسب ذكر الفضل كما قال الله تعالى: {**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاة فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**} سورة الجمعة (10).انتهى"

ويقول أحد العلماء (**لعلَّ ذلك لأنَّ الداخلَ طالبٌ للآخرة، والرَّحمةُ أخصُّ مطلوبٍ له، والخارجُ طالبٌ للمعاش في الدنيا وهو المراد بالفضل**) .

- **ومما يعين المسلم على استحضار تلك روحانيات عند دخوله المسجد أيضاً** : أن يستحضر أنه بدخوله إلى بيت الله تعالى يغيظ الشيطان ،ولذا ندب له أن يقول أيضًا: **(أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم ،فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم)** رواه أبو داود.

جاء في معنى هذا الدعاء : وبوجهه الكريم : كل شيء يشرف في بابه؛ فإنهم يصفونه بالكرم، ولا يستعمل الكرم في وصف أحد إلا في المحاسن الكثيرة، والعرب تقول: كرَّم الله وجهك؛ أي: أكرمك، ويستعمل الوجه في أشرف ما يقصد، وأعظم ما يُبتغى، ووجه الله الكريم أشرف ما يتوجه إليه، وأكرم ما يتوسل به.

قوله: وسلطانه القديم : السلطان في الأصل الحجة، والمراد به هاهنا قهره وقدرته الباهرة القديمة.ومعنى اختصاص وجه الله الكريم، وسلطانه القديم بالذكر عند الاستعاذة؛ أن التعوذ إنما يصح بمن انتهى كرمه، وعلا شأنه، وكملت قدرته، فلا يَخْذِلُ المستعيذ به، ولا يُسْلِمُهُ، ولا يُخيبُ رجاءه، ولا يعجز عن أمره، ولا يحيل إلى غيره، وذلك بما لا يوجد إلا عند الله، ولا ينال إلا منه سبحانه وتعالى.

قوله : **الرجيم** أي: المطرود من رحمة الله تعالى .

فائدة :

يقول الشيخ العباد: "وقد دلَّت النصوصُ المتقدِّمة على أهميَّة التعوُّذ بالله من الشيطان الرجيم، والالتجاء إلى الله عزَّ وجلَّ منه سواء عند دخول المسجد، أو عند الخروج منه، وفي الدخول يقول كما في حديث عبد الله بن عَمرو المتقدّم: (**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**)، وأنَّ العبدَ إذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ منِّي سائر اليوم، أي جميعه، وفي الخروج يقول كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدِّم: (**اللَّهمَّ اعصمني من الشيطان**)، وما مِن شكٍّ أنَّ الشيطان حريصٌ على الإنسان غاية الحرص عند دخول المسجد ليَصدّه عن صلاته، وليفوت عليه خيرها، وليقلل حظّه ونصيبه من الرحمة التي تنال بها، وحريص غاية الحرص على الإنسان عند خروجه من المسجد ليسوقه إلى أماكن الحرام، وليوقعه في مواطن الريب، فإن كان طريق خير قعد له فيه ليُثبطه عنه، وليُثنه عن المُضِيّ فيه، وإن كان بخلاف ذلك قعد له فيه ليشجعه على المضيّ فيه، وليدفعه على الاستمرار والمواصلة، نسأل الله أن يعيذنا وإيَّاكم وجميع المسلمين منه". منقول من فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (3/121،122)

المطلب الثاني

روحانيات المسلم بعد دخوله المسجد وأثناء انتظاره للصلاة

بعد أن تدخل أخي المصلي المسجد برجلك اليمنى قائلاً الدعاء الذي شرحناه آنفاً فعليك الآن أن تتذكر أنه من واجبك ما دمت في بيت الله تعالى أن تلتزم الهدوء وألا ترفع صوتك لا بالذكر ولا بتلاوة القرآن ولا بالصلاة ، وذلك لما فيه من الإعانة على الخشوع وحضور القلب ، ولأن العلماء يقولون : يحرم رفع الصوت على وجه يشوّش على المصلين ولو بقراءة القرآن، ويستثنى من ذلك درس العلم، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه و سلم اعتكف في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر، وقال : (**ألا أن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة**). رواه أبو داود والنسائي والبيهقي والحاكم.

- **فمن روحانيات المسلم بعد دخوله المسجد** : أن لا يجلس حتى يصليَ ركعتين تحية المسجد، فعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا دخل أحدُكم المسجدَ، فلا يجلسْ حتى يصليَ ركعتين**) متفق عليه .

وتعتبر تحية المسجد بمنزلة السلام، فكما أنك تلقي السلام على أحبابك وأصدقائك ومعارفك، فإنه من التكريم والإجلال والإكبار لبيت الله تعالى أن تسلم عليه بتأدية ركعتين عند الدخول إليه، لذلك فمن الأفضل أن يصلي المسلم ركعتي تحية المسجد كلما دخل إليه. قال النووي-رحمه الله-: "**وعبر بعضهم بتحية رب المسجد، لأن المقصود منها القربة إلى الله، لا إلى المسجد، لأن داخل بيت الملك، يحيي الملك لا البيت.**"

- ولعله لأجل هذا المعنى كانت صلاة تحية المسجد مشروعة لكل من دخل المسجد، وفي جميع الأوقات والأحوال، قال النووي . رحمه الله: ولم يترك النبي صلى الله عليه وسلم التحية في حال من الأحوال، بل أمر الذي دخل المسجد يوم الجمعة وهو يخطب فجلس أن يقوم فيركع ركعتين، مع أن الصلاة في حال الخطبة ممنوع منها إلا التحية، فلو كانت التحية تترك في حال من الأحوال لتركت الآن، لأنه قعد وهي مشروعة قبل القعود، ولأنه كان يجهل حكمها، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قطع خطبته وكلمه وأمره أن يصلي التحية، فلولا شدة الاهتمام بالتحية في جميع الأوقات لما اهتم عليه السلام هذا الاهتمام. انتهى.

- ومن روحانيات المسلم بعد أدائه للنافلة أن يجلس بأدب في انتظار الصلاة ومما يِحْمِلُه على هذا الأدب عِلْمُهُ أنه في حكم المصلي، ويجري عليه أجرُه؛ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة)** رواه البخاري.

- ومن روحانيات المسلم في حال انتظاره للصلاة : أن يستحضر أن الملائكة تدعو له وأنه الآن في صحبتها ولا أظن أن في الدنيا شعوراً أجمل من هذا الشعور ولا لحظات أجمل منها ، فقد ورد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(الملائكة تصلي على أحدِكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يُحْدِث، تقول: اللهم اغفر له! اللهم ارحمه!)** رواه البخاري ومسلم.

فالملائكة تدعو له بالرحمة والمغفرة ما دام جالسًا متطهرًا في مصلاه الذي صلى فيه، فإذا قام أو انتقض وضوؤه انقطع دعاء الملائكة له بالرحمة والمغفرة. فكم يفوتك

المصلي من هذا الخير بسبب حضورك إلى الصلاة متأخرا، وكم يفوت المسرع إلى أبواب المساجد فور انقضاء الصلاة من دعاء الملائكة؟! .

- **ومن روحانيات المسلم في حال انتظاره للصلاة** : أن يشتغل بالدعاء فانه مستجاب فما أحوج المسلم في هذه الأزمنة إلى الدعاء لنفسه وأسرته وأمته ،أن يقيه شر الفتن والبلايا والرزايا والمصائب والمتاعب وفقدان الإيمان أو أن يستخفه الشيطان فيكون من أهل العصيان .وقلنا الدعاء مستجاب لما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ)** رواه الترمذي وصححه، وأبو داود، وصححه الألباني.

قال الشوكاني رحمه الله تعالى : (وقد عيَّن - في بعض الروايات - ما يُدعى به صلى الله عليه وسلم لما قال : **(الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ، قالوا فما نقول يا رسول الله ؟ قال : سلوا الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة) قال ابن القيم : هو حديث صحيح ، وفي المقام أدعية غير هذه**) اهـ .[35]

ومن روحانيات المسلم في حال انتظاره للصلاة أن يشتغل بذكر الله وتلاوة القرآن ومعلوم أن ذلك يجعله ينال ما يناله بالدعاء بل أعظم ، قال الحافظ في فتح الباري: " إن الذاكر يحصل له ما يحصل الداعي إذا شغله الذكر عن الطلب، كما في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : **(يقول الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . أخرجه الطبراني بسند لين، وحديث أبي سعيد بلفظ: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي**) أخرجه الترمذي وحسنه " . انتهى.

35/ نيل الأوطار – للشوكاني - (66/2) .

- ولما كانت تلاوة القرآن نوع من االذكر بل هي أفضل الذكر قلنا يشتغل بذكر الله وتلاوة القرآن ، جاء في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: " الأصل : أن جنس تلاوة القرآن أفضل من جنس الأذكار، كما أن جنس الذكر أفضل من جنس الدعاء، كما في الحديث الذي في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(**أفضل الكلام بعد القرآن أربع، وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**) " . انتهى.

ومما يعين على هذا الروحانيات التأدب بهذه الآداب منتظِرًا الصلاة :

1/ أن يجتنب الخوض في أحاديث الدنيا وأن يجتنب العَبَث كتشبيك الأصابع وغير ذلك؛ فقد ورد النهيُ عن التشبيك بين الأصابع لمُنتظر الصلاة، فعن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا توضأ أحدُكم فأحْسَنَ وُضوءَه، ثم خرج عامدًا إلى المسجد، فلا يُشَبِّكن بين أصابعه، فإنه في صلاة**) رواه أبو داود والترمذي.

فإن كان التشبيك بين الأصابع على وجه العبث منهيٌ عنه قبل الصلاة وفي الطريق إليها، وكان هذا العمل اليسير يُشْغِلُ القلبَ، ويُفَرِّقُ شمْلَه، ويصْرِفُه عما هو بصدده من مناجاة الرحمن سبحانه، ويُشْعِر بقِلة المبالاة والاستخفاف بشأن الصلاة، فكيف بغيره من المُلْهيات التي يرتكبها كثير من رُوَّاد المساجد اليوم، مِنَ العَبَثِ بالجوَّالات وغير ذلك مما يندى له جبين المسلم الغيور على صلاته؟!

2/ أن يحرص المصلي على أداء الصلاة في الصف الأول خلف الإمام، وان ينافس في نيل هذا الشرف، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لو يعلم الناسُ ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن**

يَسْتَهِمُوا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون ما في التَّهْجِير لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العَتَمَة والصُّبْح، لأتَوْهُما ولو حَبْوًا) رواه البخاري ومسلم.

ومعنى قوله : (**ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتَهِمُوا عليه لاستهموا**) أي : إذا لم يجدوا وسيلةً للوصول إليه إلا أن يقترِعوا، لاقترعوا! ، والتهجيرُ: التبكير إلى الصلوات ، والعتمة هي صلاة العشاء.

ومما يتنافي مع روحانيات انتظار الصلاة أن يتحدث الناس بكلام الدنيا : فقد ورد النهي والذم عن حديث الدنيا في المساجد، لمن كان حديثهم الدنيوي في المساجد، الذين يتكلمون: ما هي الأخبار اليوم؟ ماذا بعت يا فلان؟ وماذا قالت الإذاعة الفلانية؟ أعطونا الأخبار، هذه أحاديث دنيوية تتنافى مع بيوت الله. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "سيكون في آخر الزمان قومٌ يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيه الحاجة" رواه الحاكم في المستدرك وقال : " صحيح الإسناد " ووافقه الذهبي ورواه ابن حبان في صحيحه .

الفصل السابع

روحانيات القيام وما يُتلى فيه من الأذكار

المبحث الأول : روحانيات القيام ووضع السترة والنظر إلى موضع السجود والنية .

المبحث الثاني : روحانيات التكبير والاستعاذة ودعاء الاستفتاح .

المطلب الأول : روحانيات تكبيرة الإحرام.

المطلب الثاني : روحانيات دعاء الاستفتاح.

المطلب الثالث : تفسير وروحانيات الاستعاذة .

المبحث الثالث : روحانيات تلاوة سورة الفاتحة .

المبحث الرابع : روحانيات القراءة بعد سورة الفاتحة .

المبحث الأول

روحانيات القيام ووضع السترة والنظر إلى موضع السجود والنية

في هذا المبحث سنتاول روحانيات أربع عبادات مما هو مطلوب في القيام :

الأولى : القيام بين يدي الله تعالى وهو من الأركان الفعلية في الصلاة .

الثانية : وضع السترة وهو من السنن الفعلية في الصلاة .

الثالثة : النظر إلى موضع السجود .

الرابعة : النية . وهي ركن قلبي لا بد منه لتصح الصلاة .

أما في المباحث التالية لهذا المبحث فسيكون الحديث عن روحانيات ما يتلى فيه من ذكر وهو خمسة أذكار : تكبيرة الإحرام ودعاء الاستفتاح والاستعاذة وقراءة الفاتحة وقراءة السورة بعدها - في الركعة الأولى - وتصبح الأذكار ثلاثا في الركعة الثانية بترك الاستفتاح والاستعاذة ، وتصبح اثنتين في الركعة الثالثة وهما التكبير والفاتحة .

أولاً : روحانيات القيام بين يدي الله تعالى واستقبال القبلة :

عند حضور المسلم للصلاة يقوم القيام الموافق للسنة المطهرة فيرفع يديه حذو منكبيه ثم يرسلهما لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : **(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه،ووضع يده اليمنى على اليسرى بعد تكبيرة الإحرام تحت صدره فوق سرته ووضعهما في السجود على الأرض حذو منكبيه)** متفق عليه .

- **فمن روحانيات لحظة القيام بالذات استحضار جلالة وعظمة وكبرياء الله :** الذي أنت الآن واقف بين يديه وستناجيه كما استحضرت عظمته عند دخول بيته والآن ينبغي أن يخفق قلبك وتخشع جوارحك ، فهذه مناجاة لمن خَلَقَك ورَزَقك وعافاك وحفظك ، أمدَّك بنعم لا تحصى وفضْلٍ لا يُنسى وأفضل ما أمدك به الإيمان ومحبة الرحمن والحب لفرائضه العظام .

- **ومن روحانيات لحظة القيام :** استحضار معنى قوله تعالى **(وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)** سورة البقرة (238) كما بينه العلماء : إن في القنوت معنى المداومة على الضراعة والخشوع ، أي : قوموا ملتزمين لخشية الله تعالى واستشعار هيبته وعظمته ، ولا تكمل الصلاة وتكون حقيقية ينشأ عنها ما ذكر الله تعالى من فائدتها إلا بهذا ، وهو متوقف على التفرغ من كل فكر وعمل يشغل عن حضور القلب في الصلاة وخشوعه ، لما فيها من ذكر الله بقدر الطاقة .

- ولذا كان لا بد من التخلي عن الجميع الشواغل قبل هذا القيام قال ابن القيم رحمه الله **(وأُمر بأن يستقبل القبلة . بيته الحرام . بوجهه ، و يستقبل الله عز و جل بقلبه ، لينسلخ مما كان فيه من التولي و الإعراض ، ثم قام بين يديه مقام المتذلل الخاضع المسكين المستعطف لسيِّده عليه ، و ألقى بيديه مسلّماً مستسلماً ناكس الرأس ، خاشع القلب مُطرق الطرف لا يلتفت قلبه عنه طرفة عين ، لا يمنة و لا يسرة ، خاشع قد توجه بقلبه كلِّه إليه.و أقبل بكليته عليه)** .

ومن روحانيات استقبال القبلة في القيام : ما أشار إليه الغزالي رحمه الله بقوله **(أما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوباً منك هيهات**

فلا مطلوب سواه. وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك. فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه)اهـ

ومن روحانيات الاعتدال في القيام : ما أشار إليه الغزالي بقوله : **(وأما الاعتدال قائماً فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطئاً متنكساً، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه إلا تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال.**

واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قَدِّر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع، وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أَوَتَخشِين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يُخشى؟ فقد جاء في الحديث :عَنْ سَعِيدِ

بن يَزِيدَ الأَزْدِيّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْصِنِي ، قَالَ : (أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ) [36].

ومن روحانيات الاعتدال في القيام ما أشار إليه الغزالي أيضاً بقوله (وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم (**إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت**) رواه أبو داود ،وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة. فإذا التفت إلى غيره فذكّره - أي قلبك - باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجَى عند غفلة المناجي عنه ليعود إليه .

والخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً ثمرة الخشوع. ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه وقد رأى رجلاً مصلياً يعبث بلحيته (**أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**) رواه ابن أبي شيبة في المصنف وعبد الرزاق في المصنف والبيهقي في السنن الكبرى وقال الألباني إسناده جيد.

قلت : وجاء في وصية نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام وقوله فيها: (**وآمركم بالصلاة، فإذا صليتم، فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت**) رواه البخاري.

ثانيا : روحانيات وضع سترة والدنو منها : قال العلماء : يسن للمصلي إذا كان منفرداً أو إماماً أن يجعل أمامه سترة تمنع المرور بين يديه وتمكنه من الخشوع في أفعال الصلاة، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا صلى أحدكم إلى**

36/ رواه الإمام أحمد الزهد (46) ، والبيهقي - شعب الأيمان - (6 / 145) والطبراني في " المعجم الكبير " (7738) ، وصححه الألباني في " الصحيحة " (741) .

سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته) رواه أبو داود وهو في صحيح الجامع رقم 650) . وهذا يشمل السفر والحضر، كما يشمل الفرض والنفل.

قال النووي رحمه الله تعالى : " قال العلماء: والحكمة في السترة كف البصر عما وراءها، ومنع من يجتاز بقربه وتمنع الشيطان المرور والتعرض لإفساد صلاته" [37]

وقال الشيخ محمد صالح المنجد : " من الأمور المفيدة لتحصيل الخشوع في الصلاة الاهتمام بالسترة والصلاة إليها فإن ذلك أقصر لنظر المصلي وأحفظ له من الشيطان وأبعد له عن مرور الناس بين يديه فإنه يشوّش ويُنقص أجر المصلي" [38].

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم المصلي بأن لا يسمح لأحد أن يمرّ بينه وبين سترته فقال: (إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمر بين يديه، وليدرأه ما استطاع فإن أبى فليقاتله فإن معه القرين) رواه مسلم.

فائدة : وهذا الحكم خاص بالإمام والمنفرد أما المأموم فسترته سترة الإمام باتفاق أهل العلم فلا يستحب له اتخاذ السترة ولا يضره من يمر بين يديه لحديث ابن عباس قال: (أقبلت على حمار أتان والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار فمررت بين يدي بعض الصف فنزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف فلم ينكر علي أحد). متفق عليه.

37/ شرح صحيح مسلم 216/4). .

38/ كتاب 33 سبباً للخشوع في الصلاة – للشيخ محمد صالح المنجد .

ثالثاً : روحانيات النظر إلى موضع السجود : جاءت أحاديث في السنَّة الصحيحة فيها ذِكر هدي النبي صلى الله عليه وسلم في النظر إلى موضع السجود حال الصلاة ، وهي – في عمومها – تشمل جميع أجزاء الصلاة ، ومن هذه النصوص :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض**)[39]

وعنها رضي الله عنها قالت : (**دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها**)[40]

قولها(**ما خلف**) أي لم يتجاوز بصره موضع سجوده ، وذها فيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم وحيائه من ربه والظاهر أنه لم يكن في الصلاة .

فمن روحانيات النظر إلى موضع السجود : في القيام أنه يعين المصلي على حضور قلبه وخشوعه أثناء تلاوته للأذكار المطلوبة من دعاء الاستفتاح وسورة الفاتحة بخلاف من يشتت بصره يمنة ويسرة فإنه لا يكاد يخشع لأن المبصرات تصب في القلب فتشغله عما هو فيه من ذكر وتلاوة .

وعن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قالت : (**كانَ الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام أحد هم يصلي لم يَعْدُ بصره موضع قدمه ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يَعْدُ بصره موضع جبينه ، فتوفي أبو بكر فكان عمر فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يَعْدُ بصر**

39/ رواه الحاكم ا/479، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الألباني صفة الصلاة - ص(89).

40/ صححه الألباني في " صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم .

أحدهم موضع القبلة ، وكان عثمان بن عفان فكانت الفتنة ، فالتفت الناس يمينا وشمالا) . أخرجه ابن ماجه .

وقال ابن سيرين : كانوا يستحبون للرجل أن لا يجاوز بصره مصلاه. وقال النخعي : كانَ يستحب أن يقع الرجل بصره في موضع سجوده[41] .

41/ وفسر قتادة الخشوع في الصلاة بذلك . وقال مسلم بن يسار : هوَ حسن . وأكثر العلماء على أنه يستحب للمصلي أن ينظر إلى موضع سجوده ، منهم : سليمان بن يسار وأبو حنيفة والثوري والحسن بن حي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور.

وقال مالك : يستحب أن يكون بصره أمام قبلته . قالَ : واكره ما يصنع الناس من النظر إلى موضع سجودهم وهم قيام.

وحكي عن شريك بن عبد الله ، قالَ : ينظر في قيامه إلى موضع قيامه ، وإذا ركع إلى قدميه ، وإذا سجد إلى أنفه ، وإذا قعد إلى حجره . واستحب ذَلِكَ بعض أصحابنا وأصحاب الشافعي .قالَ أصحابنا : ويستحب إذا جلس للتشهد أن لا يجاوز بصره أصبعه ؛ لما روى ابن الزبير ، أن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم كانَ إذا جلس في التشهد أشار بالسبابة ، ولم يجاوز بصره إشارته .خرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي.

وحكى أصحاب الثوري في كتبهم ، عن سفيان ، أنه قالَ : إذا قام في الصلاة فليكن بصره حيث يسجد إن استطاع ، قالَ : وينظر في ركوعه إلى حيث يسجد ومنهم من قالَ : إلى ركبتيه - ، ويكون نظره في سجوده إلى طرف أنفه.

تحدّث القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: (فَوَلِّ وجهكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ) عن هذه المسألة فقال : في هذه الآية حجّة واضحة لما ذهب إليه مالك ومَن وافقه في أن المصلي حكمه أن ينظر أمامه لا إلى موضع سجوده ، وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي والحسن بن حَيّ: يستحب أن يكون نظره إلى موضع سجوده ، وقال شريك القاضي: ينظر في القيام إلى موضع السجود، وفي الركوع إلى موضع قدميه، وفي السجود إلى موضع أنفه، وفي القعود إلى حجره. قال ابن العربي: إنما ينظر أمامه، فإن حنى رأسه ذهب بعض القيام المفترض عليه في الرأس وهو أشرف الأعضاء، وإن قام رأسه وتكلَّف النظر ببصره إلى الأرض فتلك مشقّة عظيمة وحرج، وما جعل علينا في الدين من حرج، أما أن ذلك أفضل فهو لمن قدر عليه. انتهى.

مسألة : وهنا سؤال يدور في أذهان بعض المصلين وهو: "ما حكم إغماض العينين في الصلاة خصوصًا وأن المرء قد يحس بمزيد من الخشوع إذا فعل ذلك؟"

قال ابن القيم رحمه الله : وقد اختلف الفقهاء في كراهته، فكرهه الإمام أحمد وغيره وقالوا: "هو فعل اليهود"، وأباحه جماعة ولم يكرهوه. والصواب أن يُقال إن كان تفتيح العين لا يُخلّ بالخشوع فهو أفضل، وإن كان يحول بينه وبين الخشوع لما في قبلته من الزخرفة والتزويق أو غيره مما يشوّش عليه قلبه فهنالك لا يُكره التغميض قطعًا، والقول باستحبابه في هذا الحال أقرب إلى أصول الشرع ومقاصده من القول بالكراهة، والله أعلم)[42] ،وبهذا يتبين أن السنة عدم الإغماض إلا إذا دعت الحاجة لتلافي أمر يضرّ بالخشوع.

فائدة طبية حول النظر إلى موضع السجود : قد أثبت الطب الحديث أن في النظر إلى موضع السجود في الصلاة فائدة عظيمة حيث بينوا أن التركيز على موضع السجود حال القيام وبعد ذلك يتبعه تركيزٌ في حال الركوع من مسافة أقرب، ومسافة أقرب حال السجود،وهذا يؤدي إلى االانقباض في عدسة العين، ثم بعد ذلك ارتخاؤها، **وهذا التمرين مفيد جداً لعدسة العين ويقيها ضعف النظر بإذن الله. وأنت في اليوم تسجد في الصلاة المكتوبة (17) سبعة عشر مرة، من غير السنن الراتبة، أي أن تسجد (34) سجدة . فاحرص على اتباع السنة في صلاتك.**

رابعاً : روحانيات النية : ولا بد للمصلي منها ليفرق بين الفريضة والنافلة وبين صلاته وهو منفرد وصلاته وهو في الجماعة مقتدياً بالإمام ، قال ابن القيم رحمه الله: (فإنَّ القُرباتِ كلَّها مبناها على النِّيَّات، ولا يكون الفعل عبادةً إلاَّ بالنيَّة والقصد،فالنيَّة رُوح

40/ زاد المعاد 293/1 ط. دار الرسالة .

العمل ولُبُّه وقوامه، لا يصحُّ إلاَّ بها، والنبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم قد قال كلمتين كفَتَا وشَفَتَا، وتحتهما كنوزُ العِلم، وهما قوله: (إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نوى)، **فبيَّن في الجملةِ الأُولى أنَّ العمل لا يقع إلاَّ بالنيَّة، ولهذا لا يكون عملٌ إلاَّ بنيَّة، ثم بيَّن في الجملة الثَّانية أنَّ العامل ليس له مِن عمله إلاَّ ما نواه، وهذا يَعمُّ العباداتِ والمعاملات) اهـ .43**

ومن روحانيات النية : ما اشار إليه بعض العارفين بقوله (فإذا عقد المؤمن العزم على الصلاة انجمع للقاء الله سبحانه والوصال مع المحبوب عز وجل، وأخرج ما في قلبه من الحجب الشاغلة له عن مطلوبه. وكم واحد من السلف لما استشعر هذا اللقاء اصفرَّ لونه وذبلت صورته بلوعة الحب وقوة الود. وهذا العزم يَطال القلب لينتهضَ لعروجه وخروجه عن عالم الدنيا ودخوله إلى عالم الملكوت حتى يدخل إلى متعبَّد الملائكة الذين وجب الإيمان بهم في العالم المقدَّس الذي ليس فيه ما يشغل عن الصلاة) اهـ .

ومن روحانيات النية ما أشار إليه الغزالي بقوله " وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاءً لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة منه بإذنه تعالى لك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعظِّم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي؟ وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفرَّ وجهك من الخوف " .

41/ إعلام الموقعين عن رب العالمين – (3/85-86) – باختصار .

ومما يعين على هذه الروحانيات : تذكر الموت في الصلاة: لقوله صلى الله عليه وسلم: **(اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريّ أن يحسن صلاته، وصلّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي غيرها)** [44].

وفي هذا المعنى أيضا وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب رضي الله عنه لما قال له: (إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاة مودِّع) [45] يعني صلاة من يظن أنه لن يصلي غيرها وإذا كان المصلي سيموت ولابد، إن هناك صلاة مّا هي آخر صلاة له فليخشع في الصلاة التي هو فيها فإنه لا يدري لعلها تكون هذه هي.[46]

44/ السلسلة الصحيحة للألباني 1421ونقل عن السيوطي تحسين الحافظ ابن حجر رحمه الله لهذا الحديث.

43/ رواه أحمد 412/5 وهو في صحيح الجامع رقم 742)

46/ انظر 33 سبباً للخشوع في الصلاة – للشيخ محمد صالح المنجد .

المبحث الثاني

روحانيات التكبير والاستعاذة ودعاء الاستفتاح

المطلب الأول : روحانيات تكبيرة الإحرام .

المطلب الثاني : روحانيات دعاء الاستفتاح .

المطلب الثالث : تفسير وروحانيات الاستعاذة .

المطلب الأول

روحانيات تكبيرة الإحرام

في هذا المبحث سنتاول الروحانيات المتضمنة لهذه العبادات الثلاث وهي خاصة بالركعة الأولى - كما هو معلوم - وليست مطلوبة في الركعات التالية لها ، ومعلوم أن التكبير يتكرر في جميع الركعات إلا أن التكبيرة الأولى فرض وما عداها سنة .

مما هو معلوم - أيضاً - أن التكبيرة الأولى ركن ولا تصح الصلاة بدونها وهي لا تصح إلا بلفظ (**الله أكبر**) ولو قال غير ذلك بطلت صلاته .

فمن روحانيات تكبيرة الإحرام : أنه أول ما ينطق بـ (الله أكبر) أن يكون مستصحباً تلك المعاني التي حضرته عند القيام من الإجلال والإعظام والهيبة والإكبار لله تعالى ، **يقول الغزالي رحمه الله تعالى (التعظيم حالة للقلب تتولد من معرفتين:**

إحداهما : معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه .

الثانية : معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبَّر عنه بالتعظيم، وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه.

ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها. وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط مَن على يمينه ويساره. وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم. وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج، ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به - أي الملك - عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه **(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)** الأحقاف (19) فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات)اهـ .

- **ومن روحانيات تكبيرة الإحرام ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى** بقوله : **(ثم كبَّره بالتعظيم والإجلال وواطأ قلبه لسانه في التكبير فكان الله أكبر في قلبه من كلِّ شيء ، و صدَّق هذا التكبير بأنه لم يكن في قلبه شيء أكبر من الله تعالى يشغله عنه ، فإنه إذا كان في قلبه شيء يشتغل به عن الله دلّ على أن ذلك الشيء أكبر عنده من الله فإنه إذا اشتغل عن الله بغيره ، كان ما اشتغل به هو أهم عنده من الله ، و كان قوله " الله أكبر " بلسانه دون قلبه ؛ لأن قلبه مقبل على غير الله ، معظما له ، مجلاً ، فإذا ما أطاع اللسان القلب في التكبير ، أخرجه من لبس رداء التكبّر المنافي للعبودية ، و منعه من التفات قلبه إلى غير الله ، إذا كان الله عنده و في قلبه أكبر من كل شيء فمنعه حقّ قوله : الله أكبر و القيام بعبودية التكبير من هاتين الآفتين ، اللتين هُما من أعظم الحُجب بينه و بين الله تعالى)** اهـ .

- **ومن روحانيات رفع اليدين مع تكبيرة الإحرام** : أن تسحضر دلالته على الفقر والحاجة والانكسار، وذلك أن المؤمن بِرفعِ يديه وكأنه يتخلى عن جميع الأشياء بالفقر

والفاقة إلى الله تعالى ويتخلص من جميع العقبات التي تحول دون سلوكه طريق الله سبحانه.

- ثم يضع يديه بالهيئة المعروفة بعد انتهائه من التكبير ، وهذه الهيئة تدل على الأدب والتعظيم لله تعالى ، بدليل أنك لو رأيت طالباً يقف أمام أستاذه بهذه الهيئة لقلت في نفسك مباشرة ودون تفكير إنه طالب مؤدب .

ومن روحانيات هذه الهيئة في القيام ما أشار إليه الشافعي في كتاب الأم : (أن الْقَصْد مِنْ وَضْعِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى تَسْكِينُ يَدَيْهِ، فَإِنْ أَرْسَلَهُمَا بِلَا عَبَثٍ فَلَا بَأْسَ، وَالْحِكْمَةُ فِي جَعْلِهِمَا تَحْتَ الصَّدْرِ أَنْ يَكُونَا فَوْقَ أَشْرَفِ الْأَعْضَاءِ وَهُوَ الْقَلْبُ، فَإِنَّهُ تَحْتَ الصَّدْرِ، وَقِيلَ: الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ النِّيَّةِ، وَالْعَادَةُ جَارِيَةٌ بِأَنَّ مَنِ احْتَفَظَ عَلَى شَيْءٍ جَعَلَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ فِي الْمُبَالَغَةِ: أَخَذَهُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ).[47]

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: "قال العلماء: الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل وهو أمنع من العبث وأقرب إلى الخشوع" .[48]

47/ نقلاً عن كتاب "الغرر البهية في شرح البهجة الوردية" (1/ 322) - لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري .

48/ فتح الباري (224/2)

المطلب الثاني

روحانيات دعاء الاستفتاح

قبل الشروع في بيان روحانيات دعاء الاستفتاح أريد أن أشير إلى أنه ورد في السنة عدد من الأدعية في هذا المقام فبعضها عام في الفريضة والنافلة وبعضها خاص بقيام الليل وما سأذكره هنا ثلاث روايات وأما ما هو خاص بقيام الليل فهو سيأتي في محله ، إن شاء الله تعالى .

واعلم أخي الحبيب أن العلماء قالوا : إن المسلم لا يجمع بين صيغتين في صلاة احدة بل يكتفي بإحداها ، ولكن له أن ينوّع في صلواته فيقول هذه الصيغة تارة ويقول الأخرى تارة ، وهذا في حد ذاته مما يجلب له الخشوع إذ كل ذكر فيه من المعاني ما لا يوجد في الذكر الآخر . وإليك الآن بعض ما ورد من صيغ دعاء الاستفتاح :

1/ (اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بالثَّلْجِ والمَاءِ والبَرَدِ) متفق عليه .

2/ (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين) رواه مسلم .

3/ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،وتَبَارَكَ اسْمُكَ،وتَعَالَى جَدُّكَ،ولاَ إلَهَ غَيْرُكَ) رواه أصحاب السنن الأربعة.

- **فمن روحانيات دعاء الاستفتاح أن تفقه معانيه وتعيش تلك المعاني بقلبك** ، وبخاصة إذا علمت أن " مناسبة دعاء الاستفتاح في أول الصلاة وقبل القراءة ظاهرة جدا ، بل إنه لا يحسن به إلا هذا الموضع ، فهو كالمقدمة بين يدي الملوك ، لأن الفاتحة مناجاة ومخاطبة بين العبد وربه ، وأي مناجاة ومحادثة من الأليق أن يتقدمها جمل ليست بالطويلة المملة فيضيع معها مقصود المناجاة ، وليست بالقصيرة التي لا تغني ، فكان موقعه أنسب المواقع ، والحاجة له داعية " .[49]

* **شرح وروحانيات الصيغة الأولى : مما جاء من معاني صيغة دعاء الاستفتاح : (اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بالثَّلْجِ والمَاءِ والبَرَدِ) .**

وإليك ما قاله بعض العلماء :[50]

في الحديث ثلاث مراتب للمؤمن مع خطاياه ، وكلها لها اعتبارات مختلفة، وهي :

المرتبة الأولى : " باعد بيني وبين خطاياي " وهي مرتبة المباعدة ، وهذه الحالة تصدق على المؤمن قبل مواقعة الذنب ، فإنه يسأل ربه أن يباعد بينه وبين خطاياه أمدا بعيدا،فإن هذا أدعى للسلامة من الوقوع فيها.

49/ كتاب 150 مائة وخمسون فائدة من أدعية الاستفتاح في الصلاة - عقيل بن سالم الشمري

50/ السابق

المرتبة الثانية : " اللهم نقني من خطاياي " وهي مرتبة التنقية ، والمراد والله أعلم محو الذنوب وإزالتها ، وهذه المرتبة تتناول الذنوب التي واقعها ، فيطلب من ربه أن يمحوها ويزيلها عنه ويغفرها له.

المرتبة الثالثة : " اللهم اغسلني من خطاياي " وهي مرتبة الغسل ، والمراد والله أعلم إزالة أثر الذنب بعد فعله ، وتصدق هذه الجملة على مَنْ تلبس بالذنب وواقعه ، ثم تاب لربه فإنه يسأل ربه أن يزيل أثر الذنب عنه ، فإن للذنوب أثرا غير كتابتها ، فكم من نظرة أورثت ندامة وأزالت علما ، مع أنها قد تغفر لصاحبها ، وذلك والله أعلم حتى لا يستوي من وقع بالذنب مع من لم يقع فيه.

فشملت هذه الجمل الثلاث " باعد – نقني – اغسلني " مراتب المؤمن أمام الذنوب ، والله أعلم بأسراره شرعه.

- وهناك رأي آخر في المراتب الثلاث قاله الكرماني رحمه الله : " يحتمل أن يكون في الدعوات الثلاث إشارة إلى الأزمنة الثلاثة ، فالمباعدة للمستقبل ، والتنقية للحال ، والغسل للماضي "

- ومن روحانيات هذا الاستفتاح : أن يُظهِر العبد لربه تمام ذله بين يديه ، وأن الله هو مالك الأمر ، وبيده كل شيء ، وأن العبد ضعيف مذنب ، وهذا من مقاصد العبادة ، ولهذا يقول المستفتح : (**اللهم باعد بيني وبين خطاياي**) ويقول : (**اللهم نقني من خطاياي**) وهكذا . لأن العبد على هذا محتاج لله قبل الذنب بأن يباعد الله بينه وبين ذنبه ، ومحتاج لربه بعد الذنب بأن ينقيه منه ومن أثره ، وهذا تفسير لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر : (**لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك**) .

- **ومن روحانيات هذا الاستفتاح :** أن تلتفت إلى الحكمة مما ورد فيه من تشبيه للأمر المعنوي - المباعدة من الذنوب - بالأمر الحسي ، وهذا له أثره على التفكر بالدعاء ومعرفة معانيه ومقاصده ، فإن المؤمن إذا دعا بطلب التنقية من الذنوب وذكر تنقية الثوب الأبيض من الدنس كان عارفا بمعناها ، مستظهرا لمدلولها ، ومثله إذا دعا ربه أن يغسله من ذنوبه بالماء والثلج والبرد أيضا. وكلما كان الإنسان متفكرا بمعنى دعائه ، مدركا له ، كان ذلك أدعى للإجابة .

- **ومن روحانيات هذا الاستفتاح :** أن تستحضر سبب طلبك المباعدة من الذنوب والخطايا وهو : أن الخطايا والذنوب تؤثر على مناجاة العبد لربه ، فكلما سلم العبد منها ، وتطهر من آثارها كلما كانت المناجاة أتم ، فلما كان المصلي بحاجة لتمام المناجاة ، والذنوب تؤثر عليها صار العبد يطلب من ربه المباعدة بينه وبين خطاياه .وعلى هذا من أراد التلذذ بمناجاة الله فليطهر نفسه من الذنوب فإن لها أثرا في المنع . **ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .**

شرح وروحانيات الصيغة الثانية : (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين)

قال أحد العلماء : ذكره للوجه هنا دليل على ارتباط الظاهر بالباطن ، والقلب بالجوارح كما هو مذهب أهل السنة والجماعة في العلاقة بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

فتوجه قلب المصلي لله أثر على توجه جوارحه ومنها الوجه ، ثم يبقى بعد ذلك مقدار هذا التوجه مبني على مقدار توجه القلب لربه ، فكلما زاد توجه القلب لربه زاد توجه

الجوارح ، فخشع البصر فلم يتعد موضع سجود ، وسكنت جوارحه فلم تطيش ، وأما إذا ضعف توجه القلب لله ضعف أيضا توجه الجوارح ، فأصبح البصر يلتفت وهذا اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة المرء ، والجوارح تعبث ، وقد يصل الأمر إلى أضعف من هذا .

فمن روحانيات هذا الاستفتاح : استحضار ما قاله الغزالي رحمه الله تعالى :" **وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات ؟ وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق.**

ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً.

وإذا قلت **:حنيفاً مسلماً** : فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال.

وإذا قلت : وما أنا من المشركين : فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن قوله تعالى : **(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)** سورة الكهف (110)**نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذراً مشفقاً من هذا الشرك.**

واستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه.

وإذا قلت : **محياي ومماتي لله** : فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائماً للحال) اهـ . **ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .**

شرح وروحانيات الصيغة الثالثة : (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وتَبَارَكَ اسْمُكَ، وتَعَالَى جَدُّكَ، ولاَ إِلَهَ غَيْرُكَ)

قال بعض العلماء : جمع هذا الدعاء أحب الكلام وهي : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، وقد ثبت أنهن أفضل الكلام ، فاجتمع لهذا النوع من الاستفتاح ميزتان :

الأولى : كونه مما يستفتح به في للصلاة . الثانية : كونه أفضل الكلام .

وبُدئ في هذا الحديث بالتسبيح والتنزيه قبل التحميد لأن موضوع هذا النوع من الاستفتاح كله تقديس وتمجيد لله فناسب أن يبدأ بالتنزيه.

- **قوله : سبحانك اللهم** : أبلغ في تخصيص التنزية من قول : سبحان الله ، وذلك لكاف الخطاب وهي تفيد الإغراق في تخصيص الخطاب ، والصلاة مقام مخاطبة بين العبد وربه فناسب تخصيص الخطاب.

- **قوله : اللهم** : يدخل فيها جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى ، والمصلي يريد أن يخاطب ربه بأكبر قدر ممكن من الأسماء الحسنى ، فناسب " اللهم " لأن غيرها يدخل فيها.

قوله : وبحمدك : أي : أبتدئ بحمدك ،قرن بين التسبيح والتحميد لأن التسبيح تنزيه عن صفات النقائص جميعا ، فاقتضى إثباتا لصفات الكمال كلها وهو ما يشعر به التحميد ، وهذا دليل على أن النفي المحض لا يمدح الله به كما هو قول الجهمية والمعطلة ، بل الله سبحانه ينفي عن نفسه المقدسة صفات النقص لإثبات صفات الكمال .

- **قال ابن القيم رحمه الله تعالى** : (فإذا قال: **سبحانك اللهم وبحمدك** وأثنى على الله تعالى بما هو أهله، فقد خرج بذلك عن الغفلة وأهلها، فإن الغفلة حجاب بينه وبين الله. وأتى بالتحية والثناء الذي يُخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيما له وتمهيدا، وكان ذلك تمجيدا ومقدمة بين يدي حاجته. فكان في الثناء من آداب العبودية، وتعظيم المعبود ما يستجلب به إقباله عليه، ورضاه عنه، وإسعافه بفضله حوائجه) .

قوله : " **وتبارك اسمك** " أي كثر خيره. قوله : " **اسمك** " يحتمل أمرين :

1/ أن المراد اسم الله ، فأسماء الله مباركة ، بها يتحصن المتحصن ، ويستعيذ الخائف ، ويأمن المضطرب ، ويرقى ويستشفى بها وهكذا.

2/ أن المراد ذات الله ، فالاسم يطلق على الذات.

قوله : **وتعالى جدك** : أي ارتفعت عظمتك ، وهو متضمن لارتفاع الحظ والغنى المطلق وغيرها مما فسرها به أهل العلم. وكلمة "**تعالى** " أنسب من أي لفظ آخر مثل : تعاظم مثلا أو غيرها ، للتشاكل من حيث المعنى بينها وبين " تبارك " قبلها، فإن اللفظين يدلان على العلو والسعة.

قوله : " **ولا إله غيرك** " هو كالنتيجة لما سبقه من عبارات ثناء ، فناسب أن يختم بالتهليل ، إعلاما بأنه المستحق بالعبودية وحده ، فسبحان الله العليم الحكيم .

ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

فائدة : ألفاظ أدعية الاستفتاح كلها تربي المؤمن على تعظيم الله قولا وفعلا ، فهي ثناء على الله أو مدح أو إجلال أو تنزيه أو اعتراف له بالعبودية ، وغير ذلك .

تنبيه : جاء في شرح زاد المستقنع للشيخ محمد الشنقيطي جوابا لسؤال جاء فيه: هل يجوز جمع روايات دعاء الاستفتاح في الصلاة، أم يقتصر على رواية واحدة؟

الجواب: الذي اختاره جمعٌ من المحققين أنه ينوّع، فيدعو بهذا تارةً ويدعو بهذا تارة؛ لأن الخلاف هنا خلاف تنوع وليس بخلاف تضاد، وبناءً على ذلك ينوع، فيصلي بهذا تارة ويصلي بهذا تارة؛ لأنه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما لو جمع الجميع في موضع واحد فللعلماء وجهان:

الوجه الأول: اختار الإمام النووي رحمه الله أنه لا حرج في الجمع بين هذه الأدعية.

والوجه الثاني: اختار شيخ الإسلام وغيره: أن الجمع بينهما لم يرد، فلذلك يقتصر على الوارد. والأولى والأحوط أن الإنسان يقتصر على الوارد، فيصلي بهذا تارة وبهذا تارة، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم . انتهى [51]

51/ نقلاً من موقع الشبكة الإسلامية – ركن الفتوى .

المطلب الثالث

تفسير وروحانيات الاستعاذة

وهي قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهي مطلوبة على سبيل الندب لحديث جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة قال: **" الله أكبر كبيراً ثلاث مرات، والحمد لله كثيرا ثلاث مرات، وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاث مرات، ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه** " أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

أما تفسيرها فقد قال ابن كثير : (ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أي : أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي ، أو يصدني عن فعل ما أمرت به ، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه ؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله ؛ ولهذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى ، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل ؛ لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه)اهـ .

فمن روحانيات الاستعاذة ما قاله بعض العلماء : " لا تتم الاستعاذة بالله إلا بأن يعلم العبد كونه عاجزاً عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة، وأن الله تعالى قادر على إيصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لأحد سواه تعالى وأن يعلم أنه لا يقدر أحد سوى الله على تحصيل مرامه، وأن يعرف عز الربوبية وذل العبودية، وأنه تعالى هو الذي أمر بالاستعاذة وجعلها سببا لدفع الوساوس والهواجس" . ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

ومن روحانيات الاستعاذة : أن تعلم أنك تقرأها لكي تستفح قراءة القرآن وفي ذلك من الفوائد - أشار إليه ابن القيم - أن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة والاستعاذة دواء طارد لما ألقاه فيها الشيطان فيجد القرآن مكاناً خالياً من الداء فيتمكن منه ويؤثر فيه. [52]

ومن روحانيات الاستعاذة : أن تستحضر أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب كالنبات وكما أن الماء مادة النبات ، والشيطان نار يحرق النبات أولاً فأولاً فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه فأُمِر الإنسان أن يستعيذ بالله عز وجل منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن من التحرك لفعل الخيرات ومكارم الأخلاق .

والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها وثباتها.

ومن روحانيات الاستعاذة : في الصلاة خاصة ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى : " فإذا شرع في القراءة قدَّم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فإنه أحرص ما يكون على خُذلان العبد في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقامات العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته، **فهو أحرص شيء على صرفه عنه، وانتفاعه دونه بالبدن والقلب، فإن عجز عن اقتطاعه وتعطيله عنه بالبدن اقتطع قلبه وعطَّله، وألقى فيه الوساوس ليشغله بذلك عن القيام بحق العبودية بين يدي الرب تبارك وتعالى، فأمر العبد بالاستعاذة بالله منه ليسلم له مقامه بين يدي ربه وليحي قلبه، ويستنير بما يتدبره ويتفهمه من كلام الله سيِّده الذي هو سبب حياة قلبه، ونعيمه**

52/ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – لابن القيم – (74)

وفلاحه، فالشيطان أحرص شيء على اقتطاع قلبه عن مقصود التلاوة.ولما علم الله سبحانه وتعالى حَسَد العدو للعبد، وتفرّغه له، وعلم عجز العبد عنه، أمره بأن يستعيذ به سبحانه، ويلتجئ إليه في صرفه عنه، فيكتفي بالاستعاذة من مؤونة محاربته ومقاومته، وكأنه قيل له: لا طاقة لك بهذا العدو، فاستعذ بي أعيذك منه، واستجر بي أجيرك منه، وأكفيكه وأمنعك منه "اهـ **ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .**

ومن روحانيات الاستعاذة : ما أشار إليه الغزالي رحمه الله تعالى بقوله : وإذا قلت "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسداً لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لُعِن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفَّق لها، وأنَّ استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك، فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه، فإن ذلك لا ينفعه.**واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ. فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها.**

فوائد حول الاستعاذة لا تخلو من روحانيات :[53]

1/ الشيطان عدو لنا ومن عداوته قيامه بالوسوسة للمصلي كي يذهب خشوعه ويلبِّس عليه صلاته. والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر أو بغيره، لا بد له من ذلك، فينبغي للعبد أن يثبت ويصبر، و يلازم ما هو فيه من الذكر والصلاة

53/ كتاب 33 سبباً للخشوع في الصلاة

ولا يضجر، فإنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان **(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)** [النساء:76]. وكلما أراد العبد توجهًا إلى الله تعالى بقلبه جاء من الوسوسة أمور أخرى، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد السير إلى الله تعالى، أراد قطع الطريق عليه، ولهذا قيل لبعض السلف: "إن اليهود والنصارى يقولون: لا نوسوس قال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخرب" [54].

وقد مَثَّل ابن القيم لذلك بمثال حسن، وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره، وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره وليس كجواهر الملك وذخائره، وبيت خال صفر لا شيء فيه، فجاء اللص ليسرق من أحد البيوت، فمن أيها يسرق؟[55]**.فالبيت الأول مثالا لقلوب الأنبياء مليئة بالحكمة والإيمان ولكنها محروسة فلا تصل إليها الشياطين ، والبيت الثاني مثالا لقلوب المؤمنين فيه من الخير ما فيها ولكنها ليست محروسة فهي مطمع للشيطان ، والبيت الثالث مثالا لقلوب أهل الكفر والنفاق والعصيان فلا مطمع فيها للشيطان كالبيت الخرب بالنسبة للص .**

2/ العبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه بل لا يزال به يعده ويمنّيه وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهوّن عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها. فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه،

54/ مجموع الفتاوى - لابن تيمية - (22 / 608)

55/ الوابل الصيب - لابن القيم - ص: (43)

فيذكّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، **حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثلما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تُخفَّفْ عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه"** [56]

3/ قال الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله :" ولمواجهة كيد الشيطان وإذهاب وسوسته أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى العلاج التالي: عن أبي العاص رضي الله عنه قال: "يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبِّسها عليّ، فقال رسول الله صلى عليه وسلم: (**ذاك شيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوّذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا**) قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني) رواه مسلم .

4/ قال الشيخ المنجد حفظه الله (وهناك خدعة شيطانية يأتي بها خنزب إلى بعض الخيِّرين من المصلين وهي محاولة إشغالهم بالتفكير في أبواب أخرى من الطاعات عن الصلاة التي هم بشأنها وذلك كإشغال أذهانهم ببعض أمور الدعوة أو المسائل العلمية فيستغرقون فيها فلا يعقلون أجزاء من صلاتهم وربما لبَّس على بعضهم بأن عمر كان يجهِّز الجيش في الصلاة.

ولندع المجال لشيخ الإسلام ابن تيمية يجلي الأمر ويجيب عن هذه الشبهة، حيث قال رحمه الله تعالى: "وأما ما يروى عن عمر بن الخطاب من قوله: "وإني لأجهز

56/ الوابل الصيب - ص(36).

جيشي وأنا في الصلاة" فذاك لأن عمر كان مأمورًا بالجهاد وهو أمير المؤمنين، فهو أمير الجهاد، فصار بذلك من بعض الوجوه بمنزلة المصلي الذي يصلي صلاة الخوف حال معاينة العدو، إما حال القتال وإما غير حال القتال، فهو مأمور بالصلاة، ومأمور بالجهاد، فعليه أن يؤدي الواجبين بحسب الإمكان.

قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [الأنفال:45]، ومعلوم أن طمأنينة القلب حال الجهاد لا تكون كطمأنينة حال الأمن، فإذا قُدِّر أنه نقص من الصلاة شيء لأجل الجهاد لم يقدح هذا في كمال إيمان العبد وطاعته. ولهذا تخفف صلاة الخوف عن صلاة الأمن، ولما ذكر الله سبحانه صلاة الخوف قال: **(فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)** [النساء:103].

فالإقامة المأمور بها حال الطمأنينة لا يؤمر بها حال الخوف. ومع هذا: فالناس متفاوتون في ذلك، فإذا قوي إيمان العبد كان حاضر القلب في الصلاة، مع تدبره للأمور بها، وعمر قد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، وهو المحدَّث المُلهم فلا ينكر لمثله أن يكون مع تدبيره جيشه في الصلاة من الحضور ما ليس لغيره، لكن لا ريب أن حضوره مع عدم ذلك يكون أقوى)انتهى .[57]

57/ مجموع الفتاوى – (22 / 610).

المبحث الثالث

روحانيات تلاوة سورة الفاتحة

أستفتح الكلام على روحانيات تلاوة الفاتحة - وما بعدها - بذكر هذه الحادثة ، **يقول أحد الدعاة : دُعيت لإلقاء محاضرة عن الصلاة في إحدى الجامعات .. فدخلتُ القاعة في الموعد المحدد وأنا أحمل في يدي ورقة فألقيت التحية على الحضور ثم قرأت الورقة بسرعة شديد لا يكاد السامع يميز بعض حروفها فبدت علامة الدهشة على وجوه الجميع من هذا التصرف ، ثم اعتذرت لهم وقلت : اسمحوا لي عندي موعد هام ... ثم خرجت من القاعة ورجعت بعد دقائق محدودة وقلت لهم لعلكم غضبتم من تصرفي هذا معكم ؟ لقد غضبتم عليَّ وانا فعلت هذا معكم مرة واحدة فكيف ونحن نفعل هذا مع الله في اليوم خمس مرات .. لأننا نقرأ القرآن في صلاتنا بسرعة شديدة لا نكاد نفهمها .**

قلت : فمِن هنا كان من أهم ما يعين المصلي على الاستمتاع بقراءة الفاتحة وما بعدها : التأني في التلاوة والتدبر للمعاني ومحاولة التأثر والخشوع ، والفارق بين مّنْ يسرع ومَنْ يتأنى لا يعدو أن يكون ثواني قليلة ، فلماذا العجلة إذن .

ولماذ تستعيذ بالله من الشيطان قبل التلاوة إذن ؟ إذا كنت لا تريد التدبر ولا الخشوع ولا التأثر ، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : فإذا استعاذ الإنسان بالله من الشيطان الرجيم أبعده عنه.فأفضى القلب إلى معاني القرآن، ووقع في رياضه المونقة وشاهد عجائبه التي تبهر العقول، واستخرج من كنوزه وذخائره ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكان الحائل بينه وبين ذلك، النفس والشيطان، فإن

النفس منفعلة للشيطان، سامعة منه، مطيعة فإذا بَعُدَ عنها، وطُرد ألمَّ بها الملَك، وثبَّتها وذكّرها بما فيه سعادتها ونجاتها.

- **فمن روحانيات تلاوة سورة الفاتحة إجمالاً :**ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله : (إذا أخذ العبد في قراءة القرآن، فقد قام في مقام مخاطبة ربّه ومناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرّض لمقته وسخطه، بأن يناجيه ويخاطبه، وقلبه معرِض عنه، ملتفت، إلى غيره، فإنه يستدعي بذلك مقته، ويكون بمنزلة رجل قرَّبه ملك من ملوك الدنيا، وأقامه بين يديه فجعل يخاطب الملك، وقد ولَّاه قفاه، أو التفت عنه بوجهه يَمنَة ويسرة، فهو لا يفهم ما يقول الملك، فما الظن بمقت الملك لهذا. فما الظن بمقت الملك الحق المبين رب العالمين وقيوم السماوات والأرضين) ..

- **ومن روحانيات تلاوة سورة الفاتحة إجمالاً :** استحضار المعنى الذي أشار إليه أحد العارفين بقوله : (والمتدبر للقرآن يلحظ بأنه في دخوله لرحاب الصلاة غريب كل الغرابة عن عالم الحس والمشاهد فلا يخاطب سوى الله عز وجل في قرآنه ولا يطير حرا طليقا سوى في عالم الغيب الفسيح بذكر الجنة والنار وأحوال اليوم الآخر، أي أن هناك عالما آخر دخل له المؤمن في صلاته بعيد عن عالم التراب والظواهر) . **ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك** .

- **ومن روحانيات تلاوة سورة الفاتحة إجمالاً : - كما قال ابن القيم** - الوقوف عند كل آية من الفاتحة وقفة يسيرة، ينتظر جواب ربِّه له، وكأنه يسمعه وهو يقول: " حمدني عبدي " إذا قال: **(الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ)**فإذا قال: **(الرَّحمن الرَّحيم)** وقفَ لحظة ينتظر قوله: " أثنى عليَّ عبدي." فإذا قال: (مالكِ يومِ الدِّينِ) انتظر قوله: " مجَّدني عبدي." فإذا قال: **(إيَّاك نَعبدُ وإيَّاك نَستعين)** انتظر قوله تعالى: " هذا

بيني وبين عبدي." فإذا قال: (**اهدِنا الصِّراط المُستقيم**) إلى آخرها انتظر قوله: " هذا لعبدي ولعبدي ما قال."

قلت : لو جعل مكان قوله (وقف لحظة ينتظر) كلمة (وقف لحظة يستشعر) لكان أبلغ وأخشع لأن الانتظار يحتاج إلى وقت على خلاف الشعور إذ به يحصل ما لا يستطيع التعبير عنه ، ولتوضيح المعنى لو أن إنسانا قال : لك أنا أنتظر الفرح فهو ليس في فرح الآن ولكن لو قال : أشعر بالفرح ، فهو الآن فَرِح . والله أعلم

* **تفسير وروحانيات قوله تعالى** : (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**) (**بِسْمِ اللَّهِ**) أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ (**بسم** الله) مفرد مضاف،فيعم جميع الأسماء الحسنى. (**اللَّهِ**) هو المألوه المعبود،المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية وهي صفات الكمال. كما قاله **السعدي** .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : **(بسم الله)** يعني بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته ، وهذا تعليم من الله تعالى عباده ، ليذكروا اسمه سبحانه عند افتتاح القراءة وغيرها ، حتى يكون الافتتاح ببركة الله جل وعز .

ومعنى اسم الجلالة (الله) هو اللفظ الجليل الجامع لكل صفات الكمال التي لا بد أن يتصف بها الخالق العظيم، ومعناه المألوه أي المعبود أو المستحق للعبادة لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، التي يدل عليها الأسماء الحسنى جميعها، لأن المألوه إنما يؤله لما قام به من صفات الكمال فيحَب ويُخضَع له لأجلها، والباري جل جلاله لا يفوته من صفات الكمال شيء بوجه من الوجوه، فإذا تقرر عند العبد المخلوق أنَّ الله وحده هو المألوه، أوجب له أن يعلق بربه حبه وخوفه ورجاءه، وأناب إليه في كل أموره، وقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقين ممن ليس له

من نفسه كمال ولا له فعال. اهـ **من تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي باختصار وتصرف.** ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

فمن روحانيات (بسم الله الرحمن الرحيم) استحضار ما قاله الغزالي : " إذا قلت "بسم الله الرحمن الرحيم" فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه، وافهم أن الأمور كلها بالله سبحانه. وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى. وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان "الحمد لله" ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله. ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخَّر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى" اهـ . وسيأتي الكلام على قوله تعالى (الرحمن الرحيم) بعد قليل لأنها آية منفصلة .

تفسير وروحانيات (الحمد لله رب العالمين) تجد تحت هذه الكلمة إثبات كلّ كمال للرب وصفاً واسماً، وتنزيهه سُبحَانه وبحمده عن كلِّ سوء، فعلا ووصفا واسما، وإنما هو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، مُنزَّه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه. فأفعاله كلّها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل ولا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت جلال، وأسماؤه كلّها حُسنى. كما قاله ابن القيم رحمه الله .

* **تفسير وروحانيات (رب العالمين)** قال الأستاذ هاني حلمي عبد الحميد " الرب هو الذي أوجد كل شيء، وأمدّه، ورعاه، وقام على كل نفسٍ بما كسبت. ففي معنى اسم الله الرب تجد: صفة الخلق، وصفة الرزق، وصفة التدبير، وتجد كذلك صفة القيومية؛ يقول الله: **(أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)** سورة الرعد من الآية:(33).

جاء في قصة توبة بِشر الحافي أن أحد الصالحين مرّ على بيته فسمع منه أثر من اللهو والموسيقى، فطرق على بابه ففتحت له الجارية؛ فقال: هذا بيت عبد؟ أهذا بيت عبد؟! ثم تركها وولّى. فنادى بِشر على الجارية وسالها: "ماذا هنالك؟ قالت: جاء رجل، فقال: أهذا بيت عبد؟". فوقعت في قلبه بموقعٍ حَسن وطار لها لُبّه وخرج في إثر الرجل حافيًا ، وسأله كيف قلت فأعاد عليه العبارة ،ففتح الله عليه باب التوبة؛ فكان يمشي بعدها كثيرًا حافيًا وعُلِم منه ذلك، فقيل له: ألا تتخذ النعال؟ قال: "كان أول الأمر هكذا حافًيا ."

- **ومن روحانيات : (الحمد لله رب العالمين)** أن تستشعر أن حمده تعالى قد ملأ الدنيا والآخرة، والسموات والأرض، وما بينهما وما فيهما، فالكون كلّه ناطق بحمده، والخلق والأمر كلّه صادر عن حمده، وقائم بحمده، ووجوده وعدمه بحمده، فحمدُه هو سبب وجود كل شيء موجود، وهو غاية كل موجود، وكلُّ موجودٍ شاهِدٌ بحمده، فإرساله رسله بحمده، وإنزاله كتبه بحمده، والجنة عُمِّرت بأهلها بحمده، والنَّار عُمِّرت بأهلها بحمده، كما أنَّهما إنَّما وجدتا بحمده. ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

- **ومن روحانيات : (الحمد لله رب العالمين)** ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله : أن تعلم أنه سبحانه وتعالى المحمود لذاته، وإن لم يحمده العباد.كما أنه هو الواحد الأحد، وإن لم يوحِّده العباد، وهو الإله الحقُّ وإن لم يؤلِّهه العبد، فسبحانه هو الذي حمِد نفسه على لسان الحامد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن الله تعالى قال على لسان نبيه: سَمعَ اللهُ لمن حَمِدَه)**. رواه مسلم .

- فهو الحامدُ لنفسه في الحقيقة على لسان عبده، فإنه هو الذي أجري الحمدَ على لسانه وقلبه، وأجراؤه بحمده فله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، علانيته وسره. فهذه المعرفة نبذة يسيرة من معرفة عبودية الحمد، وهي نقطة من بحر لُجِّي من عبوديته.

- **ومن روحانيات : (الحمد لله رب العالمين)** : أن يعلم – المصلي - أن حمده لربه نعمة مِنه عليه، يستحق عليها الحمد، فإذا حمده عليها استَّحق على حمده حمدا آخر، وهلَّم جرا.

فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلّها في حمد ربه على نعمة من نعمه، كان ما يجب عليه من الحمد عليها فوق ذلك، وأضعاف أضعافه، ولا يُحصي أحد البتّة ثناءً عليه بمحتمده، ولو حمده بجميع المحامد فالعبد سائر إلى الله بكلِّ نعمة من ربِّه، يحمده عليها، فإذا حَمده على صرفها عنه، حمده على إلهامه الحمدُ. قال الأوزاعي: " سمعت بعض قوَّال ينشد في حمامٍ لك الحمدُ إمّا على نعمةٍ وإمَّا على نقمة تُدفع."

- **ومن روحانيات : (الحمد لله رب العالمين) :** شهود العبد لعجزه عن الحمد، وأنَّ ما قام به منه، فالرب سبحانه هو الذي ألهمه ذلك، فهو محمود عليه، إذ هو الذي أجراه على لسانه وقلبه، ولولا الله ما اهتدى أحد. (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً)

- **ومن روحانيات : (الحمد لله رب العالمين)** ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله : تسليط الحمد على تفاصيل أحوال العبد كلها ظاهرها وباطنها على ما يحب العبد منها وما يكره، بل على تفاصيل أحوال الخلق كلّهم، برِّهم وفاجرهم، علويهم وسفليهم، فهو سبحانه المحمود على ذلك كلّه في الحقيقة، وإن غاب عن شهود العبد حكمة

ذلك، وما يستحق الرب تبارك وتعالى من الحمد على ذلك والحمد لله: هو إلهام من الله للعباد، فمستقل ومستكثر على قدر معرفة العبد بربه.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: " فأقع ساجدا فيلهمني الله محامد أحمده بها لم تخطر على بالي قط."

- **ومن روحانيات : (الحمد لله رب العالمين)** ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله : شهود تفرّده سبحانه بالربوبية وحده، وأنَّه كما أنه رب العالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومدبِّر أمورهم، وموجدهم، ومغنيهم، فهو أيضا وحده إلههم، ومعبودهم،و ملجأهم ومفزعهم عند النوائب، فلا ربَّ غيره، ولا إله سواه. ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك.

تفسير وروحانيات (الرَّحمن الرَّحيم) :

أما تفسير هذين الاسمين الكريمين فقد قال السعدي: (**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكَتَبَها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله. فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها.

فمن روحانيات (الرَّحمن الرَّحيم): ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله أن لـ (**الرَّحمن الرَّحيم**)عبودية تخصه سبحانه، وهي شهود العبد عموم رحمته.وشمولها لكلّ شيء، وسعتها لكلِّ مخلوق وأخذ كلّ موجود بنصيبه منها، ولاسيما الرحمة الخاصَّة بالعبد وهي التي أقامته بين يدي ربه،ففي بعض الآثار أن جبرائيل يقول - كل ليلة – " أقم فلانًا وأنم فلانا" فبرحمته للعبد أقامه في خدمته يناجيه بكلامه، ويتملقه ويسترحمه ويدعوه ويستعطفه ويسأله هدايته ورحمته، وتمام نعمته عليه في دنياه

وأخراه فهذا من رحمته بعبده، فرحمته وسعت كل شيء، كما أن حمده وسع كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، **(ربَّنا وسعتَ كُلَّ شيء رَّحمة وعلما)** غافر الآية (7)، وغيره مطرود محروم قد فاتته هذه الرحمة الخاصَّة فهو منفي عنها.

ومن روحانيات (الرَّحمن الرَّحيم) : ما قاله بعض العلماء (فإذا قرأ المؤمن : **الرحمن الرحيم** استشعر صور الرحمة الإلهية التي أنارت الوجود كله وكانت سببا للحياة، إذ لا عيش لموجود بدون تلك الرحمة الإلهية التي تُرَى في كل شيء من دوران للأرض وضياء للشمس وسكب لمياه الرحمة وخلق للمحيطات ووهب للهواء وإعطاء للأعضاء والجوارح وقوى الإدراك .. **كل ذلك لهذا الإنسان الظلوم الجهول، وهكذا فكل ما خلقه سبحانه في الكون من كائنات إنْ تأملت الغايةَ مِنْ خلْقها بَدَت لك بجلاء الرحمة وتذكرت الحب الإلهي لهذا المخلوق الضعيف الذي تستهويه النعمة فيقف عندها ناسيا مالكها وخالقها عز وجل سبحانه) ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .**

ولما كان قوله (**الرحمن الرحيم**) إعادة وتكريرا لأوصاف كماله قال: " أثنى عليَّ عبدي "، فإنَّ الثناء إنَّما يكون بتكرار المحامد، وتعداد أوصاف المحمود، فالحمد ثناء عليه، و{ **الرحمن الرَّحيم** } وصفه بالرحمة.

*** تفسير وروحانيات قوله تعالى (مالك يوم الدين) :**

أما تفسيرها : فقد قال الرازي رحمه الله تعالى : قوله : (مالك يوم الدين) أي مالك يوم البعث والجزاء ، وتقريره أنه لا بد من الفرق بين المحسن والمسيء ، والمطيع والعاصي ، والموافق والمخالف ، وذلك لا يظهر إلا في يوم الجزاء ، كما قال تعالى : **(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)** [النجم : 31]

وقال تعالى : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) ص : 8] وقال : (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ) [طه : 15] واعلم أن من سلط الظالم على المظلوم ثم إنه لا ينتقم منه فذاك إما للعجز أو للجهل ، أو لكونه راضيا بذلك الظلم ، وهذه الصفات الثلاث على الله تعالى محال ، فوجب أن ينتقم للمظلومين من الظالمين ، ولما لم يحصل هذا الانتقام في دار الدنيا وجب أن يحصل في دار الأخرى بعد دار الدنيا ، وذلك هو المراد بقوله : (مالك يوم الدين) وبقوله : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) سورة الزلزلة : (7-8)

فمن روحانيات (مالك يوم الدين) ما قاله ابن القيم رحمه الله : " ويعطى قوله { مالك يوم الدِّين } عبوديته من الذلّ والانقياد، وقصد العدل والقيام بالقسط، وكفَّ العبد نفسه عن الظلم والمعاصي، وليتأمل ما تضمنته من إثبات المعاد وتفرَّد الربّ في ذلك بالحكم بين خلقه، وأنه يومٌ يدين الله فيه الخلق بأعمالهم من الخير والشر، وذلك من تفاصيل حمده، وموجبه كما قال تعالى: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة الزمر (75) ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

- ولما وصف العبد ربه بتفرُّده بملك يوم الدين وهو الملك الحق، مالك الدنيا والآخرة ؛ وذلك متضمّن لظهور عدله، وكبريائه وعظمته، ووحدانيته، وصدق رُسله، سمَّى هذا الثناء مجدا فقال: " مجَّدني عبدي " فإن التمجيد هو: الثناء بصفات العظمة، والجلال، والعدل، والإحسان.

ومن روحانيات (مالك يوم الدين) ما أشار إليه بعضهم بقوله : أن العبد يطمئن للعدل الإلهي الذي لا يُقاس بِحُكم غيره، وظهر له المُلْك الأعظم لله سبحانه في ذلك اليوم الرهيب، ورأى العالَمين وكلَّ موجود لابسا سربالا من الذل والانكسار في ذلك اليوم الذي أُعْلِن فيه أَلَّا مَلِكَ حقيقة إلا لله، وألا سطوة بقيت للظلمة والطواغيت لترى الكلَّ خاضعا لله سبحانه خضوعا اضطراريا مطلقا ، ولِتُدرِك عبث ما كان عليه القوم في أرض الوهم والغرور . **ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .**

ومن روحانيات (مالك يوم الدين) ما قاله الغزالي : ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك "مالك يوم الدين" أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه.

فوائد لا تخلو من الروحانيات :

قال الرازي : أما الأحكام المتفرعة على كونه سبحانه ملكا فوجوه :

الأول : أن السياسات على أربعة أقسام : سياسة الملاك ، وسياسة الملوك ، وسياسة الملائكة ، وسياسة ملك الملوك.

1-2/ فسياسة الملوك أقوى من سياسة الملّاك : كمن يملك داراً أو دابة ،لأنه لو اجتمع عالَم - أي عددا كبيراً من الناس - من المالكين فإنهم لا يقاومون مَلِكاً واحدًا ، ألا ترى أن السيد لا يملك إقامة الحد على مملوكه إلا عند أبي حنيفة . وأجمعوا على أن الملك يملك إقامة الحدود على الناس .(**فلهذا كانت سياسة الملك من البشر أقوى من غيره**)

3/ وأما سياسة الملائكة فهي فوق سياسات الملوك ؛ لأن عالَماً من أكابر الملوك لا يمكنهم دفع سياسةَ مَلَكٍ واحد .

4/ وأما سياسة ملك الملوك فإنها فوق سياسات الملائكة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : **(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا)** [النبأ : 38] وقوله تعالى : **(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)** [البقرة : 255] وقال في صفة الملائكة : **(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ)** [الأنبياء : 28] فيا أيها الملوك لا تغتروا بمالكم من المال والملك فإنكم أسراء في قبضة قدرة مالك يوم الدين ، ويا أيها الرعية إذا كنتم تخافون سياسة الملك أفما تخافون سياسة ملك الملوك الذي هو مالك يوم الدين.

الحكم الثاني : من أحكام كونه تعالى ملكا : أنه ملك لا يشبه سائر الملوك لأنهم إن تصدقوا بشيء انتقص ملكهم ، وقلت خزائنهم ؛ أما الحق سبحانه وتعالى فملكه لا ينتقص بالعطاء والإحسان بل يزداد ، بيانه أنه تعالى إذا أعطاك ولدا واحدا لم يتوجه حكمه إلا على ذلك الولد الواحد ، أما لو أعطاك عشرة من الأولاد كان حكمه وتكليفه لازما على الكل ، فثبت أنه تعالى كلما كان أكثر عطاء كان أوسع ملكا.

الحكم الثالث : من أحكام كونه ملكا : كمال الرحمة ، والدليل عليه آيات :

إحداها : ما ذكر في هذه السورة من كونه ربا رحمانا رحيما.

وثانيها : قوله تعالى : **(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)** الحشر : 22] ثم قال بعده : **(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ)** [الحشر : 23] ثم ذكر بعده كونه قدوسا عن الظلم والجور ثم ذكر بعده كونه سلاما ، وهو

الذي سلم عباده من ظلمه وجوره ، ثم ذكر بعده كونه مؤمنا ، وهو الذي يؤمن عبيده عن جوره وظلمه ، فثبت أن كونه ملكا لا يتم إلا مع كمال الرحمة.

وثالثها : قوله تعالى : (**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ**) [الفرقان : 26] لما أثبت لنفسه الملك أردفه بأن وصف نفسه بكونه رحمانا ، يعني : إن كان ثبوت الملك له في ذلك اليوم يدل على كمال القهر ، فكونه رحمانا يدل على زوال الخوف وحصول الرحمة.

ورابعها : قوله تعالى : (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ**) الناس : (1-2) فذكر أولا كونه ربا للناس ثم أردفه بكونه ملكا للناس ، وهذه الآيات دالة على أن الملك لا يحسن ولا يكمل إلا مع الإحسان والرحمة ، فيا أيها الملوك اسمعوا هذه الآيات وارحموا هؤلاء المساكين ولا تطلبوا مرتبة زائدة في الملك على ملك الله تعالى.

الحكم الرابع للملك : أنه يجب على الرعية طاعته فإن خالفوه ولم يطيعوه وقع الهرج والمرج في العالم وحصل الاضطراب والتشويش ودعا ذلك إلى تخريب العالم وفناء الخلق ، فلمّا شاهدتم أن مخالفة الملك المجازي تفضي آخر الأمر إلى تخريب العالم وفناء الخلق فانظروا إلى مخالفة ملك الملوك كيف يكون تأثيرها في زوال المصالح وحصول المفاسد ؟ وتمام تقريره أنه تعالى بين أن الكفر سبب لخراب العالم ، قال تعالى : (**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**) [مريم : 90] وبين أن طاعته سبب للمصالح قال تعالى : (**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**) [طه : 132] فيا أيها الرعية كونوا مطيعين لملوككم ، ويا أيها الملوك كونوا مطيعين لملك الملوك حتى تنتظم مصالح العالم.

الحكم الخامس : أنه لما وصف نفسه بكونه ملكا ليوم الدين أظهر للعالمين كمال عدله فقال : **(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)** [فصلت : 46] ثم بين كيفية العدل فقال : **(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)** [الأنبياء : 47] فظهر بهذا أن كونه ملكا حقا ليوم الدين إنما يظهر سبب العدل ، فإن كان الملك المجازي عادلا كان ملكا حقا وإلا كان ملكا باطلا ، فإن كان ملكا عادلا حقا حصل من بركة عدله الخير والراحة في العالم ، وإن كان ملكا ظالما ارتفع الخير من العالم .

*** تفسير وروحانيات قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) :**

أما تفسيرها : وقوله (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة. لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك ، ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك. وتقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص، واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده.

والعبادة : هي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة. كما قاله ابن تيمية رحمه الله في رسالة العبودية .

والاستعانة : هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك. والقيام بعبادة الله والاستعانة بهما هو الوسيلة للسعادة الأبدية،والنجاة من جميع الشرور. فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصودا بها وجه الله. فبهذين الأمرين تكون عبادة.

وذكر " الاستعانة " بعد " العبادة " مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله, لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر, واجتناب النواهي.

فمن روحانيات (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) : ما قاله الغزالي : ثم جدد الإخلاص بقولك "إياك نعبد" وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك و "إياك نستعين" وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته وأن له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلاً لمناجاته. ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين.

ومن روحانيات (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) : أن المصلي يكون قد أتى إلى الصلاة بعد وقوعه في ذنب من الذنوب فإذا قرأ هذه الآية خجل من نفسه ... كيف ينطق لسانه ب (نعبد) وهو يعصي وكان لتوه يمارس المعصية بل قد تكون تلك المعصية من الكبائر ، حينها يعلم مدى حقارة نفسه وقبائح أعماله في الحياة .. ولولا لطف الله تعالى به وستره عليه لما استطاع الوقوف بين يديه ، فإذا جال بخاطره هذا الخاطر ألا ينبغي أن يسبل الدمع من عينيه .

ومن روحانيات (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) : أن المصلي قد يكون كثير الغفلة عن ربه مضيعاً لأوقاته فلا يكون يذكر الله قبل صلاته إلا قليلاً فمثلاً من بعد صلاة الصبح إلى الظهر لا يكاد يكون الواحد فينا سبح الله أو ذكره بأي نوع من الذكر إلى أن تأتي صلاة الظهر حينها يتذكر أنه عبد ومن واجبه ألا يغفل عن ذكر ربه جل وعلا فإذا دخل في الصلاة وقال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) كاد أن يجزم بعم صدقه في نطقه بها وهو العبد الغافل . فإذا جال بخاطره هذا الخاطر ألا ينبغي أن يسبل الدمع من عينيه .

ومن روحانيات (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) : ما قاله ابن القيم : وتأمل عبودية هاتين الكلمتين وحقوقهما، وميّز الكلمة التي لله سبحانه وتعالى، والكلمة التي للعبد، وفِقهِ سرَّ كون إحداهما لله، والأخرى للعبد، وميّز بين التوحيد الذي تقتضيه كلمة (**إيَّاك نعبدُ**) والتوحيد الذي تقتضيه كلمة (**وإيَّاك نستعين**)، وفِقهَ سرَّ كون هاتين الكلمتين في وسط السورة بين نوعي الثناء قبلهما، والدعاء بعدهما.

وفِقه تقديم (**إياك نعبد**) على (**وإياك نستعين**) وتقديم المعمول على العامل مع الإتيان به مؤخرا أوجز وأخضر، وسرَّ إعادة الضمير مرَّة بعد مرة.

ومن روحانيات (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) : ما قاله ابن القيم أيضاً : إياك نعبد ؛ أي إياك أريد بعبادتي، وهو يتضمن العمل الصالح الخالص، والعلم النافع الدال على الله، معرفة ومحبة، وصدقا وإخلاصا، فالعبادة حق الرب تعالى على خلقه، والاستعانة تتضمن استعانة العبد بربه على جميع أموره، و هي القول المتضمن قسم العبد.

فكل عبادة لا تكون لله وبالله فهي باطلة مضمحلة، وكل استعانة لا تكون بالله وحده فهي خذلانٌ وذل. وتأمل علم ما ينفع العباد وما يدفع عنهم كل واحد من هاتين الكلمتين من الآفة المنافية للعبودية نفعا ودفعا وكيف تدخل العبد هاتان الكلمتان في صريح العبودية.

فائدة : قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وتأمل كيف يدور عِلم القرآن كلّه من أوّله إلى آخره عليهما – يعني جملتي (إياك نعبد وإياك نستعين) وكذلك الخلق، والأمر والثواب والعقاب والدنيا والآخرة، وكيف تضمّنتا لأجلِّ الغايات، وأكمل الوسائل، وكيف أتى بهما بضمير المخاطب الحاضر، دون ضمير الغائب، وهذا موضوع يستدعي كتابا كبيرا.

* تفسير وروحانيات قوله تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

تفسيرها : قال ابن جرير رحمه الله تعالى : (أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

قال : والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر ، قال : ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج ، فتصف المستقيم باستقامته ، والمعوج باعوجاجه.

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد ، وهو المتابعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم .

فمن روحانيات (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ): أن فيه أسمى ألوان الأدب، لأن هذا الدعاء قد تضرع به المؤمنون إلى خالقهم بعد أن اعترفوا له - سبحانه - قبل ذلك بأنه هو المستحق لجميع المحامد، وأنه هو رب العالمين، والمتصرف في أحوالهم يوم الدين.كما قاله بعضهم .

ومن روحانيات (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) استحضار ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى (ثم ليتأمل العبد ضرورته وفاقته إلى قوله { اهدنا الصِّراط المُستقيم } الذي مضمونه معرفة الحق، وقصده وإرادته والعمل به، والثبات عليه، والدعوة إليه، والصبر على أذى المدعو إليه فباستكمال هذه المراتب الخمس يستكمل العبد الهداية وما نقص منها نقص من هدايته.

ومن روحانيات (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أن تعلم أن وقوفك بين يدي الله الآن نوع من الهداية إلى الصراط المستقيم ولولا هدايته لك لما حبب إليك إليك الصلاة ولما وفقك للقيام بها ولولا هدايته لك لما حركك نحوها بل لشغلك بالدنيا أو نسيت الصلاة حتى خرج وقتها (وما توفيقي إلا بالله)واستشعار هذا المعنى يدعو إلى التبرؤ من حولك وقوتك إلى حول الله تعالى وقوته ، مادام الأمر كذلك فطلبي للهداية في كل صلاة يعني الثبات عليها والازدياد منها وامتلاء القلب بحبها وحب أهلها والدعوة إليها ، **وتلك هي التي تسمى بهداية التوفيق .**

ومن روحانيات (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ): أن تستشعر قول الله لك (هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) وإذا أعطاك ما سألت فأنت لن تسير في دروب هذه الحياة إلا بنور من الله تعالى فلا تخاف على فوات دنياك ولن يقع منك انحراف في دينك وإيمانك وعقيدتك وسولكك .لأنه أعطاك سبحانه الهداية التي طلبتها منه على قدر علمه بها لا على قدر علمك . **ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .**

ولذا قال ابن القيم رحمه الله : " ولما كان العبد مفتقرا إلى هذه الهداية في ظاهره وباطنه، بل وفي جميع ما يأتيه ويذره من أنواع الهدايات التي يفتقر لها العبد ، دعا بهذا الدعاء فأصبح أهم مطلب في الحياة أن يهديه ربه إلى الصراط المستقيم ، أوله هنا في الدنيا وآخره في الجنة " اهـ . **ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .**

فوائد لا تخلو من روحانيات : قال ابن القيم في بيان أنواع الهداية التي يحتاج إليها العبد :

- **أمور** فعلها على غير الهداية علما وعملا وإرادة، فهو محتاج إلى التوبة منها وتوبته منها هي من الهداية.

- **وأمور** قد هُدي إلى أصلها دون تفصيلها فهو محتاج إلى هداية تفاصيلها.

- **وأمور** قد هُدي إليها من وجهٍ دون وجهٍ، فهو محتاجٌ إلى تمام الهداية في كمالها على الهدى المستقيم، وأن يزداد هدى إلى هداه.

- **وأمور** هو محتاج فيها إلى أن يحصل له من الهداية في مستقبلها مثل ما حصل له في ماضيها.

- **وأمور** هو خال عن اعتقاد فيها فهو محتاج إلى الهداية فيها اعتقادا صحيحا.

- **وأمور** يعتقد فيها خلاف ما هي عليه، فهو محتاج إلى هداية تنسخ من قلبه ذلك الاعتقاد الباطل، وتُثبت فيه ضدّه.

- **وأمور من الهداية**: هو قادر عليها، ولكن لم يخلق له إرادة فعلها، فهو محتاج في تمام الهداية إلى خلق إرادة.

- **وأمور منها:** هو غير قادر على فعلها مع كونه مريد لها، فهو محتاج في هدايته إلى إقدار عليها.

وأمور منها: هو غير قادر عليها ولا مريد لها، فهو محتاج إلى خلق القدرة عليها والإرادة لها لتتم له الهداية.

- **وأمور:** هو قائم بها على وجه الهداية اعتقادا وإرادة، وعلما وعملا، فهو محتاج إلى الثبات عليها واستدامتها، فكانت حاجته إلى سؤال الهداية أعظم الحاجات، وفاقته

إليها أشد الفاقات، ولهذا فرض عليه الرب الرحيم هذا السؤال على العبيد كلّ يوم وليلة في أفضل أحواله، وهي الصلوات الخمسُ، مرات متعددة، لشدَّة ضرورته وفاقته إلى هذا المطلوب.

- ثم بيَّن أن سبيل أهل هذه الهداية مغاير لسبيل أهل الغضب وأهل الضلال، وهو اليهود، والنصارى وغيرهم.

*** تفسير وروحانيات قوله تعالى :(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) :**

أما تفسيرها : اهدنا يا ربنا إلى طريقك المستقيم، الذى يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة، ويجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من خلقك، وجنبنا يا مولانا طريق الذين غضبت عليهم من الأمم السابقة أو الأجيال اللاحقة بسبب سوء أعمالهم وجنبنا طريق الذين هاموا في الضلالات، فانحرفوا عن القصد، وحق عليهم العذاب.

فمن روحانيات (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ): أن تستحضر أن الوصول إلى معية الذين أنعم الله عليهم تقتضي معرفتهم ومعرفة صفاتهم وقد كفانا الله مؤنة البحث عنهم فقال تعالى **(وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا)** النساء (69) .

ومن روحانيات (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) أن تتخيل نيلك تلك المعية بفضل الله تعالى بعد دخولك الجنة واسمع هذا الحديث : عن عائشة قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : إنك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي من أهلي ، وأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين ، وإن دخلتُ الجنة خشيت ألا أراك . فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى

نزلت عليه : (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) النساء(69)[58] ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

وأقول : إن هذه المعية لـ (النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) لن تحصل يوم القيامة إلا إذا كان المتأهل لها عاشها في الدنيا ، فهو معهم في موافقته لهم في الإيمان وما يتعلق به ، ومعهم في الاقتداء بهم في عباداتهم، ومعهم في سلوكهم وجميل صفاتهم ومكارم أخلاقهم وهو معهم في استحضار صورهم لشدة حبه لهم فيتمنى رؤيتهم في المنام بل قد يكرمه الله تعالى برؤيتهم ، إن صدق في حبه لهم واشتياقه لرؤيتهم . ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

* تفسير قوله تعالى :(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ):

أما تفسيرها : قال الشعراوي رحمه الله : وقوله تعالى: (غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِم) أي غير الذين غضبت عليهم يا رب من الذين عصوا. ومنعت عنهم هداية الاعانة.. الذين عرفوا المنهج فخالفوه وارتكبوا كل ما حرمه الله فاستحقوا غضبه. ومعنى ذلك أي يا رب لا تيسر لنا الطريق الذي نستحق به غضبك. كما استحقه أولئك الذين غيَّروا وبدلوا في منهج الله ليأخذوا سلطة زمنية في الحياة الدنيا وليأكلوا أموال الناس بالباطل).

58/ رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه : " صفة الجنة " ، من طريق الطبراني ، عن أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال ، عن عبد الله بن عمران العابدي ، به . ثم قال : لا أرى بإسناده بأسا والله أعلم .

قول الله تعالى: (ولا الضالين) قال الشعراوي رحمه الله : (هناك الضال والْمُضِل.. الضال هو الذي ضل الطريق فاتخذ منهجا غير منهج الله.. ومشى في الضلالة بعيدا عن الهدى وعن دين الله.

ويقال ضل الطريق أي مشي فيه وهو لا يعرف السبيل الى ما يريد أن يصل إليه.. أي أنه تاه في الدنيا فأصبح وليا للشيطان وابتعد عن طريق الله المستقيم.. هذا هو الضال.. ولكن المضل هو من لم يكتف بأنه ابتعد عن منهج الله وسار في الحياة على غير هدى.. بل يحاول أن يأخذ غيره الى الضلالة.. يغري الناس بالكفر وعدم اتباع المنهج والبعد عن طريق الله.. وكل واحد من العاصين يأتي يوم القيامة يحمل ذنوبه.. الا المضل فانه يحمل ذنوبه وذنوب مَنْ أضلهم. مصداقا لقوله سبحانه: **(لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القيامة وَمِنْ أَوْزَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ)** [النحل: 25] أي أنك وأنت تقرأ الفاتحة.. فأنك تستعيذ بالله أن تكون من الذين ضلوا.. ولكن الحق سبحانه وتعالى لم يأتِ هنا بالمضلين. نقول إنك لكي تكون مضلا لا بد أن تكون ضالا أولا.. فالاستعاذة من الضلال هنا تشمل الاثنين. لأنك مادمت قد استعذت من أن تكون ضالا فلن تكون مضلا أبدا) .

فائدة : قال ابن القيم رحمه الله تعالى : انقسم الخلق إذن إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى هذه الهداية :

مُنعم عليه : بحصولها له واستمرارها وحظه من المنعم عليهم، بحسب حظه من تفاصيلها وأقسامها، **وضالٌ:** لم يُعطَ هذه الهداية ولم يُوفق له، **ومغضوب عليه:** عَرفها ولم يوفق للعمل بموجبها.

فالضال: حائد عنها، حائر لا يهتدي إليها سبيلا. **والمغضوب عليه:** متحيّر منحرف عنها ؛ لانحرافه عن الحق بعد معرفته به مع علمه بها.

فالأول المنعم عليه قائم بالهدى، ودين الحق علما وعملا واعتقادا والضال عكسه، منسلخ منه علما وعملا. والمغضوب عليه لا يرفع فيها رأسا، عارف به علما منسلخ عملا، والله الموفق للصواب.

*** تفسير وروحانيات التأمين :**

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وشرع له التأمين في آخر هذا الدعاء تفاؤلا بإجابته، وحصوله، وطابعا عليه، وتحقيقا له، ولهذا اشتد حسدُ اليهود للمسلمين عليه حين سمعُوهم يجهرون به في صلاتهم.

قلت : يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين)**رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد وصححه البوصيري .

قال الشعراوي رحمه الله تعالى : وكلمة آمين معناها استجب يا رب فيما دعوناك به لأنآمين دعاء لتحقيق المطلوب.

فائدة : قال ابن كثير رحمه الله: " يُسْتَحَبُّ لِمَنْ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا: آمِينَ ... قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ: وَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ لِمَنْ هُوَ خَارِجُ الصَّلَاةِ، وَيَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ الْمُصَلِّي، وَسَوَاءٌ كَانَ مُنْفَرِدًا أَوْ إِمَامًا أَوْ مَأْمُومًا، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ "

المبحث الرابع

روحانيات القراءة بعد سورة الفاتحة

مما هو معلوم استحباب قراءة سورة أو شئ من القرآن بعد الفاتحة ، وهذا مجمع عليه ومحله : في الصبح والجمعة والأوليْن من كل الصلوات ،وأما في الركعتين الأخيرتين؛ فلا يشرع أن يقرأ بعد الفاتحة بشيء من القرآن، بل يقتصر على قراءة الفاتحة ؛ هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث أبي قتادة - متفق عليه - : (أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ في الركعتين الأخيرتين من الرباعية والثالثة من المغرب شيئًا من القرآن بعد الفاتحة).

بناءا على ما سبق سيكون حديثنا في هذا المبحث الحديث حول روحانيات قراءة القرآن من ناحية كونها قرءاة داخل الصلاة وليست على سبيل العموم . لأن مقصودنا من الكتاب أن تستمر روحانيات الصلاة في كل جزء منها .

قبل الشروع في بيان تلك الروحانيات أقول : مما يؤسف له أن الغالبية من المصلين اعتادوا في صلاتهم – في هذا المقام – على ثلاث عادات مذمومة هي السبب في قلة الخشوع :

الأولى : اختيار سور قصيرة – من الزلزلة مثلا إلى الناس - يلتزمها في جميع نوافله لا يكاد يتنازل عنها مهما كانت أحواله بمعنى حتى ولو كان عنده متسع من الوقت فإنه لا يتجاوز ما اعتاده ، فبذلك يكون قد حرم نفسه من تطبيق سنة إطالة الصلاة للمنفرد وحرم نفسه أيضاً من كثرة الثواب المتحصل عليه من طول القراءة . وفوق ذلك حرم نفسه من التلذذ بمناجاة الله ، إذ كيف يتلذذ من كانت قراءته لا تتجاوز قصار السور .. ألست محقاً فيما قلته لك أخي المصلي .

واسمع هذا الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم وذا الحاجة ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء) .رواه البخاري .

الثانية : عدم الفهم لما يقرأ من تلك السور ولا يبحث عن تفسيرها ولا يسأل العلماء وربما يكون ما يتبادر إليه من فهم لما يقرأ فهم خاطئ بل أحياناً يناقض الفهم الصحيح ، والمطلوب هو فهم وتدبر ما يقرأ لكي يخشع في صلاته .

الثالثة : وهذه العادة هي أسوأ من سابقتها ألا وهي : الإسراع في القراءة وكأنه يسمّع قصيدة قد حفظها ، إن هذه العادة ضيعت الخشوع بالكلية فأنا أقول : لو أنه قرأ سورة القارعة مثلا بشئ من التأني لو وجد فيها من الآيات ما يملأ القلب خوفاً من الدار الآخرة وكذلك قل في الزلزلة والتكاثر ونحوهما ، وبمناسبة سورة التكاثر ذكر عبد الرحمن بن مهدي أن الإمام مالك بن أنس رحمهما الله قام ليلة بعد العشاء يردد قوله تعالى : (**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**) ويبكي ويعلو نشيجه حتى طلع الفجر .

فالمقصود حتى قصار السور لو فهمنا معانيها وتأملناها وكررنا الآية الواحدة عدة مرات ربما خشعنا ووجدنا فيها شيئاً من الروحانيات المنشودة .

* **فمما يعين على روحانيات القراءة بعد الفاتحة** : ما أشار إليه الغزالي بقوله : (وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور ، فلا تغفل عن **أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه.**

ولكل واحد حق فالرجاء **حق الوعد**؛ والخوف **حق الوعيد**؛ والعزم **حق الأمر والنهي**؛ والاتعاظ **حق الموعظة**، والشكر حق **ذكر المنة**، والاعتبار حق **إخبار الأنبياء**.

وروي أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى "فإذا نقر في الناقور" خر ميتاً وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى "إذا السماء انشقت" اضطرب حتى تضطرب أوصاله. وقال عبد الله بن واقد: رأيت ابن عمر يصلي مغلوباً عليه؛ وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فإنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر.

وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب. ودرجات ذلك لا تنحصر .والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً .

ومما يعين على روحانيات القراءة بعد الفاتحة : ما أشار إليه الغزالي أيضا (أن يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل. ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد.

كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل "ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله" يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به. ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك .

و مما يعين على روحانيات القراءة بعد الفاتحة ما ذكره الشيخ المنجد حفظه الله تعالى بقوله :

من أسباب الخشوع في الصلاة 59 :

- تدبر الآيات المقروءة وبقية أذكار الصلاة والتفاعل معها: القرآن نزل للتدبر: **{أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}** [ص:29]، ولا يحصل

59/ كتاب 33 سبباً للخشوع في الصلاة (بتصرف)

التدبر إلا بالعلم بمعنى ما يقرأ فيستطيع التفكّر فينتج الدمع والتأثر قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} [الفرقان:73].

- وهنا يتبين أهمية الاعتناء بالتفسير قال ابن جرير رحمه الله: "إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته" .[60]

ولذلك فمن المهم لقارئ القرآن أن ينظر في تفسير ولو مختصر مع التلاوة مثل كتاب (زبدة التفسير) للأشقر وتفسير العلامة ابن سعدي المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) وإن لم يكن فكتاب في شرح الكلمات الغريبة مثل (المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن) لعبد العزيز السيروان فإنه جمع فيه أربعة كتب من كتب غريب القرآن.

- **ومما يُعين على التدّبر كثيرًا ترديد الآيات**: لأنه يعين على التفكّر ومعاودة النظر في المعنى وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم "قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهي: **(إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [المائدة:118]" [61]

- **وكذلك فإن مما يعين على التدبر التفاعل مع الآيات :** كما روى حذيفة قال: "صليت مع رسول الله ذات ليلة. يقرأ مسترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ" رواه مسلم وفي رواية "**صليت مع رسول الله ليلة،**

60/ مقدمة تفسير الطبري لمحمود شاكر 10/1).

61/ رواه ابن خزيمة 271/1 وأحمد 149/5 وهو في صفة الصلاة للألباني - ص(102).

فكان إذا مرّ بآية رحمة سأل، وإذا مرّ بآية عذاب تعوذ، وإذا مرّ بآية فيها تنزيه لله سبح"[62]

- ويستطيع من لا يحفظ كثيرا من القرآن أن يطيل صلاته ، وذلك بعدة طرق ، منها:

1/أن يقرأ عدة سور من قصار السور التي يحفظها في الركعة الواحدة .

2/أن يكرر ما يقرأه ، فيقرأ سورة قصيرة ، أو عدة آيات ، ويكررها كثرا ، فلا حرج على المصلي أن يكرر ما يقرأه ، أو أن يقرأ أكثر من سورة في الركعة الواحدة ، وكل ذلك قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله .

3/ أن يقرأ من المصحف إذا كان ذلك في صلاة النافلة : وينبغي أن يُعلم : أن الأفضل في الصلاة أن تكون متناسبة ، فإذا أطال القيام أطال سائر الأركان ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

فائدة لا تخلوا من روحانيات :قال الغزالي رحمه الله تعالى :

أما القراءة فالناس فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه. ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

62/ تعظيم قدر الصلاة – للمروزي – (327/1)

الفصل الثامن

روحانيات الركوع والرفع منه وما يُتلى فيهما من الأذكار

المبحث الأول : روحانيات الركوع وما يتلى فيه من الذكر .

المطلب الأول : روحانيات الركوع .

المطلب الثاني : روحانيات التسبيح في الركوع .

المبحث الثاني : روحانيات الرفع من الركوع وما يتلى فيه من الذكر.

المبحث الثالث : روحانيات دعاء القنوت .

المبحث الأول

روحانيات الركوع وما يتلى فيه من الذكر

المطلب الأول : روحانيات الركوع .

المطلب الثاني : روحانيات التسبيح في الركوع .

المطلب الأول

روحانيات الركوع

الركوع هو الركن الفعلي الثاني بعد القيام وقد ورد في القرآن أكثر من عشر مرات : منها :قوله تعالى **(وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)** البقرة الآية (43) وقوله تعالى **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)** البقرة الآية (125) وقوله تعالى (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) آل عمران الآية (43). وقوله تعالى **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }** المائدة الآية (55) وقوله تعالى **(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)** التوبةالآية (112)

أقول : ولولا ما للركوع من التأثير في قلب الراكع لما ذكره الله تعالى بهذا العدد بل لقد مدح الله تعالى الراكعين كما هو واضح من هذه الآيات ، فهل يا ترى من الممكن أن يكون المدح لفعل الركوع ومجرد انحناء الجسد **أم أن هناك أمراً آخر وراء ذلك هو أهم وأعظم ، هذا ما ستكشف عن الأسطر التالية ، إن شاء الله تعالى .فأقول ومن الله أرجو العون والقبول :**

لا يخفى عليك أخي المصلي أن المراد من الركوع الانحناء في الصلاة بقصد الخضوع لله تعالى ، فلا يكفي الخضوع بلا انحناء ولا انحناء دون الخضوع كالانحناء لتناول شيء ما.

فمن روحانيات الركوع : أن يستحضر المصلي معنى هاماً ألا وهو أن تتلفَّتَ حولك فتنظر إلى من ينحني لأجل الفن أو الرياضة أو التمثيل ويظن أنه بذلك أدى دوراً في حياته وقام برسالة تأييد لتلك الأمور التافهة .. بينما أنت أكرمك الله تعالى وجعلك تنحني لعظمته هو وحده وهو الذي وفقك لتركع له جل وعلا . **ألا يستدعي ذلك أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك ؟ .**

ومن روحانيات الركوع : ما أشار إليه الغزالي رحمه الله تعالى بقوله : **ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك ، كما يجب أن تستشعر عز مولاك واتضاعك وعلو ربك. وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار.**

ومن روحانيات الركوع : ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله (ثم شرع له رفع اليدين عند الركوع تعظيما لأمر الله، وزينةً للصلاة، وعبودية خاصةً لليدين كعبودية باقي الجوارح، واتباعا لسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حليةُ الصلاة، وزينتها وتعظيمٌ لشعائرها.

ثم شرع له التكبير الذي هو في انتقالات الصلاة من رُكن إلى ركن، كالتلبية في انتقالات الحاجّ، من مشعر إلى مشعر، فهو شعار الصلاة، كما أن التلبية شعار الحج، ومن ثم كان على المصلي أن يعلم أن سر الصلاة هو تعظيم الرب تعالى وتكبيره بعبادته وحده .

ومن روحانيات الركوع : ما أشار إليه ابن القيم أيضاً بقوله : **(ثم شُرع له - الراكع - بأن يخضع للمعبود سبحانه بالركوع خضوعا لعظمة ربه، واستكانة لهيبته وتذللا لعزته.**

فثناء العبد - الفعلي - على ربه في هذا الركن ؛ هو أن يحني له صلبه، ويضع له قامته، ويُنكِّس له رأسه، ويحني له ظهره، ويكبره مُعظما له، ناطقا بتسبيحه، المقترن بتعظيمه.

فاجتمع له خضوع القلب، وخضوع الجوارح، وخضوع القول على أتم الأحوال، ويجتمع له في هذا الركن من الخضوع والتواضع والتعظيم والذكر ما يفرق به بين الخضوع لربه، والخضوع للعبيد بعضهم لبعض، فإنَّ الخضوع وصف العبد، والعظمة وصف الرب.

وتمام عبودية الركوع أن يتصاغر الراكع، ويتضاءل لربه، بحيث يمحو تصاغره لربه من قلبه كلَّ تعظيم فيه لنفسه، ولخلقه ويثبت مكانه تعظيمه ربه وحده لا شريك له.

قال ابن القيم - ايضا - رحمه الله تعالى : **إذا عَظَّم القلبُ الربَّ خرج تعظيم الخلق ،وكلما استولى على قلبه تعظيم الربِّ، وقوى خرج منه تعظيم الخلق، وازداد تصاغره هو عند نفسه فالركوع للقلب بالذات، والقصد والجوارح بالتبع والتكملة.**

المطلب الثاني

روحانيات التسبيح في الركوع

كما عظَّمتَ الله تعالى - أيها المصلي - بفعلك حيث أحنيت له ظهرك وأخضعت له بدنك أمرك الحبيب صلى الله عليه وسلم أن تعظمه بلسانك وقلبك كما ورد ذلك في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال: "كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه فقال: «**اللهم قد بلغت ثلاث مرات اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت، إنه لم يبقى من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له، ألا إني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود فإذا ركعتم فعظموا ربكم وإذا سجدتم فاجتهدوا في الدعاء فانه قمن - أي: حرى أو أولى- أن يستجاب لكم**». رواه النسائي وصححه الألباني .

قال ابن القيم : " نهى – أي النبي صلى الله عليه وسلم - عن قراءة القرآن في الركوع والسجود؛ لأنهما حالتا ذل وخضوع وتضامن وانخفاض, ولهذا شرع فيهما من الذكر ما يناسب هيئتهما فشرع للراكع أن يذكر عظمة ربه في حال انخفاضه هو وتطامنه وخضوعه، وأنه سبحانه يوصف بوصف عظمته عما يضاد كبرياءه وجلاله وعظمته فأفضل ما يقول الراكع على الاطلاق: سبحان ربي العظيم، فإن الله سبحانه أمر العباد بذلك وعيَّن المبلِّغ عنه السفير بينه وبين عباده صلى الله عليه وسلم هذا المحل لهذا الذكر لما نزلت: {**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**} ، قال: (**اجعلوها في ركوعكم**). ([63])

63/ الصلاة وأحكامها(145/1) وابن القيم يشير إلى حديث عقبة بن عامر الجهني يقول(لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال رسول (صلى الله عليه وسلم) (اجعلوها في ركوعكم) فلما نزلت : (سبح اسم ربك الأعلى) قال : اجعلوها في سجودكم) أخرجه أحمد (155/4) وأبوداود (869) وابن ماجه (887) وابن خزيمة (600) وابن حبَّان (1898) والحاكم (347/1)، و(519/2)، وقال: «صحيح الإسناد»

قلت : ولذا علمنا الحبيب صلى الله عليه وسلم كيف يكون هذا التعظيم لله تعالى وذلك من خلال ما كان يقوله في ركوعه ويأمر به في الركوع من صيغ متعددة فلك أن تختار ما شئت وتقوله في ركوعك على أن تغاير بين تلك الصيغ بين الحين والآخر لكي يتجدد خشوعك وروحانياتك في ركوعك.

ومن الملاحظ أن أغلب المصلين يلتزمون صيغة واحدة لا يكاد الواحد منهم يتركها طيلة عمره ولا يدري المسكين أن لكل ذكر أنواره وفوائده وفضائله وروحانياته يختلف فيها عن الذكر الآخر فيكون الملازم لذكر واحد حرمه نفسه من خير كثير.

والآن إليك تلك الصيغ وما لها من معانٍ وما فيها روحانيات مستعيناً بالله تعالى :

1- (سبحان ربي العظيم) رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي :

- معناه وروحانياته :

معنى سبحان : في اللغة : مأخوذة من " السَّبْح " : وهو البُعد ،يقول العلامة ابن فارس : " العرب تقول : سبحان مِن كذا ، أي ما أبعدَه . قال الأعشى :

سُبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخِر أقولُ لمّا جاءني فخرُهُ

وقال قوم : تأويلُهُ عجباً له إِذَا يَفْخَر . وهذا قريبٌ من ذاك ؛ لأنَّه تبعيدٌ له من الفَخْر [64]

فتسبيح الله عز وجل إبعاد القلوب والأفكار عن أن تظن به نقصا ، أو تنسب إليه شرا ، وتنزيهه عن كل عيب نسبه إليه المشركون والملحدون .وبهذا المعنى جاء السياق

64 / معجم مقاييس اللغة - (96/3)

القرآني قال تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) المؤمنون(91) وغيرها كثير .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : " سبحان الله " : تنزيه الله عز وجل عن كل سوء .

وعن يزيد بن الأصم قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : " لا إله إلا الله " نعرفها : لا إله غيره ، و " الحمد لله " نعرفها : أن النعم كلها منه ، وهو المحمود عليها ، و " الله أكبر " نعرفها : لا شي أكبر منه ، فما " سبحان الله " ؟ قال : كلمة رضيها الله عز وجل لنفسه ، وأمر بها ملائكته ، وفزع لها الأخيار من خلقه . [65]

ومعنى (ربي) الرب : هو المُتكفِّل بخلق الموجودات وإنشائها، القائم على هدايتها وإصلاحها الذي نظّم معيشتها ودبّر لها أمورها. وقد مضى الكلام عليه عند الكلام على روحانيات سورة الفاتحة .

إذن معنى **(سبحان ربي العظيم)** : تقدَّس وتنزَّه ربي الذي خلقني ورباني، العظيم: الذي هو أعظم من كل شئ قدرة وجلالًا وكبرياءً وتقدُّسًا.

فمن روحانيات معرفة (سبحان ربي العظيم) أن تسحضر أن من معاني العظيم : أنه هو الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه، فله سبحانه وتعالى صفة العظمة في كل شيء، فهو عظيم في ذاته، عظيم في أفعاله، عظيم في صفاته وكل كائن دونه سبحانه وتعالى فصغير" فلو ملأ تقلبك بهذه المعاني فإنها تحفظك أن تخاف ما سواه سبحانه، ولِمَ تخاف وليس في الكون عظيم غيره؟ فلا يعظم أحد مثله فهو وحده ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه.

65/ موقع الإسلام سؤال وجواب – إشراف الشيخ محمد صالح المنجد .

ومن روحانيات معرفة (العظيم) : أن تستحضر ما قاله الأصفهاني: "العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظِّم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس مَن يعظَّم لماله، ومنهم من يعظم لفضله وجميل صفاته ، ومنهم مَن يعظَّم لعلمه وذكائه ،ومنهم مَن يعظم لسلطانه ، ومنهم من يعظم لجاهه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم بمعنى دون معنى؛ أما الله عز وجل فيعظم في الأحوال كلها".

2- (سبُّوحٌ قدُّوس رب الملائكة والروح) - رواه مسلم، وغيره - :

- معناه وروحانياته :

سبُّوح: أسبِّح الله المسبَّح بكل شئ، والمنزَّه على كل لسان كما قال تعالى **(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)** الإسراء (44)

قدُّوس: اسم لله تعالى ومن معانيه : المنزه عن الكمالات التي ينسبها إليه البشر بعقولهم وأفكارهم وخواطرهم، لأنه لا يعرف الله إلا الله ، ولهذا كان سبحانه منزه عما يعتقده البشر أنه كمال في حقه ولذا لا يوصف الله تعالى إلا بما ورد في القرآن الكريم أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.

رب الملائكة: أي خالقهم ومدبِّرهم سبحانه. ولك أن تتخيل كم أعداد الملائكة إنهم لا يحصيهم إلا خالقهم جل وعلا ، ولعل الحكمة من ذكرهم في هذا المقام هو أن يتشبه المؤمنون بهم في تسبيح الله تعالى وتقديسه أليسوا قد قالوا قديماً (ونحن نسبح بحمدك ونقدس). فكما قالوها إجلالاً لله تعالى وخضوعاً لعظمته فكذلك يقوم بها

المؤمن قولاً وعملاً أي خاضعاً لله تعالى بالركوع وقائلاً بلسانه " سبحان ربي العظيم " ، **ألا يستدعي ذلك أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك ؟ .**

والروح: هو جبريل عليه السلام- مِن باب ذكْر الخاصِّ بعد العامِّ - تكريمًا لجبريل ورفعًا لدرجته فهو أفضل الملائكة.وهوالذي نزل بالقرآن الذي وصف الله بأنه روح **(وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا)** الشورى الآية (52) جاء في معناها : وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير. فلما كان جبريل عليه السلام هو من أتى بالوحي كان مستحقاً لأن يسمى روحاً .

3- اللهم لك ركعت، ولك أسلمت، وبك آمنت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي، وعصبي ، رواه مسلم، وغيره.

معناه وروحانياته :اللهم لك ركعت : إعلان للتوحيد مع التصديق الجازم بأن الركوع لله وحده، وأني يا الله أسلمت نفسي وأركاني لك.

ولك أسلمت : لما كان الركوع دليلاً على استسلام الظاهر لزم منه استسلام الباطن فوجب أن يعبِّر الراكع عن ذلك بلسانه فيقول (**ولك أسلمت**) فهل يليق به أن يستسلم لله في الصلاة فإذا كان خارجها فعل ما يخالف هذا الاستسلام .

قال أحدهم : من العجيب حقًّا أن كثيرًا من الناس إذا منَعهم الطبيب مما يشتهون ويحبون بسبب مرض أصابَهم، تراهم يستجيبون ويُذعنون لتعليمات الطبيب، دون مراجعة أو اعتراضٍ، رغم شدة تعلُّقهم بما منعهم الطبيب منه، وفي المقابل إذا دعاهم الخالق إلى ما فيه صلاحُهم واستقامتهم، تراهم يحاولون التفلُّت من التكاليف وعدم الانقياد والتسليم لأحكام الله؛ سواء التشريعية، أو القدرية .

خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي، وعصبي : الخشوع هنا هو السكون المقرون بالذل والخضوع والعبودية لله. والمراد بالخشوع من هذه الأشياء هو الانقياد والطاعة؛ فيكون هذا من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم.**أما تخصيص السمع والبصر** من بين الحواس؛ فلأنهما أعظم الحواس، وأكثرها فعلاً، وأقواها عملاً، وأمسها حاجة؛ ولأن أكثر الآفات بهما، فإذا خشعتا قَلَّت الوساوس.

ومعنى انقياد السمع: قبول سماع الحق، والإعراض عن سماع الباطل، وأما انقياد البصر: النظر إلى كل ما ليس فيه حرمة، وأما انقياد المخ والعظم والعصب: انقياد باطنه كانقياد ظاهره؛ لأن الباطن إذا لم يوافق الظاهر لا يكون انقياد الظاهر مفيداً معتبراً، وانقياد الباطن عبارة عن تصفيته عن دنس الشرك والنفاق، وتزيينه بالإخلاص والعلم والحكمة.[66] **وأما تخصيص المخ والعظم والعصب من بين سائر أجزاء البدن**؛ فلأن ما في أقصى قعر البدن المخ، ثم العظم، ثم العصب؛ لأن المخ يمسكه العظم، والعظم يمسكه العصب، وسائر أجزاء البدن مركبة عليها، فإذا حصل الانقياد والطاعة، فهذه عمدة بنية الحيوان، وأيضاً العصب خزانة الأرواح النفسانية، واللحم والشحم غادٍ ورائح، فإذا حصل الانقياد والطاعة من هذه فمن الذي يتركب عليهما بطريق الأولى.

4- سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي . رواه البخاري

معناه وروحانياته :هذا الدعاء يتضمن ثلاثة أمور :

1/ الثناء على الله تعالى بتنزيهه عما لا يليق به وذلك بقوله (**سبحانك اللهم**) وقد سبق شرح معنى التسبيح .

66/ شرح حصن المسلم – في موقع الكلم الطيب.

2/ وصف الله تعالى بصفات الكمال الذي يليق به جل وعلا وذلك بقوله (وبحمدك) لأن تعالى إنما يحمد على صفات الجلال والجمال والكمال . وقد سبق الكلام على الحمد في سورة الفاتحة .

3/ الدعاء : حيث طلب المغفرة بقوله (اللهم اغفر لي) وكان دعاؤه صلى الله عيه وسلم مسبوقاً بالثناء على الله تعالى وفي لذك دلالة على أهمية طلب المغفرة كما فيه أهمية تقديم الثناء على السؤال .

تنبيه : ينبغي للمسلم أن يحافظ على هذه الأذكار الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيأتي بهذا أحيانا ، وهذا أحيانا ، وله أن يجمع بين هذه الأذكار في الركوع الواحد .

قال النووي رحمه الله : " **ولكن الأفضل أن يجمعَ بين هذه الأذكار كلها إن تمكن من ذلك بحيث لا يشقّ على غيره – أي الإمام - ويقدّم التسبيح منها ، فإن أراد الاقتصارَ فيستحبُّ التسبيح . وأدنى الكمال منه ثلاث تسبيحات ، ولو اقتصر على مرّة كان فاعلاً لأصل التسبيح . ويُستحبّ إذا اقتصر على البعض أن يفعل في بعض الأوقات بعضها ، وفي وقت آخر بعضاً آخر ، وهكذا يفعل في الأوقات حتى يكون فاعلاً لجميعها** " [67] انتهى.

وقال في الاقناع : " **ولا تكره الزيادة على قول رب اغفر لي ، ولا على سبحان ربي العظيم ، وسبحان ربي الأعلى ، في الركوع والسجود ، مما ورد** " [68] **انتهى .**

---

67 / الأذكار – للنووي - ص (86)

68 / "الإقناع" من كتب الحنابلة (119/1)

المبحث الثاني

روحانيات الرفع من الركوع وما يتلى فيه من الذكر

* الرفع من الركوع هو الركن الثالث من أركان الصلاة ومن الملاحظ أن كثيراً من المصلين يخففه جداً إلى درجة الإخلال بالقدر الواجب فيه فلا يكاد يطمئن حتى يخر ساجداً ، وأقول : لو كان هذا الرفع مندوباً لما جاز لأحد أن يخففه إلى هذه الدرجة المعيبة والتي قد تؤدي إلى بطلان صلاته لفقد ركن الإطمئنان ، حتى إنني أحياناً أحتار فيما يفعله هذا المصلي، لم كل هذه العجلة يا أخي .

واعلم أخي المصلي أنه من الواجب أن يقع في قلبك لله - في هذا الركن - من الإجلال والتعظيم لله ما هو قريب مما وقع في قلبك في الركوع ، فعن حذيفةَ رضي الله عنه قال: (صلَّيتُ مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ذاتَ ليلةٍ. فافتتح البقرةَ. فقلتُ : يركع عند المائةِ. ثم مضى. فقلتُ: يصلي بها في ركعةٍ . فمضى. فقلتُ: يركع بها. ثم افتتح النساءَ فقرأها. ثم افتتح آلَ عمرانَ فقرأها. يقرأ مُترسِّلًا. إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّحَ. وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل. وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذَ. ثم ركع فجعل يقول: " سبحانَ ربيَ العظيمِ " فكان ركوعُه نحوًا من قيامِه. ثم قال: " سمع اللهُ لمن حمدَه "، ثم قام طويلًا. قريبًا مما ركع. ثم سجد فقال: " سبحان ربيَ الأعلى فكان سجودُه قريبًا من قيامِه) صحيح مسلم .

فمن روحانيات الرفع من الركوع : ما أشار إليه ابن القيم بقوله " : ثم نقله منه - أي من الركوع - إلى مقام الاعتدال والاستواء، واقفا في خدمته، بين يديه كما كان في حالة القراءة في ذلك، ولهذا شرع له من الحمد والمجد نظير ما شرع له من حال القراءة في

ذلك. ولهذا الاعتدال ذوقٌ خاص وحال يحصل للقلب، ويخصه سوى ذوق الركوع وحاله، وهو ركنٌ مقصود لذاته كركن الركوع والسجود سواء .

*** والذكر الذي يقال في الرفع نوعان :**

الأول : ذكر يقال أثناء الرفع وقبل الاعتدال : وهو صيغة واحدة : (**سمع الله لمن حمده**). رواه البخاري ومسلم.

ومعناه : اللهم اسمع مني حمدي لك سماع قبول وإجابة ، قال الغزالي : ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم لك ومؤكداً للرجاء في نفسك بقولك "**سمع الله لمن حمده**" أي أجاب لمن شكره. ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول "ربنا لك الحمد" وتكثر الحمد بقولك "**ملء السموات وملء الأرض**" ...الخ

الثاني : ذكر يقال بعد الاعتدال : ووردت فيه صيغ متعددة :

1- (**ربنا لك الحمد**) أو (**ربنا ولك الحمد**) أو (**اللهم ربنا لك الحمد**) رواه البخاري، ومسلم ، ومعناه : **يا ربنا حمدناك فتقبل منا.**

2- (**ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه**). رواه البخاري، وغيره :

ورد في فضله : عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا نصلي يوما وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة وقال: " سمع الله لمن حمده " قال رجل وراءه: ربنا لك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من المتكلم آنفا؟**) قال الرجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا**) رواه البخاري(799) .

ومعناه : حمدًا كثيرًا: أي: لا حد له، **طيبًا:** أي: منزهًا عما ينقص كمال الحمد، **مباركًا فيه:** أي: أن تجعل يا الله في هذا الحمد البركة بقبوله ورضاك به، وأن تجعل له أثرًا طيبًا على نفسي وأهلي ومالي.

3- **(اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شئ بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)** . رواه مسلم، وغيره.

- **ملء السموات وملء الأرض وملء:** أي: أن تجعل هذا الحمد متقبلًا مضاعفًا تمتلئ به مخلوقاتك التي نعرفها والتي لانعرفها في السماوات والأرض وما سواها.

- **أهل الثناء والمجد**: أي: يا أهل الثناء المستحق له وللحمد وأهل المجد، وهو كمال السؤدد والعز والشرف لله سبحانه.**أحق ما قال العبد :** أي: أُثني عليك يا الله بأعلى مقامات الثناء التي يثنى بها عليك عبيدك. **وكلنا لك عبد** : اعتراف مِن الداعي بالعبودية لله، **لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت** : أي: لا أحد يستطيع رد فضلك وعطائك، وما يعطيه العبد لغيره فالله هو المعطي لأنه هدى المعطي للعطاء، ولا أحد يعطي مَن منعه الله مهما أحب أن يعطيه إلا أن يأذن الله بذلك العطاء، ولا ينفع ذا الجد منك الجد: أي: لا ينفع صاحب الحظ حظه في جلب المنفعة ودفع الضر له ولغيره إلا أن يأذن الله سبحانه.

قال ابن القيم : ثم شرع له أن يحمد ربه، ويثني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن هيئاته، منتصب القامة معتدلها فيحمد ربه ويثني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن تقويم، بأن وفقه وهداه لهذا الخضوع الذي قد حرمه غيره.

المبحث الثالث

روحانيت دعاء القنوت

ورد في السنة النبوية صيغتان في دعاء القنوت :

1/ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علَّمني رسول الله صلى الله عليه وسلّم كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت» **رواه أحمد وأبوداود والترمذي، وغيرهما .**

2/ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في قنوت الفجر (**اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفِد، نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد إن عذابك للكافرين ملحق**) كما في المصنف لابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق وسنن البيهقي وغيرهم .

شرح وروحانيات الصيغة الأولى [69]: (**اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت**) .. الخ

اللهم اهدنا : أي دلنا على الحق ووفقنا للعمل به ؛ فإذا قلنا : **اللهم اهدنا فيمن هديت**، فإننا نسأل الهدايتين، هداية العلم وهداية العمل، كما أن قوله تعالى: {اهْدِنَا

69 / منقول من موقع صيد الفوائد - اختصره طالب علم من شرح الشيخ محمد العثيمين – بتصرف .

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6]، يشمل الهدايتين هداية العلم، وهداية العمل، فينبغي للقارئ أن يستحضر أنه يسأل ذلك.

فيمن هديت : نسألك الهداية فإن ذلك من مقتضى رحمتك وحكمتك ومن سابق فضلك فإنك قد هديت أناسًا آخرين.

وعافنا فيمن عافيت : عافنا من أمراض القلوب وأمراض الأبدان . أمراض الأبدان معروفة لكن أمراض القلوب تعود إلى شيئين:

الأول: أمراض الشهوات : التي منشؤها الهوى : أن يعرف الإنسان الحق ، لكن لا يريده ؛ لأن له هوًى مخالفًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلّم.

الثاني: أمراض الشبهات : التي منشؤها الجهل ، التي منشؤها الجهل ؛ لأن الجاهل يفعل الباطل يظنه حقًّا وهذا مرض خطير جدًّا؛ فأنت تسأل الله المعافاة والعافية من أمراض الأبدان، ومن أمراض القلوب، التي هي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.

وتولنا في من توليت : أي كن ولياً لنا الولاية الخاصة التي تقتضي العناية بمن تولاه الله عزَّ وجلَّ والتوفيق لمايحبه ويرضاه.

وبارك لنا : أي: أنزل لي البركة فيما أعطيتني ، والبَرَكَة هي الخيرات الكثيرة الثابتة.

فيما أعطيت : أي ما أعطيت من المال والولد والعلم وغير ذلك مما أعطى الله عزَّ وجلَّ، فتسأل الله البركة فيه؛ لأن الله إذا لم يبارك لك فيما أعطاك، حرمت خيرًا كثيرًا.

ماأكثر الناس الذين عندهم مال كثير لكنهم في عداد الفقراء؛ لأنهم لا ينتفعون بمالهم، يجمعونه ولا ينتفعون به. وهذا من نزع البركة، كثير من الناس عنده أولاد، لكن أولاده لا ينفعونه لما فيهم من عقوق، وهؤلاء لم يُبَارَكْ لهم في أولادهم. تجد بعض الناس أعطاه الله علمًا كثيرًا لكنه بمنزلة الأمي، لا يظهر أثر العلم عليه في عبادته، ولا في أخلاقه، ولا في سلوكه، ولا في معاملته مع الناس، بل قد يُكْسِبه العلم استكبارًا على عباد الله، وعلوًّا عليهم، واحتقارًا لهم، وما علم هذا أن الذي منَّ عليه بالعلم هو الله، تجده لم ينتفع الناس بعلمه، لا بتدريس، ولا بتوجيه، ولا بتأليف، بل هو منحصر على نفسه، وهذا بلا شك حرمان عظيم، مع أن العلم من أبرك ما يعطيه الله للعبد.

وقنا شر ما قضيت : قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ما قَضَاهُ الله عزّ وجل قد يكون خيراً، وقد يكون شرًّا، فما كان يُلائمُ الإنسانَ وفِطرتَه فإن ذلك خير، وما كان لا يُلائِمه فذلك شرٌّ، فالصِّحَّةُ والقوةُ والعِلْمُ والمالُ والولدُ الصَّالحُ وما أشبه ذلك خير، والمَرَضُ والجهل والضَّعف والولد الطالحُ وما أشبه ذلك شرٌّ؛ لأنه لا يُلائم الإنسانَ.

وقوله: **ما قضيت**، ما هنا بمعنى الذي، أي: الذي قضيتُه... والمراد: قضاؤه الذي هو مقضيَّه؛ لأن قضاءَ الله الذي هو فِعْلُه كلُّه خير، وإنْ كان المقضيُّ شرًّا؛ لأنه لا يُراد إلا لحكمةٍ عظيمةٍ، فالمرضُ مثلاً قد لا يَعرفُ الإنسانُ قَدْرَ نِعمة الله عليه بالصِّحَّة إلا إذا مَرِضَ، وقد يُحْدِثُ له المرضُ توبةً ورجوعاً إلى الله، ومعرفةً لِقَدْرِ نفسِهِ، وأنه ضعيفٌ، ومُحتاجٌ إلى الله عزّ وجل، بخلاف ما لو بقيَ الإنسانُ صحيحاً معافى، فإنه قد ينسى قَدْرَ هذه النِّعمة، ويفتخرُ كما قال الله تعالى: وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ* وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ.

فإن قال قائلٌ: كيف نجمعُ بين قوله: قِني شرَ ما قضيت. وقوله صلّى الله عليه وسلّم: والشرُّ ليس إليكَ. فالجواب عن ذلك: أنَّ الشَّرَّ لا يُنسب إليه تعالى؛ لأن ما قضاه وإنْ كان شرًّا فهو خير، بخلاف غيره، فإن غيرَ الله رُبَّما يقضي بالشَّرِّ لشرٍّ محضٍ، فربما يعتدي إنسانٌ على مالكَ أو بدنكَ أو أهلكَ لقصد الشَّرِّ والإضرار بك، لا لقصدِ مصلحتِكَ، وحينئذٍ يكون فِعْلُهُ شرًّا محضاً ". انتهى (من الشرح الممتع على زاد المستقن ، نقلاً عن الشبكة الإسلامية).

إنك تقضي و لا يقضى عليك : الله عزَّ وجلَّ يقضي قضاء شرعيًّا وقضاء كونيًّا، فالله تعالى يقضي على كل شيء وبكل شيء؛ لأن له الحكم التام الشامل.

ولا يقضى عليك : أي لا يقضي عليه أحد، فالعباد لا يحكمون على الله، والله يحكم عليهم، العباد يُسألون عما عملوا، وهو لا يُسأل: **(لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)** سورة الأنبياء: (32).

إنه لا يذل من واليت، ولا يعزّ من عاديت : هذا كالتعليل لقولنا فيما سبق: «وتولنا فيمن توليت»، فإذا تولى الله الإنسان فإنه لا يذل، وإذا عادى الله الإنسان فإنه لا يعز.

ومقتضى ذلك أننا نطلب العز من الله سبحانه، ونتقي من الذل بالله عزَّ وجلَّ، فلا يمكن أن يذل أحد والله تعالى وليه، فالمهم هو تحقيق هذه الولاية. وبماذا تكون هذه الولاية؟ تكون بتحقيق ما قال الله تعالى في كتابه **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)** يونس (62-63) وبما أخبر سبحانه في الحديث القدسي (**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا**

أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) رواه البخاري .

فمن عمل بالتقوى وبالخصال الواردة في هذا الحديث فقد نال ولاية الله تعالى وصار من جملة أحبابه .

ولا يعزّ من عاديت : يعني أن من كان عدوًّا لله فإنه لا يعز، بل حاله الذل والخسران والفشل، ولهذا لو كان عند المسلمين عز الإسلام وعز الدين وعز الولاية ؛ لم يكن هؤلاء الكفار على هذا الوضع الذي نحن فيه الان ؛ لأن أكثر المسلمين اليوم مع الأسف لم يعتزوا بدينهم، ولم يأخذوا بتعاليم الدين، وركنوا إلى مادة الدنيا، وزخارفها؛ ولهذا أصيبوا بالذل.

تباركت ربنا وتعاليت : هذا ثناء على الله عزَّ وجلَّ بأمرين :

أحدهما : قوله تباركت : لأن الله عزَّ وجلَّ هو أهل البركة «تباركت» أي كثرت خيراتك وعمت ووسعت الخلق؛ لأن البركة كما قلنا فيما سبق هي الخير الكثير الدائم.

ربنا : أي يا ربنا ، فهو منادى حذفت منه ياء النداء.وقد يقول قائل (يا) للمنادى البعيد فكيف ينادى بها الله تعالى وهو القائل **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)** سورة ق(16) .

فالجواب : أن البعد هنا ليس بعدا حسياً بل هو بُعد معنوي والمراد به بُعد منزلة ومكانة لعلو شأن الله تعالى وعظمته في قلب العبد ، والله أعلم .

الثاني : قوله : وتعاليت : من العلو الذاتي ، أي : عليٌّ بذاته فوق جميع الخلق، والعلو الوصفي ، أي : أن الله له من صفات الكمال أعلاها وأتمها، وأنه لا يمكن أن يكون في صفاته نقص بوجه من الوجوه.

شرح وروحانيات الصيغة الثانية : (اللهم إنا نستعينك ونستهديك , ونستغفرك ونتوب إليك , ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخيركله ،نشكرك لا نكفرتك ، ونخلع نترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ، وإليك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله و صحبه وسلم) . هذه الصيغة مأثورة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواها ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق والبيهقي في السنن .

فمعنى قوله **: نستعينك** : نطلب منك العون، وقد سبق الكلام على الاستعانة عند تفسير **(وإياك نستعين)** .

ونستهديك : نسألك الهداية لطريق الحق،والعمل به ، والكلام عليها كالكلام على (**اهدنا فيمن هديت**).

ونستغفرك : نسألك مغفرة ذنوبنا،وذلك يعني محو الذنب وإزالة أثره والوقاية من شره ويلزم من ذلك ستر الذنب. ، فإن اقترن به الندم على الذنب وعدم الإصرار عليه فهو الاستغفار المطلوب ، وبه تتحقق التوبة النصوح .

وأمَّا الاستغفار باللسان مع إصرار القلب على الذنب فهو دعاء مجرَّد إن شاء الله أجابه وإن شاء ردّه، فقد يقول الإنسان بقلب حاضر فيوافق ساعة استجابة فيستجيب الله له. ذكر أبي الدنيا في كتاب التوبة (ص125) عن الحسن قال: " أكثروا

من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم فإنكم ما تدرون متى تتنزل المغفرة " .

ونتوب إليك : نعلن رجوعنا إلى طاعتك وامتثال أمرك، والفرق بين الاستغفار والتوبة أنهما إذا ذكرا في سياق واحد كان الاستغفار لما مضى، والتوبة لما يستقبل، فقولك: "أستغفر الله": طلبٌ للمغفرة عما صدر منك، وقولك: "وأتوب إليه": عهدٌ بالاستقامة فيما تستقبل من عمرك، وهذ فائدة تكررت في تفسير العلامة السعدي رحمه الله.

ونؤمن بك : نعتقد اعتقادا جازما بكل ما يجب به الإيمان في حقك،وهذا من باب تجديد الإيمان ، وتجديد الإيمان في القلوب والنفوس، هو توثيق الصلة بالله تعالى ، وقد جاءت به نصوص الكتاب والسنة، فقد قال تعالى: قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**) النساء: (136) .

وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **(إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى: أن يجدد الإيمان في قلوبكم)** روه الحاكم والطبراني وصححه الألباني.

ولعل من الحكمة في جعل هذا الدعاء في صلاة الصبح لكي يستقبل المؤمن يومه بإيمان متجدد ، فلا يقع فيما يغضب ربه تبارك وتعالى، إذ هذا نوع من التذكير بالله : الله الذي خلقك في أحسن تقويم ، وجعلك من بنيء آدم المكرمين ، شق سمعك وبصرك ، وأجرى الدماء في عروقك ، نعمه عليك لا تعد ، وجوده ليس له حدود ، فضَّلك بالإسلام ، وجعلك من أتباع خير الأنام عليه الصلاة والسلام .

ونتوكل عليك : التوكل على الله من أعظم العبادات التي يتقرّب بها العبد إليه عزّ وجل، وجعله الله شرطاً للإيمان والإسلام؛ لأنه أعظم درجات التوحيد التي تقود إلى القيام بالأعمال الصالحة، قال الله تعالى: **(وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)** سورة آل عمران:(122)، ويُعدُّ التوكل من الأعمال القلبيّة التي لا تتم باللسان .

ومعناه : كما قال العلماء : هو صدق الاعتماد على الله في تسيير الأمور، واستجلاب المصالح، ودفع مضارّ الدنيا والآخرة، فيكون العبد واثقاً مما عند الله تعالى، وراضياً به، ويائساً ممّا في أيدي الناس، قال تعالى: **(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** [المائدة: 23]، وقال تعالى: **(إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ)** [يونس: 84].

قال الشيخ محمد صالح المنجد : والناس في التوكل على الله أقسام:

- فمنهم من يتوكل على الله، ومنهم من يتوكل على غير الله، والذين يتوكلون على الله أقسام: فمنهم من يتوكل عليه في الإيمان، ونصرة الدين، وإعلاء كلمة الله عز وجل، وجهاد الأعداء، وعبادته سبحانه وتعالى، هؤلاء الذين يتوكلون عليه في نصرة الدين، وقمع المبتدعين، وزيادة الإيمان، والعلم، ومصالح المسلمين، هؤلاء هم الرسل، وورثة الرسل، وأتباعهم إلى يوم الدين ، إن التوكل على الله نصف الدين .

- ومن الناس من يتوكل على الله في أمور من الدنيا ينالها، من رزق، أو عافية، أو خلاص من عدو، أو حفظ ولد، وهذا جائز ولا شك، بل هو واجب من ناحية أصله، وهو التوكل على الله المباح من جهة المتعلق به، وهو الخلاص من عدو، أو طلب غنيمة، أو رزق، أو شفاء من مرض، أو حفظ ولد، و نجاة إنسان مشرف على

الخطر، و نحو ذلك، يجب التوكل على الله فيها، ولكن من الناس من يجعل كل همه في التوكل في الأشياء الدنيوية.

ونثني عليك الخير كله : نمدحك بما أنت له أهل من المديح والثناء، نشكرك ولا نكفرك: نصرف كل نعمتك في طاعتك ولا نصرفها في معصيتك فذلك كفران لها .

اللهم إياك نعبد : لا نعبد إلا إياك لاستحقاقك أن تفرد بالعبادة، وإليك نصلي ونسجد: نخلص عبادتنا لك من صلاة وسجود،

وإليك نسعى ونحفد : نسرع ونبادر إلى خدمتك والعمل بطاعتك، نرجو رحمتك: نؤمل أن تشملنا رحمتك، ونخشى عذابك: نخاف عقوبتك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق: فعقوبتك المحققة المؤلمة ستلحق الكافرين الملحدين ولن يفلتوا منها.

وصلى الله على سيدنا محمد : الصلاة من الله تعالى هي الرحمة المقونة بالتعظيم على قول ، وعلى قول آخر: هي ثناء الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم في الملأ الأعلى .

وآله صلى الله عليه وسلم : هم المؤمنون من بني هاشم، وصحبه: هم كل من اجتمع معه مؤمنا به ومات على ذلك. وسيأتي مزيد بيان عند الكلام على الصلاة الإبراهيمية ، إن شاء الله تعالى .

الفصل التاسع

روحانيات السجود والجلوس بين السجدتين وما يُتلى فيهما من الأذكار

المبحث الأول : روحانيات السجود وما يتلى فيه من الذكر .

المطلب الأول : روحانيات السجود .

المطلب الثاني : روحانيات التسبيح والدعاء في السجود .

المبحث الثاني : روحانيات الجلوس بين السجدتين وما يتلى فيه من الذكر والسجدة الثانية .

المطلب الأول : روحانيات الجلوس بين السجدتين والسجدة الثانية وما يتلى فيهما من الذكر .

المطلب الثاني : روحانيات تكبيرات الانتقال .

المبحث الأول

روحانيات السجود وما يتلى فيه من الذكر

المطلب الأول : روحانيات السجود .

المطلب الثاني : روحانيات التسبيح والدعاء في السجود .

المطلب الأول

روحانيات السجود

السجود هو الركن الرابع من الأركان الفعلية في الصلاة ، وكونه عبادة ليس خاصاً بالصلاة بل هناك سجود خارج الصلاة كسجود التلاوة وسجدة الشكر ،وهو سر الصلاة ولبُّها، وأفضل أحوالها، وأعظم أركانها، في السجود تتجلى العبودية في أكمل صورها، وأعظم معانيها فيه غاية الذل والانكسار، ونهاية المسكنة والافتقار.

وقد ذكر الله تعالى السجود في القرآن كثيراً ، مما يدل على أهميته وعظيم فضله وكثرة فوائده ، وإليك بيان ذلك من خلال النقاط الآتية :

أولاً : مما يدل على فضله وأهميته :

1/ لقد بين العلماء أن السجود ورد في القرآن الكريم على نوعين وهما:

أ- سجود اختياري : وهذا النوع خاص بالإنس والجن لأنهم هم الممتحنون في هذه الدنيا، وبهذا السجود يستحقّون الثواب من الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم: **(فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا)**، سورة النجم، آية: 62. أي تذلّلوا لله تعالى .

ب- سجود تسخيريّ : ويكون هذا النوع شاملاً لكل من الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، وهو المعنى لما قاله تعالى: **(وَللهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا)**، سورة الرعد (15). وقوله تعالى: **(وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)** سورة الرحمن (6).

ولا يُقصد في هذه الآية أن الجمادات تسجد كما يسجد الإنسان في صلاته، إنّما هي خضوع الجمادات لله تعالى استجابة لطاعته.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد هذين النوعين من السجود في كثير من الآيات القرآنية . وسأقف مع آية واحدة جمعتهما معاً ، وهي : قوله تعالى **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)** الحج (18) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيرها (بتصرف) :

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها ، أي وسجود - كل شيء مما - يختص به ، كما قال : (**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**) [النحل : 48] . وقال هاهنا : **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ)** أي : من الملائكة في أقطار السماوات ،والحيوانات في جميع الجهات، من الإنس والجن والدواب والطير، كما قال تعالى :**(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)** [الإسراء : 44] .

وقوله : **(وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ)** : إنما ذكر هذه على التنصيص; لأنها قد عبدت من دون الله ، فبين أنها تسجد لخالقها ، وأنها مربوبة مسخرة (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) [فصلت : 37] .

وفي الصحيحين عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتدري أين تذهب هذه الشمس؟) . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (فإنها

تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت) .

وفي المسند وسنن أبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، في حديث الكسوف : (إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله عز وجل إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له) .

وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر ، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه .وأما الجبال والشجر فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل .

وقوله : **(وَالدَّوَابُّ)** أي : الحيوانات كلها . **(وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ)** أي : يسجد لله طوعا مختارا متعبدا بذلك ، **(وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ)** أي : ممن امتنع وأبى واستكبر ، **(وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)**

وقال الرازي رحمه الله تعالى : قال الزجاج : أجود الوجوه في سجود هذه الأمور أنها تسجد مطيعة لله تعالى وهو كقوله : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) [فصلت : 11] ، **(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)** [النحل : 40] ، (**وإن منها لما يهبط من خشية الله)** [البقرة : 74] ، (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) [الإسراء : 44] ، (**وسخرنا مع داود الجبال يسبحن**) والمعنى أن هذه الأجسام لما كانت قابلة لجميع الأعراض التي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت الطاعة والانقياد وهو السجود .

وأما قوله : **(وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ)** فقال ابن عباس في رواية عطاء : وكثير من الناس يوحده وكثير حق عليه العذاب ممن لا يوحده ، وروي عنه أيضا أنه قال : وكثير من الناس في الجنة . فقال : **(وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ)** أي وجب بإبائه وامتناعه من السجود .

وأما قوله تعالى : **(وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ)** فالمعنى أن الذين حق عليهم العذاب ليس لهم أحد يقدر على إزالة ذلك الهوان عنهم فيكون مكرما لهم ، ثم بين بقوله : **(إن الله يفعل ما يشاء)** أنه الذي يصح منه الإكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب ، والله أعلم .

2/ لقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والصحابة الكرام وأهل العلم بالسجود له سبحانه :

- مدح سبحانه الأنبياء عليهم السلام ومعهم صفوة أوليائه ،فقال :(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) مريم (58) .

قال ابن كثير رحمه الله : أي إذا سمعوا كلام اللّه المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعاً واستكانة حمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة، والبكي: جمع باك فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعاً لمنوالهم. قال سفيان الثوري قرأ عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه سورة مريم فسجد، وقال هذا السجود، فأين البكي؟ يريد البكاء) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

- ومدح سبحانه الملائكة عليهم السلام بالسجود له ، فقال : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ).سورة النحل آية (49)

.

قال ابن كثير رحمه الله : وقوله: {والملائكة وهم لا يستكبرون} أي تسجد للّه أي غير مستكبرين عن عبادته، {يخافون ربهم من فوقهم} أي يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله، {ويفعلون ما يؤمرون} أي مثابرين على طاعته تعالى وامتثال أوامره، وترك زواجره.

- ومدح سبحانه الصحابة الكرام بالسجود له ، فقال : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: 29].

قال ابن كثير رحمه الله : وقوله سبحانه وتعالى: {تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} وصفهم بكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها للّه عزَّ وجلَّ، والاحتساب عند اللّه تعالى جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل اللّه عزَّ وجلَّ، ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول، كما قال جلا وعلا: {ورضوان من اللّه أكبر}.

- ومدح سبحانه أهل العلم بالسجود له : فقال : (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا) الإسراء (107).

قال الشعرواي رحمه الله : كلمة { **يَخِرُّونَ** } توحي بأنهم يسارعون إلى السجود، وكأنها عملية انفعالية غير إرادية ليس لهم فيها تصرُّف، فبمجرد سماع القرآن يرتمون على الأرض ساجدين؛ لأنهم تفاعلوا معه، واختمر الإيمان في نفوسهم. ليس ذلك وفقط، بل ويخرون { **لِلأَذْقَانِ** } جمع ذَقَن، وهي أسفل الفَكِّ السفلي، ومعلوم أن السجود يكون على الجبهة، أما هؤلاء فيسجدون بالوجه كله، وهذا دليل على الخضوع والاستسلام لله تعالى.

3/ أمر سبحانه خليله إبراهيم وابنه إسماعيل أن يطهّرَا البيت الحرام لعباده المشتغلين بأنواع الطاعات، ومنها السجود **(وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)** [الحج: 26].

4/ السجود يغيظ الشيطان؛ لأنه يرى استجابة المؤمن لربه وعبوديته له، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله)، وفي رواية (يا ويلي! أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النار).

ثانياً : فوائد السجود في الدنيا والآخرة :

1/ كثرة السجور ترفع الدرجات وتقربك من مرافقة خير البريات عليه أفضل الصلوات:

عن رَبِيعَة بْن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه قَالَ : " كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي : سَلْ ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ : (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) رواه مسلم ،يقول الإمام النووي رحمه الله : " فيه الحث على كثرة السجود

والترغيب به ، والمراد به السجود في الصلاة " .انتهى من " شرح صحيح مسلم " **(206/4)** .

وعن معدان بن أبي طلحة قال : " لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ - أَوْ قَالَ قُلْتُ : بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ - فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ : سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً) **رواه مسلم (488).**

فانظر كيف كانت رفعة الدرجات مطردة بحسب الاستكثار من الصلوات بين يدي الله سبحانه وتعالى ، تماما كما يفيده قول الله عز وجل : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) النساء/69.

2/ بالسجود يخرج الله أقواماً من العصاة من النار ويدخلهم الجنة : حينما يفصل الخالق جل وعلا بين عباده في الآخرة فيدخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ يخرج الله -عز وجل- من النار بعد ذلك أصحاب السجود في الدنيا، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة الطويل وفيه: (حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا مَن كان يعبد الله فيخرجوهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود).

3/ بالسجود يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أفراد أمته يوم القيامة : ومن فضل السجود وبركته أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف أفراد أمته في عرصات القيامة بأثر السجود في الوجه كما ثبت في الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام أحمد وغيره.

4/ السجود يذهب الهموم الدنيوية : عند توارد الهموم وتزاحم الغموم يحتاج العبد إلى أن ينفِّس عن مشاعره ويخفِّف من همومه الجاثمة على صدره ، ولن يجد العبد ملاذاً غير باب ربه تبارك وتعالى فينطرح بين يديه، ويشكو حاله إليه، ويرفع حاجاته لديه، فيحصل له بذلك طمأنينة القلب وسكينة النفس.

ولذا أرشد الله عز وجل نبيه حينما كذَّبه قومه واتهموه في عقله، فضاق بذلك صدره وتحسرت نفسه أرشده أن يلجأ إلى ربه بالتسبيح **والسجود (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ)** [الحجر: 97- 98].

5/ شرف السجود وعظمته تتجلى في قرب العبد من ربه تعالى ، ولذا ربط سبحانه بين السجود والقرب منه في قوله تعالى: **(كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)** [العلق: 19].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء).

6/ السجود موطن من مواطن إجابة الدعاء؛ يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمِنٌ أن يُستجاب لكم) رواه مسلم.

7/ عن أبي ذر - رضي الله عنه - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (مَن سجد لله سجدةً، كتب الله له بها حسنةً، وحطَّ بها عنه خطيئةً، ورفَع له بها درجةً) صحيح الترغيب والترهيب.

لعلك أخي المصلي بعد معرفتك لهذه الفضائل التي حاز عليها السجود ترتفعك همتك لأن تقوم بالسجود في صلاتك على الوجه اللائق به - من الخشوع وحضور القلب

باعتباره - عبادة لها هذه المزايا على غيرها من العبادات ، فتطيل سجودك بين يدي الله تعالى طامعاً في رحمته ورضاه ، متطلعاً إلى جزيل عطاياه .

ومما يعينك على ذلك أن تتعرف على روحانياته :

- **فمن روحانيات السجود** : ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى : ثم شرع له أن يكبر ويدنو ويخرَّ ساجدا، ويُعطي في سجوده كل غضو من أعضائه حظَّه من العبودية، فيضع ناصيته بالأرض بين يدي ربه، مسندة راغما له أنفه، خاضعا له قلبه، ويضع أشرف ما فيه وهو وجهه بالأرض ولاسيما وجه قلبه مع وجهه الظاهر ساجدا على الأرض معفِّرا له وجهه وأشرف ما فيه بين يدي سيِّده، راغما أنفه، خاضعا له قلبه وجوارحه، متذلِّلا لعظمة ربه، خاضعا لعزَّته، منيبا إليه، مستكينا ذلا وخضوعا وانكسارا، قد صارت أعاليه ملويةً لأسافله.

وقد طابق قلبُه في ذلك حال جسده، فسجد القلب للرب كما سجد الجسد بين يدي الله، وقد سجد معه أنفه ووجهه، ويداه وركبتاه، ورجلاه فهذا العبد هو القريب المقرَّب فهو أقرب ما يكون من ربه .

- **ومن روحانيات السجود : ما قاله ابن القيم أيضاً** : لما كان سجود القلب خضوعه التام لربّه أمكنه استدامة هذا السجود إلى يوم القيامة، كما قيل لبعض السلف: هل يسجد القلب ؟ قال: " أي والله سجدةً لا يرفع رأسه منها حتى يلقى الله عزَّ وجل " إشارة إلى إخبات القلب، وذلّه، وخضوعه، وتواضعه وإنابته وحضوره مع الله أينما كان، ومراقبته له في الخلاء والملأ .

- **ومن روحانيات السجود : ما قاله الغزالي رحمه الله تعالى** : ثم تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتُمكِّن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو

التراب. وإن أمكنك ألا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل. وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فإنك من التراب خلقت وإليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل "سبحان ربي الأعلى" وأكده بالتكرار فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبراً وسائلاً حاجتك وقائلاً "رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم" أو ما أردت من الدعاء. ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانياً كذلك.

- **ومن أعظم روحانيات السجود** : أن تستحضر أنك إن أكثرت منه كمّاً - من حيث العدد - ونوعاً - من حيث الخشوع فيه - أنك سوف تنال مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة أليس هو الذي قال لربيعة بن كعب رضى الله عنه : (**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**).

- ومن أعظم روحانيات السجود : ما قاله بعضهم (بتصرف):

- أن تستحضر أيها الساجد : السجود لله - سبحانه وتعالى - أن يَطرح العبد أشرف ما يظهر منه على الأرض راغبًا محبًّا، معظمًا متقرّبًا لربه وخالقه، مسلِّمًا أمره، معترفًا بذنبه، منكسًا رأسه. فالسجود روضة خاصة، إذا دخلها القلب لا يخرج منها أبدًا، ففيها من اللذة والانشراح ما لا يُوصَف، ولا يحيط به قلم.

- أن تستحضر أيها الساجد : أن السجود لله - سبحانه وتعالى - روضة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو فيها يتنعَّم، تُسكَب فيها العبرات، وتُزاح الآهات، تطرح

الحاجات، تُجاب الدعوات، ترفرف الأفئدة نشوة وفرحًا بما تنعم به في مِثل هذه اللحظات.

- **أن تستحضر أيها الساجد : أن السجود لله** عبارة عن روضة فيها لقاء من نوع خاص لا يَحضُره أحد ولا يُمنع منه أحد، ولا يدري به أحد، فهو بين العبد والرب، لقاء شفاف بعيد عن الدنيا ومَن فيها وما فيها، تختلط فيه الدموع بالدعوات، والتملق بالثناء، والخوف بالرجاء، وإذا حصل وتذوَّق الساجد طعم ما في هذه الروضة، انقلب ودخلها دخول صدق ففيها وبها يرتفع قدره ويسمو مقامه، وبكل سجدة درجة.

- **أن تستحضر أيها الساجد** : أن السجود ذلٌّ لله العزيز القهار، وخضوع واعتراف ونزول واستسلام وطاعة وامتثال، وهو أيضًا رِفْعة وقوة وانشراح واطمئنان ومظنَّة إجابة الدعاء وكشْف الكربات.

- **أن تستحضر أيها الساجد :** أنه من المفترض أن يكون في السجود دمعة صادقة لا يراها إلا مَن سُكبت له ومِن أجْلِه، وفيه اعتراف جريء لا يسمعه إلا من وسع سمعه كل شيء، وهنا في السجود طلب ما لا يدري به أحد، وروضة للقلب قبل البدن والروح.

- **أن تستحضر أيها الساجد : أن السجود عنوان عبودية**، ورمز خضوع، وموقف عزٍّ، ومدرسة اعتراف، فسبعة أعضاء تسجد لله وتحمل البدن، كلها مُنطرِحة غير متأفِّفة ولا مستكبِرة، بل راغبة مُحبَّة طالبة للعز والرفعة. في روضة السجود جلاء الكبر، ومحو الذنب، وتطهير النفس، وصقْل القلب، فاسجد ففي كلِّ سجدة تسجدها مطمئنًّا مؤمنًا ترتفع درجة، وأقرب ما يكون القلب من الرب إذا سجد، فلا تبخل على

نفسك، **ولا تعجل في سجودك، فأطِل؛** فاللذة تأتي كلما طال بقاؤك ساجدًا حتى إنك تود ألا ترفع.

أيها الساجد لله : اسجد باكيًا ويا لذة البكاء في السجود! واسجد سائلاً، وداعيًا، ومسبِّحًا، ومهللاً، متضرِّعًا خاضعًا، فأنت في جنَّة من جنان الدنيا! اسجد واحمد الله - تبارك وتعالى - أنْ وفَّقك للسجود، فكم من محروم لا يدري ما السجود! وإن طرَح جبهتَه على الأرض، نقرها نقرًا لا يدري ما قال ولا يعرف ما ذاق. واعرف السجود لتكثر، **فاسجد للشكر، واسجد للتوبة واسجد للتلاوة، واسجد للسهو في صلاة، ولتكن حياتك سجودًا، فالقلب يسجد لله سجدة لا يقوم منها عبوديَّة وطاعة وامتثالاً ورغبة ورهبة.**

المطلب الثاني

روحانيات التسبيح والدعاء في السجود

قبل الدخول في موضوع الروحانيات ينبغي أن تعلم أنه قد وردت صيغ كثيرة في السنة النبوية في التسبيح الذي يقال في السجود كما وردت أيضاً بعض الأدعية وما ذلك إلا لأن الإنسان من طبعه الملل فلو لم تكن إلا صيغة واحدة لملها مع كثرة ترديدها له ، **ومن هنا كان من الضروري لكل مصل أن يحفظ أكثر من ذكر ودعاء ليغاير بينها بين الحين والآخر** . ولو ذهبنا نتتبعها كلها بالشرح لطال بنا المقام ، ولكن جمعتها كلها في الفصل الأخير من هذا الكتاب – بفضل الله تعالى - واخترت هنا بعضها لبيان معانيها وما فيها من الروحانيات في الأسطر التالية :

أولاً : بيان ما ورد من صيغ التسبيح وما فيها الروحانيات :

1- (سبحان ربي الأعلى) ، يقال ثلاث مرات أو أكثر . رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

- معناه وروحانياته :

معنى الأعلى في اللغة : أفعل التفضيل في اللغة أعلى على وزن (أفعل)، فعله علا، يعلو، علواً. فالأعلى هو الذي ارتفع عن غيره وفاقه في وصفه.

- والأعلى في حق الله سبحانه : هو الذي له العلو المطلق من كل وجه : علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر والغلبة. **وعلو الذات** : أي أنه سبحانه عالٍ بذاته على كل الخلق ، مستوٍ على عرشه ، فوق جميع مخلوقاته .**وعلو الصفات** :أنه موصوف

بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص . **وعلو القهر والغلبة** : أنه قد قهر كل شيء وغلبة ، وخضع له كل شيء .

قال ابن القيم رحمه الله : " أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى ، وَنَطَقَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ ، فَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعُلُوُّ مِنْ سَائِرِ وُجُوهِ الْعُلُوِّ ; لِأَنَّ الْعُلُوَّ صِفَةُ مَدْحٍ ، فَثَبَتَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عُلُوَّ الذَّاتِ وَعُلُوَّ الصِّفَاتِ وَعُلُوَّ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ " 70انتهى .

ولذا : كلُّ مَنْ علا مهما كان فالله أعلى منه والله أعظم منه والله أجل منه، مهما كان له العلو في الأرض ومهما كان متصفا بالمنزلة والمكانة. فالله سبحانه وتعالى ذو العُلُّو وذو العُلا وذو العلاء والمعالي.

- **فمن روحانيات هذا التسبيح** : أن فيه إعلان الخضوع لله بكل معانيه؛ بوضع الجبهة والوجه (أشرف ما لدى الإنسان) على الأرض، وكذلك استحضار تنزيه الله عز وجل عن السفول، وأنه سبحانه عليٌّ فوق مخلوقاته، ومنزه عن الوساوس التي يوحيها الشيطان بأن الله حلَّ في الأشياء سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، مع اعتقاد أنه أقرب للعبد من كل شيء، فهو سبحانه عليٌّ في دنوّه، قريب في علوّه، ولهذا شرع التسبيح في كل منخفض، كما شرع التكبير على كل مرتفع.

- **ومن روحانياته** : ما قاله ابن رجب : " إذا ذل العبد لربه بالركوع والسجود ، وصف ربه بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو ، فكأنه يقول : الذل والتواضع وصفي ، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك ، فلهذا شُرع للعبد في ركوعه أن يقول : " سبحان ربي العظيم " وفي سجوده : " سبحان ربي الأعلى " . وكان صلى الله عليه وسلم أحيانا

70 / اجتماع الجيوش الإسلامية – لابن القيم - (2/ 182)

يقول في ركوعه وسجوده : " سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة "71 انتهى .

- **وقد يتساءل البعض** : لماذا يذكر في الركوع اسم "العظيم" و في السجود اسم "الأعلى"؟ و ما معناها؟ أي بماذا يجب أن نفكر عند تلفظنا بهذين الذكرين؟

الجواب باختصار : قال بعض العلماء :

الركوع في الصلاة هو تعظيم لله تعالى، فنحن نعظم الله سبحانه في كل ركوع في الصلاة. والتعظيم للشيء يعني أعتقادنا بعظمته و في مقابل هذه العظمة ننحني إجلالاً و تعظيماً له. فنحن نعظم الله سبحانه، فذكر صفة "العظيم" و نسبتها له عزّ شأنه بمثابة الأذعان لعظمته، لذلك يتحتم علينا أن نلتفت إلى معاني هذه الألفاظ في الصلاة و نتوجه إليها بقلوبنا. والسجود أمام الله سبحانه هو أيضاً بهذا المعنى فنحن نعفّر أنوفنا و جباهنا في التراب لأجله و نقرّ بصغرنا أمامه. فإذا ذكرنا صفة الأعلى في هذه الحالة بكل خضوع وخشوع وأذعنّا بعلو مرتبة الله سبحانه وأقررنا في حال السجود بأن الله أعلى من كل شيء و نخاطبه بهذه الصفة، عندئذ ترتفع عند الإنسان حالة العبودية و يمكن القول حقاً بأن هذه الحالة من أفضل حالات الإنسان لعبودية الله سبحانه.

2- **سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ (ثَلاَثًا). صحيح سنن أبي داود للألباني** :لقد سبق بيان فائدة الجمع بين الحمد والتسبيح - في أذكار الركوع – لكن باختصار : الحمد يعني وصف الله تعالى بالكمال المطلق بعد تنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به بالتسبيح .

71 / الخشوع في الصلاة - للشيخ وهف القحطاني - (ص41-43) – بتصرف .

3/ اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين. رواه مسلم وغيره :

- معناه وروحانياته :

اعتراف بنعمة الله على العبد في حسْن خلْقه له، وإعانته على السجود، وشق سمعه وبصره: أي: هيأ مكانًا مشقوقًا في الرأس مناسبًا للسمع والبصر، أحسَن الخالقين: فله سبحانه الكمال المطلق في الخلق والتكوين، بخلاف المخلوق الذي يعطيه الله بعض القدرة فيصنع ويصور أشياء جزئيه نسبيَّة لا تصل لكمال صنع الله سبحانه.

4- سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي . رواه البخاري، ومسلم.

عن عائشة الله عنها، قالت: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن ". رواه البخاري(794) . وقد سبق شرحه في أذكار الركوع.

5- (سبوح قدوس رب الملائكة والروح). رواه مسلم، وغيره (يقال في الركوع والسجود). سبق شرحه في أذكار الركوع .

6- (اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأوله وآخره، وعلانيته وسره). رواه مسلم .

- معناه وروحانياته : لنعترف قبل أن نلهج بهذا الدعاء أن كُلَّ إنسان يَحيَا على هذه الأرض وفي هذا الكون العظِيم يُخطِئ، وكل واحد مِنّا يُدرِك أنّه قد أخطأ، وقليل جداً مَنْ لا يُدرِك هذا، وجميعنا دون استِثناء نرتكِب الذُنوب والمعاصِي، فنُخطِئ في حقِّ

أنفِسنا قبل أنْ نُخطِئ في حقِّ الآخرين ، فنحن لسْنَا بِرُسُل، فقد جَبَلنَا الله على هذه الفِطرة، الجميع يُذنِب ويتوب ويعود إلى الله، فخيرِ الخَطّائين هم التّوابون.

ولما كانت الذنوب التي نقع فيها كثيرة ومتنوعة جاء التعليم النبوي لنا بمقدار هذا التنوع وهذه الكثرة ، والآن تأمل في كلمات هذا الدعاء .

اللهم اغفر لي ذنبي كله : أي جميعه ، لما كان قوله (**ذنبي**) مفرد يراد به العموم صح أن يؤكده بقوله (**كله**) وهذا يشمل الصغائر والكبائر والسر والعلانية ، ومع هذا فصل بعد إجمال ،قال النووي (وفيه - أي في هذا التفصيل - توكيد الدعاء وتكثير ألفاظه وإن أغنى بعضها عن بعض)

دقه: الذنوب الصغيرة ، أي الذنب الذي دقَّ وهذا أعظم بالاعتراف والإقرار بما اقْتُرِفَ.

وجِلَّه : أَيْ اغفر لي ذنبي جَلِيله وَكَبِيره، قِيلَ إِنَّمَا قَدَّمَ الدِّقّ عَلَى الْجِلّ لِأَنَّ السَّائِل يَتَصَاعَد فِي مَسْأَلَته أَيْ يَتَرَقَّى وَلِأَنَّ الْكَبَائِر تَنْشَأ غَالِبًا مِنْ الْإِصْرَار عَلَى الصَّغَائِر وَعَدَم الْمُبَالَاة بِهَا ، فَكَأَنَّهَا وَسَائِل إِلَى الْكَبَائِر .

وأوله وآخره : أي اغفر لي ذنبي الماضي والمستقبل من الذنوب. وقيل الْمَقْصُود الْإِحَاطَة ، بجميع الذنوب .

وعلى القول الأول يأتي سؤال ألا وهو : إن المغفرة تستدعي سبق شيء يغفر، والمتأخر من الذنوب لم يأت، فكيف يغفر؟ والجواب ما قاله الحافظ ابن حجر: أنه كناية عن حفظهم من الكبائر فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك، وقيل: إن معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة. انتهى.

والمقصود بقوله تقع مغفورة أي أنهم يوفَّقون للتوبة منها دون تسويف أو تأخير ، بخلاف غيرهم فلا يوفقون لذلك ،والله أعلم .

عَلَانِيَته وَسِرّه : أَيْ عِنْد غَيْره تَعَالَى وَإِلَّا فَهُمَا سَوَاء عِنْده تَعَالَى يَعْلَم السِّرّ وَأَخْفَى [72].

فوائد : حول معرفة الصغائر وما يتعلق بها :

أولاً : الصغائر: في تعريفها قولان:

القول الأول : هي ما عدا الكبائر، والتي ليس لها حد شرعي يقام على من ارتكبها في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة، ونقصد بالوعيد الغضب أو النار أو اللعنة.

القول الثاني : كل ما نهى عنه الشارع ولم يحدد له عقوبة في الدنيا هو صغيرة .

ثانياً : مكفرات الصغائر : جاءت النصوص الشرعية ببيان أن للصائر ما يكفرها :

1/ أن الصغائر تُكفر باجتناب الكبائر، لقوله تعالى: **(إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا)** النساء: (31) .

2/ في الحديث الصحيح **(الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر).**

3/ وردت أحاديث بأن بعض الطاعات تكفر الذنوب، كصوم يوم عرفة وعاشوراء والعمرة، والصغائر تُكفر وتمحى بأمثال هذه الطاعات، وإن الحسنات يذهبن بالسيئات.وهذا مما هو معلوم لدى كل مسلم .

[72]/ عون المعبود شرح سنن أبي داود – تأليف العلّامة شمس الحق العظيم أبادي .

ثالثاً : الحذر من الاستهانة بالصغائر :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعودٍ وذا بعودٍ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**)رواه أحمد.

قال الحافظ رحمه الله في الفتح: سنده حسن ونحوه عند أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود وعند النسائي وابن ماجه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : **(يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً)** ، وصححه ابن حبان. وروي عن ابن عباس أنه قال: **لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.**

- **وقال المناوي رحمه الله** : محقرات الذنوب أي صغارها، لأن صغارها أسباب تؤدي إلى ارتكاب كبارها.

- **وقال الغزالي رحمه الله** : صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى تفوت أهل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة... انتهى.

- قال ابن القيم رحمه الله : " الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف، والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر. وقد يقترن بالصغيرة من قلّة الحياء، وعدم المبالاة، وترك الخوف، والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر. بل يجعلها في أعلى المراتب" .

رابعاً : بعض الأمثلة على الصغائر :

1/ النظر إلى المرأة الأجنبية والاستمتاع به ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(العينُ تزني، وزناها النّظرُ)**، إذا مرّت من عندك امرأة ورأيتها ومددت طرفك: هذه من الصغائر، لكن إذا كنتَ من الذين يتابعون شاشة التلفاز وينظرون إلى ما يُعرض فيها من المناظر المنكرة: فتجتمع عليك الصغائر في كلّ لحظة عليك صغيرة، تصوّر الكمَّ الهائل من الرُّكام الذي يجتمع عليك من هذه النظرات ، وقد سبق قول ابن عباس : " لا صغيرة مع الإصرار " .

2/ شرب سيجارة وحدة: صغيرة ،لكن سيجارة مع سيجارة وعشرات وآلاف هذه كلها صغائر تتجمع، ركام، وقلبك مُصرّ عليها، يعني لا يوجد اشمئزاز أو لوم النفس، يوجد بعض الناس أنّه يتبرّم قليلًا من فعل بعض المعاصي ، لكن المبتلى بالدخان يتعاطاه بكلّ أريحية!. فمثل هذا متى يتوب أو يخاف على نفسه من العقوبة ؟؟ .

3/ ومن أمثلة الضغائر في التعامل مع الآخرين : عدم رد السلام ، عدم تشميت العاطس لمن معه عدم اجابة الدعوة الى العرس مالم يكن هناك عذر. خطبة المؤمن على خطبة أخيه ،خطبة المرأة وهي لا تزال في العدة . والخلوة بالاجنبية ، السكوت عن الغيبة . مجالسة الفساق ايناسا لهم . بيع النجش والعينة وتلقي الركبان وبيع المسلم على بيع أخيه . سماع الغناء والطرب . الشغار (البدل في الزواج) .

4/ ومن أمثلة الصغائر في جانب العبادات : استقبال أو استدبارها عند قضاء الحاجة ، الخروج من المسجد بعد الاذان بدون عذر ودون العزم على الرجوع لصلاة الجماعة ، والكلام اثناء الخطبة دون ضرورة ، تقبيل الزوجة للصائم لمن لا يملك أربه.

وقولنا صغائر، لا يعني أنها حلال أو من المباحات، ولا يدل اسمها على التقليل من شأنها، فهي صغيرة بالنظر إلى الكبيرة، ولكنها حرام في مقابلة الحلال، وهي ذنب وليست من المباحات فيعاقب المرء على فعلها، وينبغي على كل مسلم تركها، ولهذا ذكرتها.

المبحث الثاني

روحانيات الجلوس بين السجدتين والسجدة الثانية وتكبيرات الانتقال

وما يتلى فيها من الذكر

المطلب الأول : روحانيات الجلوس بين السجدتين والسجدة الثانية وما يتلى فيهما من الذكر.

المطلب الثاني : روحانيات تكبيرات الانتقال .

المطلب الأول

روحانيات الجلوس بين السجدتين وما يتلى فيه من الذكر والسجدة الثانية

في هذا المبحث ركنان ودعاء ،أما الركنان فهما : الجلوس بين السجدتين والسجدة الثاني ، وأما الدعاء فهو ما يقال بين السجدتين ، وإليك بيان ذلك من خلال النقاط التالية :

أولاً : روحانيات الجلوس بين السجدتين :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ثم شرع له أن يرفع رأسه، ويعتدل جالسا، ولما كان هذا الاعتدال محفوفا بسجودين ؛ سجود قبله، وسجود بعده، فينتقل من السجود إليه، ثم منه إلى السجود الآخر، كان له شأن، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيل الجلوس بين السجدتين بقدر السجود يتضرع إلى ربه فيه، ويدعوه ويستغفره، **ويسأله رحمته، وهدايته ورزقه وعافيته، وله ذوق خاص، وحال للقلب غير ذوق السجود وحاله** ؛ فالعبد في هذا القعود يتمثَّل جاثيا بين يدي ربه، مُلقيا نفسه بين يديه، مُعتَذرا إليه مما جَنَاه، راغبا إليه أن يغفر له ويرحمه، مستَغثيا به على نفسه الأمَّارة بالسوء.

ثانياً : صيغ وروحانيات أدعية الجلوس بين السجدتين:

1- (**رب اغفر لي، رب اغفر لي**). (رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه).

من روحانيات هذا الاستغفار : ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله : وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر الاستغفار في هذه الجلسة فيقول: " رب اغفر لي، رب اغفر لي، رب اغفر لي "، ويكثر من الرغبة فيها إلى ربه .

فمثِّل أيها المصلي نفسك فيها بمنزلة غريم عليه حق، وأنت كفيل به، والغريم مماطل مخادع، وأنت مطلوب بالكفالة، والغريم مطلوب بالحق، فأنت تستعدي عليه حتى تستخرج ما عليه من الحق،؛ لتتخلص من المطالبة، والقلب شريك النفس في الخير والشر، والثواب والعقاب، والحمد والذم.

والنفس من شأنها الإباق والخروج من رقِّ العبودية، وتضييع حقوق الله عو وجل وحقوق العباد التي قبلها، والقلب شريكها إن قوي سلطانها وأسيرها، وهي شريكته وأسيرته إن قوي سلطانه.

فشرع للعبد إذا رفع رأسه من السجود أن يجثو بين يدي الله تعالى مستعديا على نفسه، معتذرا من ذنبه إلى ربه ومما كان منها، راغبا إليه أن يرحمه ويغفر له ويرحمه ويهديه ويرزقه ويعافيه.

2- (**اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني**).رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الحاكم :

معناه : **واجبرني** : قوِّني مِن كل ضعف، واخلف عليَّ كل غائبة بخير، **واهدني:** هداية التوفيق لكل خير وصلاح.

- **من روحانيات هذا الدعاء** : ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله : " هذه الخمس كلمات، قد جمعت جماع خير الدنيا والآخرة فإن العبد محتاج بل مضطر إلى تحصيل مصالحه في الدنيا وفي الآخرة، ودفع المضار عنه في الدنيا والآخرة، وقد تضمّن هذا الدعاء ذلك كله. فإن **الرزق** يجلب له مصالح دنياه وأخراه ويجمع رزق بدنه ورزق قلبه وروحه، وهو أفضل الرازقين. **والعافية** تدفع مضارّها.والهداية تجلب

له مصالح أخراه. **والمغفرة تدفع عنه مضارّ الدنيا والآخرة.والرحمة تجمع ذلك كلّه. والهداية تعمُّ تفاصيل أموره كلّها** ".

ثالثاً : روحانيات السجدة الثانية :قال ابن القيم رحمه الله : وشرع له أن يعودَ ساجدا كما كان، ولا يكتفي منه بسجدة واحدة في الركعة كما اكتفى منه بركوع واحد ؛ وذلك لفضل السجود وشرفه وقرب العبد من ربّه وموقعه من الله عز وجل، حتى إنَّه أقرب ما يكون إلى ربه وهو ساجد، وهو أشهر في العبودية وأعرق فيها من غيره من أركان الصلاة ؛ ولهذا جُعل خاتمة الركعة، وما قبله كالمقدمة بين يديه، فمحلّه من الصلاة محل طواف الزيارة، وكما أنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فكذلك أقرب ما يكون منه في المناسك وهو طائف كما قال ابن عمر لمن خطب ابنته وهو في الطواف فلم يرد عليه فلما فرغ من الطواف قال: **" أتذكر أمرا من أمور الدنيا ونحن نتراءى الله سبحانه وتعالى في طوافنا** ".

ولهذا والله أعلم، جُعل القيام والركوع قبل السجود تدريجا وانتقالا من الشيء إلى ما هو أعلى منه.

ثم بين رحمه الله الحكمة من تكرار السجود مرتين بقوله : وشُرع له تكرير هذه الأفعال والأقوال ؛ إذ هي غذاء القلب والروح التي لا قوام لهما إلا بها، فكان تكريرها بمنزلة تكرير الأكل لقمة بعد لقمة حتى يشبع، والشرب نفسا بعد نفس حتى يَروى، فلو تناول الجائع لقمة واحدة ثم دفع الطعام من بين يديه فماذا كانت تُغني عنه تلك اللقمة ؟ وربما فتحت عليه باب الجوع أكثر مما به .

ولهذا قال بعض السلف: " **مثل الذي يصلي ولا يطمئن في صلاته كمثل الجائع إذا قُدِّم إليه طعام فتناول منه لقمة أو لقمتين ماذا تغني عنه ذلك**". وفي إعادة كل

قول أو فعل من العبودية والقرب، وتنزيل الثانية منزلة الشكر على الأولى، وحصول مزيد خير وإيمان من فعلها، ومعرفة وإقبال وقوة قلب، وانشراح صدر وزوال درنٍ ووسخٍ عن القلب بمنزلة غسل الثوب مرَّة بعد مرَّة.

فهذه حكمة الله التي بَهَرت العقول حكمته في خلقه وأمره، ودلَّت على كمال رحمته ولطفه، وما لم تحط به علما منها أعلى وأعظم وأكبر وإنما هذا يسير من كثير منها.

المطلب الثاني

روحانيات تكبيرات الانتقال

مما هو معلوم أن من سنن الصلاة تكبيرات الانتقال وهي من القيام للركوع ومن الرفع من الركوع إلى السجود وللجلوس بين السجدتين وللجلوس للتشهد ، وربما تكون الحكمة من سنيتها هو ملء هذه الحركات التي ينتقل فيها المصلي من ركن إلى آخر أي **حتى لا يبقى صامتاً في أثناء انتقاله فيكون ذلك سبباً في غفلته .**

قال الشيخ صالح بن حميد في إحدى خطبه :

الله أكبر: كلمةٌ عظيمةٌ، خفيفةٌ على اللسان، ثقيلةٌ في الميزان، يقولُها المُسلم في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، ويسمعها من الإمام والمُؤذِّن أكثر من مائة مرَّة، وتتردَّدُ في الأذكار عشرات المرات.

التكبيرُ هو شِعارُ الصلاة، وعند جماهير أهل العلم أن الصلاةَ لا تنعقِدُ إلا بلفظ التكبير، وفي الحديث: (**مفتاحُ الصلاة الطُّهور، وتحريمُها التكبير، وتحليلُها التسليم**).رواه أحمد والترمذي وغيرهما وحسنه النووي.

والمُصلُّون في صلاة الجماعة يُكبِّرون بعد تكبير الإمام، وفي الحديث: (**فإذا كبَّر فكبِّروا**)،رواه مسلم. في مُتابعةٍ دقيقة، وانتِظامٍ عجيب، يقودُه التكبيرُ ويُنظِّمُه.

الله أكبر : جُملةٌ عظيمةٌ حافِظةٌ، إذا سمِعها الشيطان تصاغَرَ وتحاقَرَ وخنَسَ، فكبرياءُ الجبَّار تقمَعُ انتِفاشَ الشيطان، وإذا تغوَّلت الغيلان فبادِروا بالتكبير.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه بدائع الفوائد : (**وأما السؤال الثامن والعشرون : لما كان المصلي قد تخلى عن الشواغل، وقطع جميل العلائق وتطهر، وأخذ زينته وتهيأ للدخول على الله ومناجاته.. شرع له أن يدخل عليه دخول العبيد على الملوك، فيدخل بالتعظيم والإجلال، فشرع له أبلغ لفظ يدل على هذا المعنى وهو قول: الله أكبر.**

فإن في هذا اللفظ من التعظيم والتخصيص والإطلاق في جانب المحذوف المجرور بمن ما لا يوجد في غيره، ولهذا كان الصواب أن غير هذا اللفظ لا يقوم مقامه، ولا يؤدي معناه، ولا تنعقد الصلاة إلا به كما هو مذهب أهل المدينة وأهل الحديث. فجعل هذا اللفظ واستشعار معناه، **والمقصود به باب الصلاة الذي يدخل العبد على ربه منه، فإنه إذا استشعر بقلبه أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال استحيا منه أن يشغل قلبه في الصلاة بغيره. فلا يكون موفيا لمعنى الله أكبر، ولا مؤديا لحق هذا اللفظ، ولا أتى البيت من بابه، بل الباب عنه مسدود، وهذا بإجماع السلف أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها وحضره بقلبه.**

وما أحسن ما قال أبو الفرج بن الجوزي في بعض وعظه: حضور القلب أول منزل من منازل الصلاة، فإذا نزلته انتقلت إلى بادية المعنى، فإذا رحلت عنها أنخت بباب المناجاة فكان أول قرى الضيف اليقظة، وكشف الحجاب لعين القلب، فكيف يطمع في دخول مكة من لا خرج إلى البادية، وقد تبعث قلبك في كل واد، فربما تفجأك الصلاة وليس قلبك عندك، فتبعث الرسول وراءه فلا يصادفه، فتدخل في الصلاة بغير قلب. **والمقصود أنه قبيح بالعبد أن يقول بلسانه: الله أكبر، وقد امتلأ قلبه بغير الله فهو قبلة قلبه في الصلاة، ولعله لا يحضر بين يدي ربه في شيء منها، فلو قضى حق الله أكبر وأتى البيت من بابه لدخل وانصرف بأنواع التحف والخيرات) اهـ** بتصرف.

الفصل العاشر

روحانيات الجلوس للتشهد وما يتلى فيه من الأذكار

المبحث الأول : شرح التشهد الأول وما فيه من الروحانيات .

المبحث الثاني : شرح وروحانيات التشهد الأخير (الصلاة الإبراهيمية) .

المبحث الثالث : شرح وروحانيات الأدعية المسنونة بعد التشهد الأخير وقبل السلام.

المبحث الرابع : روحانيات السلام بعد الانتهاء من الصلاة .

المبحث الأول

شرح التشهد الأول وما فيه من الروحانيات

في الجلوس الأول ذكر واحد وهو التشهد الأول فقط وقد وردت فيه صيغ متعددة ، وأما الجلوس الثاني ففيه التشهد المعروف إضافة إلى بعض الأدعية .

وسأتناول في هذا المبحث الصيغ التي وردت في التشهد الأول وما فيها من روحانيات :

أولاً : الصيغ التي وردت في التشهد الأول : وردت فيه ثلاث صيغ متقاربة: **الأولى : (التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله). رواه البخاري .**

الثانية : (التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) وفي رواية (عبده ورسوله) أخرجه مسلم والنسائي .

الثالثة : (التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ ، الزَّاكِيَاتُ لِلَّهِ ، الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) رواه مالك في الموطأ – رقم (204) وصححه الألباني .

ثانياً : شرح وروحانيات صيغ التشهد :

التحيات لله: أي: التنزيه والتقديس والتعظيم لله، وليس المقصود به سلام التحية المعروف .

*** معنى وروحانيات كلمة التحيات لله :**

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ولما كان من عادة الملوك أن يُحيَّوا بأنواع التحيات من الأفعال والأقوال المتضمنة للخضوع لهم، والذل، والثناء عليهم وطلب البقاء، والدوام لهم، وأن يدوم ملكهم.فمنهم: من يحيّي بالسجود ومنهم من يحيي بالثناء عليه ،ومنهم: من يحيي بطلب البقاء، والدوام له.

ومنهم: من يجمع له ذلك كلّه فيسجد له، ثم يثني عليه، ثم يدعي له بالبقاء والدوام.

وكان الملك الحق المبين، الذي كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه أولى بالتحيات كلِّها من جميع خلقه، وهي له بالحقيقة وهو أهلها ؛ ولهذا فُسرت التحيات بالملك، وفسرت بالبقاء والدوام، وحقيقتها ما ذكرته، وهي تحيات المُلك والمَلك والمليك.

فالله سبحانه هو المتصف بجميع ذلك، فهو أولى به فهو سبحانه المَلك، وله المُلك، فكل تحية تحي بها ملك من سجود أو ثناء، أو بقاء، أو دوام فهي لله على الحقيقة ؛ ولهذا أتى بها مجموعة معرَّفة بالألف واللام إرادة للعموم، وهي جمع تحية، تحيا بها الملوك، فإذا كان أصلها من الحياة، والمطلوب منها لمن تحي بها دوام الحياة، كما كانوا يقولون لملوكهم: لك الحياة الباقية، ولك الحياة الدائمة. وبعضهم يقول: عش عشرة آلاف سنة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : واشتق منها: أدام الله أيامك أو أيامه، وأطال الله بقاءك.ونحو ذلك مما يراد به دوام الحياة والملك، فذلك جميعه لا ينبغي إلا لله الحي القيوم الذي لا يموت.الذي كل مَلكٍ سواه يموت، وكل مُلك سوى ملكه زائل.

والصلوات: قال العلماء : أي الصلوات الخمس أو كل الصلوات المعبود بها، أو العبادات كلها والأدعية وغير ذلك من أنواع العبادة كالخوف والرجاء، والتوكل والإنابة والخشية فهو سبحانه مستحقها، ولا تليق بأحد سواه.

معنى وروحانيات كلمة الصلوات :

من الروحانبات ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى : ثم عطف عليها الصلوات بلفظ الجمع والتعريف ؛ ليشمل ذلك كلّما أُطلق عليه لفظ الصلاة خصوصا وعموما، فكلّها لله ولا تنبغي إلا له،فالتحيات له ملكا، والصلوات له عبودية واستحقاقا، فالتحيات لا تكون إلا لله، والصلوات لا تنبغي إلا له.

ومن روحانيات كلمة الطيبات : قال الشيخ د. عبدالله بن حمود الفريح : الطيبات: لها معنيان:

الأول: ما يتعلق بالله : فله سبحانه من الأقوال والأفعال والأوصاف أطيبها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة عند مسلم: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً".

الثاني: ما يتعلق بأفعال العباد : فله من أقوالهم وأفعالهم الطيب كما في حديث أبي هريرة " ولا يقبل إلا طيباً ".وأما ما لم يكن طيباً فلا يصعد إلى السماء بل يبقى في الأرض قال تعالى: (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**) [فاطر: 10].

ومن روحانياتها : ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى : ثم عطف عليها بالطيِّبات، وهذا يتناول أمرين: الوصف والملك. **فأما الملك** فقد سبق الحديث عنه عند تفسير قوله تعالى (**مالك يوم الدين) فلا حاجة للحديث عنه هنا .**

وأما الوصفُ: فإنه سبحانه طيِّب، وكلامه طيِّبٌ، وفعله كلّه طيب، ولا يصدر منه إلا طيّب، ولا يضاف إليه إلا الطيِّب، ولا يصعد إليه إلا الطيّب.فالطيبات له وصفا وفعلا وقولا ونسبةً، وكلّ طيّب مضاف إليه طيّب، فله الكلمات الطيبات والأفعال، وكلّ مضاف إليه كبيته وعبده، وروحه وناقته، وجنته دار الطيبين، فهي طيبات كلّها، وأيضا فمعاني الكلمات الطيبات لله وحده، فإنها تتضمن تسبيحه، وتحميده، وتكبيره، وتمجيده، والثناء عليه بالآئه وأوصافه ؛ فهذه الكلمات الطيبات التي يثنى عليه بها، ومعانيها له وحده لا شريك له: كسبحانك اللهمَّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

*** معنى وروحانيات: الزَّاكِيَاتُ لِلَّهِ :** معنى الزاكيات : مأخوذة زكي : وهي تأتي على معان : نامٍ ، طيبٍ . صالحٍ . زائدِ الخير والفضل . قال ابن حبيب : هي صالح الأعمال التي يزكو لصاحبها الثواب في الآخرة.

فمن روحانيات الزاكيات لله: ما قاله بعضهم :في وصف الأعمال بأنها زاكية دلالة على أن الأعمال منها : الزكي ، وغير الزكي الذي لا يقبله الله ، وفي ذلك من التمحيص للأعمال ما فيه .

*** معنى وروحانيات : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته:**

قال الشيخ د. عبدالله بن حمود الفريح : السلام عليك أيها النبي: ما المراد بالسلام هنا؟

قيل: المراد اسم الله عز وجل كما في حديث السابق (فإن الله هو السلام) وكما قال تعالى (**الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ**) [الحشر: 23] فيكون المعنى: أن الله تعالى والى الرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ والعناية، فكأننا نقول: الله عليك أيها النبي" أي: رقيب حافظ معتن بك ونحوه.

وقيل: السلام اسم مصدر بمعنى التسليم كما قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)** [الأحزاب: 56] أي أننا ندعو للنبي بالسلامة من كل آفة وهذا في حياته، وأما بعد موته فندعو له بالسلام من أهوال يوم القيامة وندعو لسنته وشرعه من أن تنالها أيدي العابثين.

قلت : وأحسم من هذا أن يقال هو دعاء للنبي صلى الله عليه وسلم أن يسلِّمه الله تعالى من كيد الأعداء وهذا قد حصل في حياته ، وأما بعد موته فالدعاء له بأن يسلم الله أمته وخاصة الأولياء والصالحين منهم من كل سوء وأذى ،وأن يدفع عن شريعته الشبهات ومحاولة تحريفها والقدح فيها . والله أعلم .

ورحمة الله: الرحمة هنا تشمل بما يحصل به المطلوب وبما يزول به المرهوب فتدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وبدأ بالسلام قبل الرحمة لأن التخلية قبل التحلية، فالتخلية: أن يسلم من النقائص، والتحلية: ذكر الأوصاف الكاملة.

وبركاته: جمع بركة وهي الخير الكثير الثابت، فندعو للنبي صلى الله عليه وسلم بالبركة في حياته بكسوته وطعامه وأهله وعمله ونحوه وبعد مماته بكثرة إتباعه وأمته.

وقال ابن القيم : إعلان التحية للنبي صلى الله عليه وسلم والثناء عليه مع الدعاء له بالرحمة والبركة زيادة على ما رحمه الله وبارك له عليه الصلاة والسلام .

وقال بعض أهل العلم : علمهم أن يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر – في التشهد - لشرفه ومزيد حقه عليهم ،ثم علّمهم أن يخصصوا أنفسهم أولا،لأن الاهتمام بها أهم ،ثم أمرهم بتعميم السلام على الصالحين إعلاما منه بأن الدعاء للمؤمنين ينبغي أن يكون شاملا لهم.

ومن روحانيات السلام على النبي صلى الله عليه وسلم : ما قاله شيخنا الشيخ إبراهيم محمد زين حفظه الله تعالى : اعلم أيدنا الله وإياك بنوره : أن الله طلب من أهل الايمان طلبين تجاه رسوله صلى الله عليه وسلم :

أحدهما : قوله تعالى(**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**) النساء (65) ،فطالبهم هنا بالتسليم له.

والآخر: قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**) سورة الأحزاب (56) فطالبهم هنا بالتسليم عليه.

وقد يظن بعض المؤمنين ألا علاقة بين هذين الأمرين، لكن الواقع خلاف ذلك لأن روح سلامك عليه عندما تقول السلام عليك أيها النبي إنما هو تسليمك له فيما أمر وفيما نهى، فإذا كان للإنسان أوراد من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وفي ضمنها السلام عليه . ثم يخالف أمره ويحيد عن شرعه، فهذا صلاته على رسول الله عليه وسلامه عليه أقرب الى الرد ، لهذا نقول " **كل مسلِّم له في أمره ونهيه مسلِّم عليه وليس كل مسلِّم عليه مسلِّم له ، فروح سلامك عليه هو تسليمك له وإلا كان سلامك ميتاً "** .

ولتتضح شناعة ما يقع فيه المخالفون له مع كثرة صلاتهم وسلامهم عليه صلى الله عليه وسلم نضرب هذا المثال : لو أن لأب عدداً من الأولاد فكان أحدهم يسلِّم عليه كل صباح وإذا أمره بشيء أمتثل، وله ولد آخر يسلم عليه كل صباح ولكن إذا أمره بشيء عصاه وخالف أمره، وله ولد ثالث لا يأتي للسلام عليه وله عذر في عدم المجيء إليه ولكنه إذا أرسل إليه بأمر فإنه يطيعه ولا يتخلَّف عن طاعته أبداً.

والشاهد من المثال الابن الأوسط الذي يكثر من السلام على والده ولكن يخالف امره فيا ترى ما هو شعور والده عندما يأتى هذا الولد العاق للسلام عليه. وأما الابن الثالث فوالده سوف يستقبله بالحب والترحاب لما يعلم من طاعته وعذره في عدم مجيئه اليه ، وهكذا المقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم المعذورون في الوصول إلى الحجرة الشريفة للسلام عليه.ولكن يجب أن نلتفت الانتباه إلى أمر هام حول هذه القضية ألا وهو أننا نقول في التشهد في كل صلاة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فهذا السلام عليه ينبغي أن يكون مذكراً لكل مسلم للتسليم له صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه وإلا كان هذا السلام في التشهد حجة علينا وليس لنا) [73].

ومن روحانيات السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : دعاء بأن يسلِّمنا الله مِن كل شر، وأن يحفظنا بالإسلام نحن وعباد الله الصالحين.

ومن روحانيات هذا التسليم ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى : ثم شرع له أن يسلِّم على سائر عباد الله الصالحين، وهم عباده الذين اصطفى بعد الثناء، وتقديم الحمد لله فطابق ذلك قوله: **(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ)**

73 / فتح القدوس بمجموعة الدرر والفوائد من الدروس – تأليف الشيخ العلامة إبراهيم محمد زين – الدار العالمية للنشر والتوزيع – الاسكندرية – ص (44-45) باختصار.

سورة النمل (59) وكأنه امتثال له، وأيضا فإن هذه تحية لمخلوق فشرعت بعد تحية الخالق وقدم في هذه التحية أولى الخلق بها وهو النبي صلى الله عليه وسلم، الذي نالت أمته على يده كل خير، وعلى نفسه، وبعده وعلى سائر عباد الله الصالحين، وأخصهم بهذه التحية الأنبياء والملائكة، ثم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وأتباع الأنبياء مع عمومها كل عبد صالح في السماء والأرض.

أشهدألا إله إلا الله ... الخ : أي : أعلم وأعتقد جازمًا لله بالوحدانية في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ولنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بالعبودية الحقة، فهو أعبد العابدين لله، كما أشهد له بأداء الرساله وتبليغها.وشرح الشهادتين قد يحتاج إلى مجلد كبير مع لكن لما كان معناها معروفاً في الجملة فيجب على المصلي أن يستحضر ذلك ، الله أعلم.

ومن روحانيات التشهد إجمالاً : ما أشار إليه الغزالي رحمه الله بقوله :

وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدباً وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله. وكذلك الملك لله وهو معنى "التحيات" وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه. ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين. ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاماً وافياً بعدد عباده الصالحين. ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجدداً عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ومستأنفاً للتحصن بها. ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة. وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين.

فوائد لا تخلو من روحانيات :

الفائدة الأولى : قال ابن القيم : فلما قضى صلاته وأكملها ولم يبق إلا الانصراف منها، فشرع الجلوس في آخرها بين يدي ربه مُثنيا عليه بما هو أهله، فأفضل ما يقول العبد في جلوسه هذه التحيات التي لا تصلح إلا لله، ولا تليق بغيره.

الفائدة الثانية : قال أحد العلماء : في التشهد من أوله إلى هنا راعى فيه النبي صلى الله عليه وسلم جانب التدرج بالدعاء :

أ . فابتدأ بالثناء على الله .

ب . ثم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

ج . ثم الدعاء للنفس .

د . ثم الدعاء لإخوانه المسلمين .

فانتظم الدعاء أحسن نظام ، وهذا ما ينبغي للإنسان مراعاته في دعائه فيضع لكل أمر موضعه المناسب .

الفائدة الثالثة : قال أحد العلماء : وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة - السلام عليك أيها النبي - في هذا الحديث ، وقيل في ذلك حِكم ، منها :

أ/ لأجل أن يُجمع بين النبوة والرسالة، لأن الرسالة ذُكرت في آخر الحديث - وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - فذُكرت النبوة في أوله .

ب/ وقيل: لأن النبوة كانت قبل الرسالة،فقد نبئ النبي صلى الله عليه وسلم ثم أرسل.

ج/ ويحتمل أن يكون تطبيقا لما في القرآن في قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** سورة الأحزاب (56) فذُكر التسليم مع الوصف بالنبوة.

الفائدة الرابعة : قال أحد العلماء : تعدد صيغ التشهد تدل على أن المصلي عليه أن يعمل بما عَلِم ، من غير تخطئة لغيره إن كان معه دليل ، فابن مسعود وابن عباس وأبو موسى رضي الله عنهم أجمعين كلٌ له تشهده الذي علّمه النبي صلى الله عليه وسلم ، **وكلٌ عمل وعلّم ما تعلمه من غير تخطئه لغيره ، والاختلاف بين الألفاظ يسير** . والله أعلم .

المبحث الثاني

شرح وروحانيات التشهد الأخير (الصلاة الإبراهيمية)

إذا جلس المصلي الجلوس الأخير فالمطلوب منه ثلاثة أقوال ، هي : التشهد الأول - وقد سبق الكلام عليه - ثم يزيد عليه ما عُرف بالصلاة الإبراهيمية ، والدعاء قبل السلام ، والسلام وبه يخرج من صلاته . وسوف أتحدث في هذا المبحث الصلاة الإبراهيمية وقد وردت فيها عدة صيغ ، منها :

1/ (**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**). متفق عليه .

2/ (**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**) رواه مسلم (405) .

معنى الصلاة الإبراهيمية وروحانياتها :

اللهم صل على محمد : قال أبو العالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء . وقال ابن عباس : (يُصَلُّونَ) يُبَرِّكُون . ذكر ذلك البخاري تعليقاً . قال ابن حجر في قوله ابن عباس هذا : أي يَدْعُون له بالبركة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : "ولما كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي ثناء اللَّه تعالى، عليه وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره وزيادة حُبِّه وتقريبه كما تقدم كانت مشتملة على الحمد والمجد، فكأن المصلي طلب من اللَّه تعالى أن يزيد في

حمده ومجده، فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له وتمجيد ، هذا حقيقتها، فذكر في هذا المطلوب الاسمين المناسبين له وهذا كما تقدم أن الداعي يُشرع له أن يختم دعاءه باسم من الأسماء الحسنى مناسب لمطلوبه، أو يفتتح دعاءه به، وتقدم أن هذا من قوله تعالى: (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**) سورة الأعراف(180) .[74]

وعلى آل محمد : قال العلماء : أي وصل على آل محمد ، وآل محمد قيل إنهم أتباعه على دينه ، وقيل آل النبي صلى الله عليه وسلم قرابته المؤمنون ، والصحيح الأول وهو أن الآل هم كل من تبع النبي . صلى الله عليه وسلم . على ملته ودينه ، فيدخل فيهم زوجاته وذريته وقرابته المؤمنون به وصحابته . رضي الله عنهم .

قال الناظم: نشوان بن سعيد بن نشوان الحميري (ت 573) رحمه الله :

آل النبي هم أتباع ملته من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

اللهم بارك على محمد : قال الفيروز آبادي : البَرَكَة : النماء والزيادة والسعادة ، والتبريك الدعاء بها ، وبِريك مُبارك فيه ، وبارك الله لك وفيك وعليك وباركك . وبارِك على محمد وعلى آل محمد أَدِم له ما أعطيته من التشريف والكرامة .

وقال ابن الأثير في النهاية : وبارِك على محمد وعلى آل محمد ، أي أثْبِتْ له وأَدِم ما أعطيته من التشريف والكرامة ، وهو من بَرَك البعير إذا ناخ في موضع فلزمه ، وتطلق البركة أيضا على الزيادة ، والأصل الأول .

---

[74]/ جلاء الأفهام – لابن القيم – ص(245 – 246).

إنك حميد : قال ابن عطية : و حَمِيد : أي أفعاله تقتضي أن يُحمَد . وقال ابن جُزي الكلبي في التفسير : حميد أي محمود .

مجيد : قال ابن منظور في لسان العرب : المجد المروءة والسخاء ، والمجد الكرم والشرف . قال ابن سِيده : المجد نيل الشرف ، وقيل : لا يكون إلا بالآباء . وقيل : المجد كرم الآباء خاصة ، وقيل : المجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي . وقد مجد يمجد مجدا فهو ماجد ، و مَجُد بالضم مجادة فهو مجيد وتمجّد ، والمجد كرم فعاله ، وأمجده ومجدّه كلاهما عظَّمَه وأثنى عليه .

قال ابن القيم : في اختتام هذه الصلاة بهذين الاسمين من أسماء الرب سبحانه وتعالى وهما : الحميد والمجيد : فالحميد : فعيل من الحمد ، وهو بمعنى محمود وأكثر ما يأتي فعيلا في أسمائه تعالى بمعنى فاعل كسميع وبصير وعليم وقدير وعلي وحكيم وحليم ، وهو كثير وكذلك فعول كغفور وشكور وصبور ... وأما الحميد فلم يأتِ إلا بمعنى المحمود ، وهو أبلغ من المحمود . فالحميد هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يَقتضي أن يكون محموداً ، وإن لم يحمده غيره ، فهو حميد في نفسه ، **والمحمود من تَعَلَّق به حَمْد الحامدين ، وهكذا المجيد والممجَّد، والكبير والمكبَّر، والعظيم والمعظَّم . والحمد والمجد إليهما يَرجع الكمال كله ، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود ، فمن أحْبَبْتَه ولم تُثْنِ عليه لم تكن حامداً له حتى تكون مُثْنِياً عليه مُحِباً له** ، وهذا الثناء والحب تَبَع للأسباب المقتضية له ، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال والإحسان إلى الغير . اهـ .

وبارك إبراهيم وآل إبراهيم : قال تعالى : **(سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)** ثم قال : **(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ)** قال البغوي : يعني على إبراهيم في أولاده .وقال القرطبي في قوله تعالى : **(وَبَارَكْنَا**

عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ) : أي ثَنّينَا عليهما النعمة . وقيل : كثَّرنا ولدهما ، أي باركنا على إبراهيم وعلى أولاده ، وعلى إسحاق حين أخرج أنبياء بني إسرائيل من صُلْبِه ، وقد قيل : إن الكناية في **(عَلَيْهِ)** تعود على إسماعيل ، وأنه هو الذبيح . قال المفضّل : الصحيح الذي يدل عليه القرآن أنه إسماعيل ، وذلك أنه قص قصة الذبيح ، فلما قال في آخر القصة : **(وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)** ثم قال : **(سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** قال : **(وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) الصافات (112)** وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ) أي على إسماعيل وعلى إسحاق ، كَنَّى عنه لأنه قد تقدَّم ذِكره ، ثم قال : **(وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا)** فَدَلّ على أنها ذرية إسماعيل وإسحاق . اهـ . **ومن هذه البركة أن الله ما بَعث نبياً بعد إبراهيم إلا من ذريته** . قال سبحانه وتعالى : **(وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)** العنكبوت (27) [75]

فائدتان :

1/ قال القرطبي : وقد استحسن أيمة السلف أن يجعل الدعاء بالصلاة مخصوصا بالنبي صلى الله عليه وسلم فعن مالك : لا يصلى على غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء . يريد أن تلك هي السنة ، وقال عمر بن عبد العزيز : أن الصلاة خاصة بالنبيين كلهم .

2/ قال بعض العلماء: معنى قولنا: اللهم صل على محمد أي عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته، وإعطائه المقام المحمود.

[75] / شرح أحاديث عمدة الأحكام – للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم- الحديث رقم(124)

المبحث الثالث

شرح وروحانيات الأدعية المسنونة بعد التشهد الأخير وقبل السلام

ما ورد من الأدعية في هذا المقام على نوعين : أدعية مقيدة وأخرى مطلقة :

الأول : أدعية مقيدة : وهي عبارة أدعية مخصوصة بعد التشهد ورد الحث عليها في السنة المطهرة منها ما يأتي :

1- أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول - بعد التشهد - (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم) رواه البخاري.

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ" رواه مسلم وأحمد والنسائي.

*** شرحه وروحانياته :**

- قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستعاذته من هذه الأمور التي قد عُوفي منها وعُصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه ، ولتقتدي به أمته ، وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه . ذَكَرَه النووي .

- **وكذا قال الحافظ العراقي في طرح التثريب** : اسْتِعَاذَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ مَعَ أَنَّهُ مُعَاذٌ مِنْهَا قَطْعًا فَائِدَتُهُ إظْهَارُ الْخُضُوعِ وَالاسْتِكَانَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالافْتِقَارِ ، وَلِيَقْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ فِي ذَلِكَ ، وَيُشَرِّعَ لأُمَّتِهِ . اهـ .

معنى فتنة المحيا : قال ابن دقيق العيد : مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الإِنْسَانُ مُدَّةَ حَيَّاتِهِ ، مِنْ الافْتِتَانِ بِالدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ وَالْجَهَالاتِ ، وَأَشَدُّهَا وَأَعْظَمُهَا - وَالْعِيَاذُ بِاَللَّهِ تَعَالَى : أَمْرُ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ .

- **معنى فتنة الممات** : قال ابن دقيق العيد : يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهَا الْفِتْنَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ . أُضِيفَتْ إلَى الْمَوْتِ لِقُرْبِهَا مِنْهُ . اهـ . وفُسِّرتْ فتنة الممات بأنها فتنة القبر . وكان ابن أبي مليكة يقول : " اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو نفتن عن ديننا " . رواه البخاري ومسلم .

وكان سلف هذه الأمة يخافون على أنفسهم من فتنة المحيا ومن فتنة الممات ، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : وما يؤمنني وإبليس حَيّ ؟!

قال جبير بن نفير رحمه الله تعالى : دخلت على أبي الدرداء مَنْزِله بحمص فإذا هو قائم يصلي في مسجده ، فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق ، فلما انصرف ، قلت : غفر الله لك يا أبا الدرداء ! ما أنت والنفاق ؟ قال : اللهم غفرا - ثلاثا - من يأمن البلاء ؟ من يأمن البلاء ؟ والله إن الرجل ليفتتن في ساعة فينقلب عن دينه .

وقد ورد أن الشيطان تمثّل لبعض الصالحين عند الموت :

قال صالح بن أحمد بن حنبل : لما حضرت أبي الوفاة فجلست عنده والخرقة بيدي أشدّ بها لحيته . قال : فجعل يغرق ثم يفيق ويفتح عينيه ويقول بيده هكذا : لا بعد . لا بعد . لا بعد . ففعل هذا مرة وثانية ، فلما كان في الثالثة قلت له : يا أبتِ إيش هذا الذي لهجت به في هذا الوقت ؟ فقال : يا بني أما تدري ؟ قلت : لا . فقال : إبليس لعنه الله قائم بحذائي عاضّ على أنامله يقول : يا أحمد فتني ! فأقول : لا ، حتى أموت .

وقال عطاء بن يسار : تبدّى إبليس لرجل عند الموت فقال : نجوت ! فقال : ما نجوت ، وما أمنتك بعد .

ففتنة المحيا : هي ما يكون في الحياة من الردّة – عياذاً بالله – أو ما يكون من الضلال بعد الهدى ، والمعصية بعد الطاعة . وفتنة الممات شاملة لفتنة الاحتضار ، وحضور الشيطان عند الميت ، ولفتنة القبر وسؤاله [76].

- ومعنى المأثم والمغرم : قال الحافظ ابن حجر : المأثم والمغرم بفتح الميم فيهما ، والمأثم: ما يقتضي الإثم، والمغرم: ما يقتضي الغرم. وقال أيضاً: المغرم أي الدين، يقال: غرم بكسر الراء أي أدان. قيل: والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز وفيما يجوز ثم يعجز عن أدائه. ويحتمل أن يراد به ماهو أعم من ذلك (ما يقتضي الغرم).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح : " قَالَ الْمُهَلَّب : يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ سَدّ الذَّرَائِعِ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِسْتَعَاذَ مِنْ الدَّيْنِ لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ

76/ شرح أحاديث عمدة الأحكام - الحديث الـ 125 في التعوّذ بعد التشهّد الأخير – للأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم – موقع صيد الفوائد .

ذَرِيعَةٌ إِلَى الْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ وَالْخُلْفِ فِي الْوَعْدِ مَعَ مَا لِصَاحِبِ الدَّيْنِ عَلَيْهِ مِنْ الْمَقَالِ " اهـ .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ الدَّيْنِ الِاسْتِعَاذَة مِنْ الِاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي هَذِهِ الْغَوَائِل أَوْ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى وَفَائِهِ حَتَّى لَا تَبْقَى تَبِعَته .[77]

من فوائد الحديث :

1/ **أهمية هذه الأربع والاستعاذة منها** : عذاب القبر ، وعذاب النار ، وفتنة المحيا ، وفتنة الممات ، وفتنة الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ .

2/ **إثبات عذاب القبر** ، وقد أنكره بعض المعتزلة من نحا نحوهم وسار بِسيرهم ، وعذاب القبر حق . قال ابن دقيق العيد : فِي الْحَدِيثِ إثْبَاتُ عَذَابِ الْقَبْرِ . وَهُوَ مُتَكَرِّرٌ مُسْتَفِيضٌ فِي الرِّوَايَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ .

3/ **إثبات فتنة المسيح الدجال** ، وأنه أعظم فتنة ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة ، لِما أعطاه الله ومكّنه مما فيه فتنة . وقد أنكره قوم ، وتأوّله آخرون !

فقد تأوّل بعض المعاصرين أن المقصود به : الحضارة الغربية ، أو اعوجاج الضمير اليهودي ! وهذا تأويل مرفوض ، إذ كيف يُتصوّر أن يستعيذ النبي صلى الله عليه وسلم من المسيح الدجال ، ويأمر أصحابه بالاستعاذة منه ، ويُخبر بمكانه ، وبما معه ، وجهة خُروجه ، وأنه يَخرج من جهة المشرق ، وأنه يَتبعه سبعون ألف من يهود أصبهان ، كما في صحيح مسلم ، وأصبهان اليوم في إيران ! ثم يُتأوّل بعد ذلك هذا التأويل الفاسد ؟!

[77] / فتح الباري – لابن حجر – (371/2 180/11)

وقد أخبر تميم الداري رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بما رأى من الدجّال ، فصدّقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وذَكَر عليه الصلاة والسلام أنه وافق الذي حدّثهم عن الدجال ، والحديث بِطوله في صحيح مسلم .[78]

.2- **أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل) . قال الألباني : رواه النسائي بسند صحيح .**

قوله: (**اللَّهم إني أعوذ بك من شرّ ما عملت**): أي من السيئات، أو من شر ما اكتسبته، مما قد يقتضي عقوبة في الدنيا، أو يقتضي في الآخرة)[79]، أو عمل يحتاج فيه إلى العفو من حسنات يعني: من شر تَركي العمل بها، فتضمّنت هذه الاستعاذة: الاستعاذة من كلّ الشرور، والذنوب الماضية " [80]

استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم، ليلتزم خوف اللَّه، وإعظامه، وإجلاله، والافتقار إليه في كل أحواله، وليبيّن صفة الدعاء، ليُقتدَى به ، فهو صلى الله عليه وسلم أعماله: سابقها، ولاحقها، كلّها خير لا شرّ فيها) فيض القدير، 2/ 17 بتصرف يسير.

قوله: (**ومن شرّ ما لم أعمل**): **من الحسنات، أي من شرِّ تركي العمل بها، أو المُراد من شرِّ ما لم أعمله بعدُ من السيئات والآثام، بأن تحفظني منه في المستقبل، ومن**

---

[78]/ شرح أحاديث عمدة الأحكام - للأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم -الحديث – رقم (125) - موقع صيد الفوائد .

15/ شرح النووي على مسلم، 9/ 50.

[80] / شرح الأدب المفرد – للعوايشة (2/ 367)

كل عمل لا يرضيك، ويجلب غضبك، وتضمنت هذه الاستعاذة: الاستعاذة من كل الشرور، والذنوب الحالية والمستقبلية .

ففي هذه الاستعاذة بيان ودلالة : على أن ما يصيب العبد من الشرّ إنما هو بسبب ما عملته يداه، أو بسبب ما عملته أيدي الناس، وإن لم يكن هو العامل المباشر، كما قال تعالى: (**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**) سورة الشورى، الآية:(30) وقوله تعالى: (**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ**) سورة الأنفال، الآية: 25.

وفي هذا دلالة على ضعف الإنسان، وشدة افتقاره إلى مولاه وخالقه عز وجل ، في إصلاح شؤونه، واستقامة أموره، والوقاية من شرور نفسه، وسيئات أعماله، وأنه لا غنى له عن ربه عز وجل وسيده طرفة عين، وأنه ينبغي له دائماً السير على هذا المنوال، حتى يظفر برضا ربه عز وجل ولا يخفى عليك يا عبد اللَّه في أهمية هذه الدعوة الطيبة لما أخبرت به أمُّنا أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن هذه الدعوة كانت أكثر ما كان يدعو بها صلى الله عليه وسلم وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر.

3- ما رواه الشيخان وغيرهما أن أبا بكر رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال : (قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم).

شرحه وروحانياته : هذا الحديث عظيم القدر، من تدبَّره وتمعَّن فيه ظهر له من جلالته؛ لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير، والإقرار بنهاية الكمال لله تعالى، وطلب العفو، والتجاوز الموصل إلى حصول النعيم الأبدي.

- **اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً:** هذا اعتراف من العبد إلى ربه بالتقصير بملابسته ما يستوجب العقوبة أو النقص، وإن الإنسان لا يعرى عن التقصير ولو كان صدّيقاً.

- **ظلماً كثيراً** : أكده بالمصدر، ووصفه زيادة في التذلّل والخضوع للمولى سبحانه وتعالى وهذا تعليم للداعي أنه ينبغي حالة دعائه أن يظهر غاية التذلّل والخضوع لربه؛ فإن ذلك أقرب للإجابة، وأكثر ثواباً وجزاء.

- وفيه دليل على أن الواجب على العبد أن يكون على حذر من ربه تعالى في كل أحواله، وإن كان من أهل الاجتهاد في العبادة في أقصى غاية، إذ كان الصدِّيق مع موضعه في الدِّين لم يسلم مما يحتاج إلى الاستغفار إلى ربه تعالى منه، فمن باب أولى من كان دونه.**ولا يغفر الذنوب إلا أنت : أي لا أحد يقدر على ستر الذنوب، والتجاوز عنها إلا أنت وحدك، ففيه الإقرار بالوحدانية للَّه تعالى، واستجلاب المغفرة منه.- فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني** :دلّ تنكير (**مغفرة**) على أن المطلوب غفران عظيم، لا يُدرك كنهه، ووصفه بكونه من عنده سبحانه وتعالى بيان لذلك العظم؛ لأن الذي يكون من عند اللَّه تعالى لا يحيط به وصف، وفيه إشارة إلى طلب مغفرة متفضّل بها لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن ولا غيره.

والمعنى: هبْ لي مغفرة تفضلاً، وإن لم أكن لها أهلاً بعملي؛ لهذا أضافها إليه (**من عندك**) فإنها تكون أعظم وأبلغ، فإن عظم العطاء من عظم المُعطي.

وقدّم (**ظلمت نفسي**): وهو الاعتراف بالتقصير والذنب على سؤال المغفرة، فاغفر لي أدباً جميلاً، كما قال ذلك أبوانا: آدم وحواء: **(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** سورة الأعراف – (23) ولا يخفى حسن ترتيب هذا الحديث، حيث قدّم الاعتراف بالذنب، ثم الوحدانية، **ثم سؤال المغفرة**؛ فإن الاعتراف بذلك أقرب إلى العفو والثناء على السيد بما هو أهله، وأرجى لقبول سؤاله.

- **إنك أنت الغفور الرحيم :** إنك أنت مشعر بالتعليل، أي اغفر لي، وارحمني لأن من دعاك يا ربنا، ولجأ إليك، وسألك المغفرة والرحمة، تغفر له وترحمه؛ لأنك كثير المغفرة، وكثير الرحمة بنا يا ربنا، ونستطيع القول : قد تضمّن هذا الدعاء الجليل توسلين عظيمين:

1 – **توسل بظلم النفس بتقصيرها وضعفها**، وهو من التوسّلات الجليلة التي يحبها اللَّه عز وجل كما سبق.

2 – **توسّل بأسماء اللَّه تعالى الحسنى**، ولا يخفى بحسن الختام مقابلةً في السؤال والطلب فـ(**اغفر لي**) مناسب (**للغفور**)، و(**الرحيم**) مناسب لـ(**وارحمني**)، وهو مناسب ما أمر اللَّه تعالى به في الدعاء بأسمائه الحسنى: (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**) **سورة الأعراف، الآية(180).**

قال الكرماني : هذا الدعاء من الجوامع؛ لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير، وطلب غاية الإنعام، فالمغفرة بستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات ولا شك، ولا ريب أن رحمة اللَّه صفة من صفاته العظيمة، تليق بجلاله، ومن مقتضاها وآثارها

إيصال الخيرات، ودفع النقمات، ففي الأول طلب الزحزحة عن النار، وفي الثاني طلب إدخال الجنة، وهذا هو الفوز العظيم[81].

تنبيه : لا زالت هناك أدعية وردت في هذا المقام تركت شرحها ولكن جمتعها مع بيقة أذكار الصلاة الفصل الأخير من هذا الكتاب .

الثاني : أدعية مطلقة 82: وهي ما قال عنها العلماء : يشرع للمسلم أن يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة في التشهد الأخير بعد الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (ثم ليَدْعُ لنفسه بما بدا له). رواه النسائي.

81/ ينظر في شرحه : الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية - لابن علان الصديقي وفتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر - وشرح الأدب المفرد - للشيخ عبد الرزاق البدر .

82/ قال ابن قدامة مبينا ما يدعو به المصلي في صلاته: الدعاء في الصلاة بما وردت به الأخبار جائز . قال الأثرم : قلت لأبي عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – : إن هؤلاء يقولون : لا يدعو في المكتوبة إلا بما في القرآن . فنفض يده كالمغضب , وقال : " من يقف على هذا ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما قالوا " قلت لأبي عبد الله : إذا جلس في الرابعة يدعو بعد التشهد بما شاء ؟ قال : " بما شاء لا أدري ، ولكن يدعو بما يعرف وبما جاء " . فقلت : على حديث عمرو بن سعد ، قال : سمعت عبد الله ، يقول : إذا جلس أحدكم في صلاته ، وذكر التشهد ، ثم ليقل : " اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم . اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادك الصالحون ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار , ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة , إنك لا تخلف الميعاد " . رواه الأثرم .

ثم بين ابن قدامة ما يمنع المصلي من الدعاء به : ولا يجوز أن يدعو في صلاته بما يقصد به ملاذ الدنيا وشهواتها ، بما يشبه كلام الآدميين وأمانيهم مثل : اللهم ارزقني جارية حسناء ودارا قوراء وطعاما طيبا ، وبستانا أنيقا . وقال الشافعي : يدعو بما أحب ، لقوله عليه السلام - في حديث ابن مسعود في التشهد - : (ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه) . متفق عليه . ولمسلم : (ثم ليتخير بعد من المسألة ما شاء أو ما أحب) .

ثم بين ابن قدامة حكم الدعاء بغير المأثور فقال: فأما الدعاء بما يتقرب به إلى الله عز وجل مما ليس بمأثور ، ولا يقصد به ملاذ الدنيا , فظاهر الخرقي وجماعة من أصحابنا أنه لا يجوز , ويحتمله كلام أحمد ; لقوله : ولكن يدعو بما جاء وبما يعرف . وحكى عنه ابن المنذر , أنه قال : لا بأس أن يدعو الرجل بجميع حوائجه ، من حوائج دنياه

قال ابن القيم رحمه الله تعالى فجاءت التحيات على ذلك، أولها حمدٌ لله، والثناء عليه ثم الصلاة على رسوله ثم الدعاء آخر الصلاة، وأَذِنَ النبي صلى الله عليه وسلم للمصلي بعد الصلاة عليه أن يتخير من المسألة ما يشاء.

وآخرته . وهذا هو الصحيح ، إن شاء الله تعالى ; لظواهر الأحاديث , فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثم ليتخير من الدعاء " وقوله : " ثم يدعو لنفسه بما بدا له " . وقوله : " ثم ليدع بعد بما شاء "

المبحث الرابع

روحانيات السلام بعد الانتهاء من الصلاة

بداية أريد أن أذكر العلماء في النية المطلوبة عند التسليم من الصلاة لأن صيغة السلام فيها خطاب للغير ، قال الإمام النووي رحمه الله [83]:

" **وينوى الامام بالتسليمة الاولي** الخروج من الصلاة والسلام على من عن يمينه وعلى الحفظة ، وينوى بالثانية السلام على من على يساره وعلى الحفظة .

وينوى المأموم بالتسليمة الاولى الخروج من الصلاة والسلام علي الامام وعلى الحفظة وعلى المأمومين من ناحيته في صفه وورائه وقدامه ، وينوى بالثانية السلام على الحفظة وعلى المأمومين من ناحيته فان كان الامام قدامه نواه في أي التسليمتين شاء.

وينوى المنفرد بالتسليمة الاولي الخروج من الصلاة والسلام على الحفظة وبالثانية السلام على الحفظة والاصل فيه ما روى سمرة رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم **أن نسلم على أنفسنا وان يسلم بعضنا** علي بعض وروى على رضي الله عنه وكرم الله وجهه أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يصلى قبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين ويصلي قبل العصر أربعا يفصل كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين ومن معه من المؤمنين " اهـ .

إذن فالتسليم من الصلاة فيه إشارة عجيبة وهي : أن المصلي لم يكن مع أهل الدنيا بل كان يتجول في ملكوت الله تعالى في أثناء صلاته فلما رجع إليهم احتاج أن يسلم عليهم . والله أعلم .

83/ المجموع - (3 / 474)

فمن روحانيات السلام ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى[84] : وأما الباب الذي يخرج منه فهو باب السلام المتضمن أحد الاسماء الحسنى، فيكون مفتتحا لصلاته باسمه تبارك وتعالى ومختتما لها باسمه فيكون ذاكراً لاسم ربه أول الصلاة وآخرها.

فأولها باسمه، وآخرها باسمه، فدخل فيها باسمه وخرج منها باسمه، مع ما في اسم السلام من الخاصية، والحكمة المناسبة لانصراف المصلي من بين يدي الله، فإن المصلي ما دام في صلاته بين يدي ربه فهو في حماه الذي لا يستطيع أحد أن يخفره. **بل هو في حمى من جميع الآفات والشرور، فإذا انصرف من بين يديه تبارك وتعالى ابتدرته الآفات والبلايا والمحن، وتعرضت له من كل جانب، وجاءه الشيطان بمصائده وجنده، فهو متعرض لأنواع البلايا والمحن**، فإذا انصرف من بين يدي الله مصحوباً بالسلام لم يزل عليه حافظ من الله إلى وقت الصلاة الأخرى، وكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بيد يدي ربه السلام يستصحبه ويدوم له ويبقى معه، فتدبر هذا السر الذي لو لم يكن في هذا التعليق غيره، لكان كافياً، فكيف وفيه من الأسرار والفوائد ما لا يوجد عند أبناء الزمان، والحمد في ذلك لله وحده. انتهى.

ومن روحانيات السلام ما أشار إليه الغزالي :

واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به. واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة. وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها. وقال صلى الله عليه وسلم للذي أوصاه **(صل صلاة مودع كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه ، فإنه يراك)**[85]. **ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من**

84/ بدائع الفوائد - لابن القيم - السؤال الثامن والعشرون .

85/ أخرجه الضياء المقدسي وقال الألباني في " السلسلة الصحيحة (4 / 544) قوي بشواهده .

التقصير في الصلاة، وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله. كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة. وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض.

فائدة : جمع بعضهم الشروط المطلوبة لصحة السلام من الصلاة في هذه الأبيات :

شروط تسليم تحليل الصلاة إذا أردتَها تسعةٌ صحت بغير مِرا

عرِّف وخاطِب وصِل واجمع ووالِ وكنْ مستقبلاً ثم لا تقصد به الخبرا

واجلس وأَسمِع به نفساً فإن كَمُلَت تلك الشروطُ وتمت كان معتبرا

الفصل الحادي عشر

روحاينات قيام الليل وصلاة الترويح والتهجد

المبحث الأول : فضل قيام الليل وما فيه من الروحانيات.

المطلب الأول : بيان الفرق بين قيام الليل والتهجد وصلاة التراويح .

المطلب الثاني : حكم قيام الليل وفضله .

المطلب الثالث : فضائل قيام الليل .

المحور الأول : فضائل قيام الليل في القرآن الكريم .

المحور الثاني : فضائل قيام الليل في السنة المطهرة .

المحور الثالث : فضائل قيام الليل عند أولياء الله وأهله وخاصته من عباده

المبحث الثاني : شرح وروحانيات الأذكار والأدعية الخاصة بقيام الليل .

المبحث الثالث : كيفية تقسيم الوقت في الليل .

المبحث الرابع : روحانيات صلاة التراويح .

المطلب الأول : حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها .

المطلب الثاني: أين تُصلى التهجد في رمضان فى الجوامع أو فى البيوت ؟

المبحث الأول

فضل قيام الليل وما فيه من الروحانيات

المطلب الأول : بيان الفرق بين قيام الليل والتهجد وصلاة التراويح .

المطلب الثاني : حكم قيام الليل ووقته.

المطلب الثالث : فضائل قيام الليل .

المحور الأول : فضائل قيام الليل في القرآن الكريم .

المحور الثاني : فضائل قيام الليل في السنة المطهرة .

المحور الثالث : فضائل قيام الليل عند أولياء الله وأهله وخاصته من عباده

المطلب الأول

بيان الفرق بين قيام الليل والتهجد وصلاة التراويح

قيام الليل : " هو قضاء الليل ، أو جزءا منه ولو ساعة ، في الصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله ، ونحو ذلك من العبادات ، ولا يشترط أن يكون مستغرقا لأكثر الليل .

وجاء في مراقي الفلاح : **معنى القيام أن يكون مشتغلا معظم الليل بطاعة , وقيل : ساعة منه , يقرأ القرآن أو يسمع الحديث أو يسبح أو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم** " انتهى .[86]

وأما التهجد : **فهو صلاة الليل خاصة ، وقيده بعضهم بكونه صلاة الليل بعد نوم .قال الحجاج بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه : " يحسب أحدكم إذا قام من الليل يصلي حتى يصبح أنه قد تهجد ، إنما التهجد أن يصلي الصلاة بعد رقدة ، ثم الصلاة بعد رقدة ، وتلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم " قال الحافظ ابن حجر في** "إسناده حسن "[87].

فتبين بهذا أن قيام الليل أعم وأشمل من التهجد ، لأنه يشمل الصلاة وغيرها من أنواع الذكر، ويشمل الصلاة قبل النوم وبعده .

86/ الموسوعة الفقهية الكويتية - (34/ 117) باختصار .

87/ التلخيص الحبير" (2/ 35)

وأما التهجد فهو خاص بالصلاة ، وفيه قولان[88] :

الأول : أنه صلاة الليل مطلقا ، وعليه أكثر الفقهاء .

والثاني : أنه الصلاة بعد رقدة .**قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)** الإسراء/97 ،

والتهجد : من الهجود ، وهو من الأضداد ؛ يقال : هجد : نام ؛ وهجد : سهر ؛ على الضد . قال الشاعر:

أَلا زارَت وَأَهلُ مِنىً هُجودُ وَلَيتَ خَيالَها بِمِنىً يَعودُ

وقال آخر :

ألا طرقَتنا والرفاقُ هجودُ فباتَت بعِلّاتِ النوالِ تجودُ

هجود يعني : نياما . وهجد وتهجّد بمعنى ، وهجدته أي : أنمته ، وهجدته أي : أيقظته .

أما التراويح : فهي تطلق عند العلماء على قيام الليل في رمضان أول الليل ، مع مراعاة التخفيف وعدم الإطالة ، ويجوز أن تسمى تهجدا ، وأن تسمى قياما لليل ، ولا مشاحة في ذلك ، والله الموفق " [89]انتهى

88/ الموسوعة الفقهية (2/ 232).

89/ "فتاوى الشيخ ابن باز" (11/ 317)- موقع الإسلام سؤال وجواب

المطلب الثاني

حكم قيام الليل ووقته

حكم قيام الليل : سُنة مؤكدة ، تواترت النصوص من الكتاب والسنة بالحث عليه , والتوجيه إليه ، والترغيب فيه ، ببيان عظيم شأنه ، وجزالة الثواب عليه .

وقته : قال أهل العلم : قيام الليل يبدأ وقته من بعد صلاة العشاء - ولو مجموعة مع المغرب لسفر أو مطر أو غير ذلك- ويستمر وقته إلى طلوع الفجر الثاني، **وذهب بعض أهل العلم كالحنابلة إلى أن وقته يبدأ من بعد صلاة المغرب وينتهي بطلوع الفجر الثاني، قال البهوتي في كشاف القناع: ويستحب التنفل بين العشاءين وهو أي التنفل بين العشاءين من قيام الليل لأنه أي الليل من المغرب إلى طلوع الفجر الثاني** لقول أنس رضي الله عنه في قوله تعالى:(**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)** [السجدة:16].

قال: كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء يصلون. رواه أبو داود. انتهى. ويصح النفل بركعة واحدة في الليل أو في النهار، والأفضل أن يكون مثنى مثنى، وهذا هو معتمد مذهب الشافعية والحنابلة. والله أعلم.[90]

90/ الشبكة الإسلامية – ركن الفتوى .

المطلب الثالث

فضائل قيام الليل

لقد دل القرآن والسنة والآثار الواردة عن الصالحين وقيامهم على كثرة فضائله ،ولكثرتها سأذكرها من خلال ثلاثة محاور كما يأتي :

المحور الأول

فضائل قيام الليل في القرآن الكريم

1/ قيام الليل له شأن عظيم في تثبيت الإيمان ، والإعانة على جليل الأعمال، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا) المزمل (1-6).

وقال تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) الإنسان(26)

قال أهل التفسير : فهاتان الآيتان ترشدان الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما يعينه على الازدياد من فضيلة الصبر الجميل، والثبات على الحق.

ومن الآيات الكثيرة التي تشبه هاتين الآيتين في معناهما: قوله- تعالى**(وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ، ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ. وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).**هود (114)

وقوله تعالى : **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ)** الحجر (97-99).

2/ مدح الله تعالى أهل الإيمان: بجميل الخصال وجليل الأعمال ، ومن أخص ذلك قيام الليل ، قال تعالى :(**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) السجدة(15-17).

وفي ذلك من التنبيه على فضل قيام الليل ، وكريم عائدته ما لا يخفى ، وأنه من أسباب صرف عذاب جهنم ، والفوز بالجنة , وما فيها من النعيم المقيم , وجوار الرب الكريم , جعلنا الله ممن فاز بذلك .

3/ وصف الله تعالى المتقين في سورة الذاريات بجملة صفات - منها قيام الليل - فازوا بها بفسيح الجنات ،فقال سبحانه : **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) الذاريات/15-17.**

قال الحسن البصر يرحمه الله : كابدوا الليل، ومدّوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا في الدعاء والاستكانة والاستغفار.

أي قل نومهم فصار أغلب الليل قيام وفي آخره استغفار بالأسحار دفعهم حبهم لله أن يصفوا أقدامهم لله قائمين راكعين ساجدين يناجونه قائلين :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

4/ ووصف الله عباد الرحمن الذين هم في أعلى مراتب المؤمنين : فقال (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) إنهم في ليلهم بين سجود وقيام ، وصفوا بالسجود حيث

يضعون جباههم على الأرض لله تبارك وتعالى فهم بين سجود يتضرعون فيه لله ويسألونه الرحمة ، وقيام يتدبرون فيه كلام الله وقد وصف الله أمثال هؤلاء فقال : (**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**) الزمر(9) أي: هل يستوي من هذه صفته مع من نام ليله وضيّع نفسه، غير عالم بوعد ربه ولا بوعيده؟! وأشار -سبحانه وتعالى- في قوله: (**لِرَبِّهِمْ**) إلى إخلاصهم فيه ابتغاء وجهه الكريم.

ومن خلال ما تقدم نعلم أهل الإيمان بمراتبهم الثلاث : المؤمنون ثم الأتقياء ثم عباد الرحمن كلهم حريصون على قيام الليل .

المحور الثاني

فضائل قيام الليل في السنة المطهرة

لقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل ورغّب فيه في أحاديث كثيرة ، منها :

الفائدة الأولى:الوصول إلى محبة الله تعالى : عن أبى الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله : الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون ، فيتنحى أحدهم فيصلى حتى يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكون له جار يؤذيه جاره فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ، والذين يشنؤهم : التاجر الحلاف ، والفقير المختال والبخيل المنان**)91 وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ، وعزاه إلى الطبرانى في الكبير وقال "بإسناد حسن " ولفظه كما يلي (**ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ، ويستبشر بهم : الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل ، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه ، فيقول :أنظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ، والذي له أمرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل ، فيقول الله : يذر شهوته ويذكرني ، ولو شاء رقد ،والذي إذا كان في سفر ، وكان معه ركب فسهروا ، ثم هجعوا رقدوا فقام من السحر في سراء وضراء**).

---

91 /الحديث رواه الترمذي وابن حبان والحاكم والنسائي بلفظ آخر.

قلت : ما من شك أن الوصول إلى محبة الله تعالى مِن أجلِّ ما يصبو إليه المؤمن فإذا وجد عملا يحبه الله تعالى فعله ولو مرة واحدة كما قال بعض السلف (إذا سمعت بعمل صالح فافعله ولو مرة تكن من أهله).

- **الفائدة الثانية : قيام الليل من الأعمال التي يباهى الله بها ملائكته :** يدل على ذلك ما تقدم في الحديث السابق ويدل عليه أيضا الحديث الذي ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم (**عجب ربنا من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته ، فيقول الله جل وعلا : انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله ، وانهزم أصحابه وعلم ما عليهم من الانصراف في الانهزام ، وما له في الرجوع ، فرجع حتى يهريق دمه ، فيقول الله عز وجل لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رجاءا فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه)**92 .

- **الفائدة الثالثة : الفوز بدخول الجنة بقيام الليل :** عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستثبته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : **(يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام)**93.

---

92 قال المنذرى : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه .

93 رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

- **الفائدة الرابعة : الفوز بغرف خاصة في الجنة بقيام الليل** : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرُها من باطنها وباطنُها من ظاهرها**) فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال: (**لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام**)94.

- **الفائدة الخامسة :استجابة الدعاء في قيام الليل** : عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة**)95 .

وقد تقدم بمعنى هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (**إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا**) ذكرته عند تفسير قوله تعالى (**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ**)الآية .

قلت : إن كثيرا من الناس يمسى ويصبح في هموم لا أول لها ولا آخر ولكنه لا يفكر في هذا الإرشاد النبوي لإزالة هذه الهموم ألا وهو الدعاء في آخر الليل ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الغفلة الشديدة عن الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يوقظنا والمسلمين من رقدتنا ..آمين .

- **الفائدة السادسة : الدخول في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة لمن قام من الليل** : عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (

94/ ذكره المنذرى في الترغيب والترهيب وقال : رواه الطبرانى في الكبير بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي .

95/ رواه مسلم .

رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء)96 .

- الفائدة السابعة : الدخول في زمرة الذاكرين الله كثيرا والذاكرات : عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وزاد النسائي "جميعا " بعد "فصليا" 97 .

- الفائدة الثامنة : دخول العبد بقيام الليل في زمرة الصالحين : عن أبى أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم)98.

- قلت : انتبه إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم "عليكم " ففيها الحث الشديد على قيام الليل فكأنه قال " أحرص على قيام الليل ، وزادك تحريكا لهذا القيام بقوله : (فإنه دأب الصالحين) وهذا يعنى أن مشقة قيام الليل ستخف عليك عندما تعلم

96/ رواه أبو داوود ، وهذا لفظه، والنسائي وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي في التلخيص.

97/ والحديث أخرجه النسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص.

98/ رواه الترمذي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي في التخليص .

أنك تسير في درب من سبقك من الصالحين ، لأن قوله "دأب" يعنى عادة تعودوها ، وما ذلك إلا لما فيها من الخير الكثير وانظر إلى كل من يحرص على قيام الليل كيف يحفظه الله من الشرور ويسهل له الأمور ، وفقني الله وإياك لذلك ... آمين .

- الفائدة التاسعة : قيام الليل يطهر العبد من السيئات وينهاه عن الوقوع في الإثم : الحديث السابق فيه "مكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم " وجاءت رواية أخرى عن بلال وأبى أمامة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ومطردة للداء من الجسد**)99.

- قلت : في هذا الحديث عدد من الفوائد أرجو أن أكون مصيبا فيها وهى :-

1) قيام الليل منهاة عن الإثم : إنما كان قيام الليل منهاة عن الإثم لثلاثة أسباب هي : .

الأول : أن العبد إذا كان يقوم الليل فإن قيام الليل يربى فيه خشية الله ومراقبته ،وذلك لأن صلاة الليل أقرب إلى الإخلاص ،إذا حصلت المراقبة استحى من الله أن يعصيه في النهار وما أعظمها من فائدة .

99/ أخرجه الترمذي والحاكم عن بلال وقال :صحيح على شرط البخاري وأقره الذهبي ، وراه البيهقي في السنن عن أبى أمامة – رهبان الليل 198/1و 199.

الثاني : إن العبد إذا قام الليل وتقبل الله قيامه ذلك ، وفقه لفعل طاعة أخرى لأن من علامة قبول الطاعة الطاعة بعدها ، وهذا بدوره سيؤدى إلى محو السيئات والابتعاد عنها (**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**)100 .

الثالث : قيام الليل قربة إلى الله تعالى : إن العبد يستشعر أن الصلاة في الليل قربة خالصة لله تعالى لأنها بعيدة عن الرياء وعن أعين الناظرين ثم أنه قد ورد حديث آخر يوضح هذا المعنى أكثر وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**)101.

2) قيام الليل ينفى عن العبد المضار الدينية والدنيوية : وهذه الفائدة مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم : (**وتكفير للسيئات ،ومطردة للداء من الجسد**) إذ لو بقيت على العبد سيئاته لأضرت بدينه ، لأنه قد يتردى يوما بعد يوم والسيئة تجر إلى أختها ، وأما إذا كفَّرها الله تعالى بسبب قيام الليل مشى العبد خفيفا في طاعة الله تعالى ، وللسيئات أضرار كثيرة دينية ودنيوية ذكرها ابن القيم رحمه الله في "الداء والدواء " فمن ذلك حرمان الرزق وحرمان العلم ، وإدخال الخوف على قلبه ، والوحشة بينه وبين ربه وغير ذلك مما لا مجال لذكره في هذا المبحث المختصر .

وفى الشق الثاني من الحديث : إشارة إلى أن قيام الليل ينفى عن العبد مضار جسدية واكتفى هنا بنقل ما ذكره صاحب رهبان الليل (199/1 –201) حول قوله صلى الله عليه وسلم **"ومطردة للداء من الجسد** " حيث قال:

100/ سورة هود الآية (115).

101/ أخرجه الترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي .

" .... وفى مؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن الكريم ، الذي عقد بالقاهرة - وشاركت فيه عدة منظمات – قدمت الدكتورة سلوى محمد رشدي – جامعة حلوان – كلية التربية الرياضية – بحثا كان موضوعه "صلاة التراويح للمسلم ، وأثر ذلك على الكفاءة الوظيفية للقلب ودرجة المرونة في العمود الفقري .... وقد أُجْرِيَت هذه الدراسة على عينة مكونة من ستين رجلا وامرأة مقسمين إلى ثلاثين ممن قاموا بتأدية صلاة التراويح في شهر رمضان 1405 وثلاثين من المصلين الذين لم يقوموا بتأديتها ؛ وقد طبقت عليهم اختبارات لمعرفة درجة مرونة العمود الفقري من الأوضاع المختلفة ... وقد أظهرت الدراسة أن هناك فروقاً كبيرةً بين المصلين لصلاة التراويح وغير المصلين في درجة مرونة العمود الفقري وكذلك في الكفاءة الوظيفية للقلب . وقالت الدكتورة سلوى : لقد أوصيت في هذه الدراسة بتشجيع المسلم على تأدية الصلاة عموما ، وعلى صلاة التراويح على وجه الخصوص لما لها من فائدة على الجهاز الدوري والتنفسي ، ومرونة مفاصل الجسم وخاصة العمود الفقري ، حيث إن كبار السن في حاجة إلى القيام بتأدية التمرينات التي تحافظ على اللياقة البدنية ، واللياقة الوظيفية للقلب .

قلت: إن المؤمن إذا أدى العبادة - أيا كانت – إنما يؤديها لأجل الله وخالصا بها قلبه ، ثم إن حصلت هذه الفوائد البدنية المشار إليها فإنما هي من فضل الله تعالى عليه وإلا فهي ليست أصلا وليست هدفا ، أقول ذلك حتى لا تصبح العبادة تبعا لهذه الفوائد الدنيوية والله أعلم .

الفائدة العاشرة : المؤمن يعلو قدره ويرتفع شأنه بقيام الليل : عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : (**جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، وأحبب من شئت**

فإنك مفارقه ، وأعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس

)102 قال المناوى (الشرف لغة العلو : وشرف كل شيء أعلاه ، لما وقف المؤمن – في ليله وقت صفاء ذكره متذللا متخشعاً بين يدي مولاه لائذا بعز جنابه وحماه وشَّرفه بخدمته ورفع عند ملائكته وخواص عباده بعز طاعته على سواه)103.

الفائدة الحادية عشرة: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة والأنبياء عموما عليهم الصلاة والسلام .

102 أورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن

103 رهبان الليل 203/1 .

المحور الثالث

قيام الليل عند أولياء الله وأهله وخاصته من عباده

أما قيام الليل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد الشيء العظيم فمن ذلك ما رواه الشيخان: عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: (قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : (**أفلا أكون عبدا شكورا**) وفى الصحيحين عن عائشة بنحوه وقال فيه **(أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا) .**

وأما الأنبياء فقد ورد قيامهم في الآثار وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (**أحب الصلاة إلى الله صلاة داوود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داوود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوما ويفطر يوما**)104. وجاء عن جابر مرفوعا (**قالت أم سليمان بن داوود لسليمان يا بني لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة**)105.

نماذج من قيام السلف رضي الله عنهم :

- قام أحد الصحابة وهو قتادة بن النعمان رضي الله عنه الليل لايقرأ إلا (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) يرددها لا يزيد عليها . رواه البخاري وأحمد .

---

104 رواه مسلم .

105 رواه ابن ماجه وقال الهيثمى : وفى إسناده احتمال التحسين .

- **وقال سعيد بن عبيد الطائي:** سمعت سعيد بن جبير يؤمهم في شهر رمضان وهو يردّد هذه الآية **(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ)** [غافر:70-72].

- وقال القاسم: "رأيت سعيد بن جبير قام ليلة يصلي فقرأ: **(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)** [البقرة:281]، فرددها بضعا وعشرين مرة".

- وقال رجل من قيس يُكنى أبا عبد الله: "بتنا ذات ليلة عند الحسن فقام من الليل فصلى فلم يزل يردد هذه الآية حتى السّحر: **(وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)** [النحل:18]، فلما أصبح قلنا : **"يا أبا سعيد لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليل"**، قال: **"أرى فيها معتبرًا، ما أرفع طرفًا ولا أردّه إلا وقد وقع على نعمة وما لا يُعلم من نعم الله أكثر"** 106

- وكان هارون بن رباب الأسيدي يقوم من الليل للتهجد فربما ردد هذه الآية حتى يُصبح: **(فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** [الأنعام:27] ويبكي حتى يُصبح. ومما يعين على التدبر أيضًا حفظ القرآن والأذكار المتنوعة في الأركان المختلفة ليتلوها ويذكرها ليتفكّر فيها. ولا شك أن هذا العمل من التدبر والتفكر والترديد والتفاعل من أعظم ما يزيد الخشوع كما قال الله تعالى: **(وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)** [الإسراء:109].

106/ التذكار- للقرطبي ص: 125.

• وصلى سيد التابعين سعيد بن المسيب – رحمه الله – الفجر خمسين سنة بوضوء العشاء وكان يسرد الصوم.

• أخذ الفضيل بن عياض رحمه الله بيد الحسين بن زياد رحم الله ، فقال له : يا حسين : ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا **فيقول الرب : كذب من أدعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني ؟ أليس كل حبيب يخلو بحبيبه ؟ ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل ، غداً أقر عيون أحبائي في جناتي .**

• كان ثابت البناني يقول كابدت نفسي على القيام عشرين سنة !! وتلذذت به عشرين سنة .

• كان العبد الصالح عبد العزيز بن أبي روّاد رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل ، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسه ثم يقول : ما ألينك !! ولكن فراش الجنة ألين منك!! ثم يقوم إلى صلاته .

• قال معمر : صلى إلى جنبي سليمان التميمي رحمه الله بعد العشاء الآخرة فسمعته يقرأ في صلاته : {**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} حتى أتى على هذه الآية {**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** } فجعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا ، ثم خرجت إلى بيتي ، فما رجعت إلى المسجد لأؤذن الفجر فإذا سليمان التميمي في مكانه كما تركته البارحة !! وهو واقف يردد هذه الآية لم يجاوزها {**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** }.

وقال إبراهيم الخوَّاص رحمه الله : دواء القلب في خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرّع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وبات مالك بن دينار- رحمه الله- يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح: **(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)** [الجاثية: 21].

وقال المغيرة بن حبيب: رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول: **حرم شيبة مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر.**

وقال مالك بن دينار: سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم. فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها:

أألهتك اللذائذ والأماني عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلدا لا موت فيه وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيرا من النوم التهجد بالقرآن

ويقول ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

فائدة : قال ابن الجوزي: واعلم أن السلف كانوا في قيام الليل على سبع طبقات:

• **الطبقة الأولى** : كانوا يحيون كل الليل، وفيهم من كان يصلي الصبح بوضوء العشاء.

• **الطبقة الثانية :** كانوا يقومون شطر الليل.

• **الطبقة الثالثة :** كانوا يقومون ثلث الليل، قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَوْمُ دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا ، وَيُفْطِرُ يَوْمًا)** متفق عليه .

• **الطبقة الرابعة :** كانوا يقومون سدس الليل أو خمسه .

• **الطبقة الخامسة :** كانوا لا يراعون التقدير، وإنما كان أحدهم يقوم إلى أن يغلبه النوم فينام، فإذا انتبه قام.

• **الطبقة السادسة :** قوم كانوا يصلون من الليل أربع ركعات أو ركعتين.

•**الطبقة السابعة : قوم يُحيون ما بين العشاءين، ويُعسِّلون في السحر، فيجمعون بين الطرفين.** وفي صحيح مسلم أن النبي قال: { **إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه، وذلك كل ليلة** }.

المبحث الثاني

شرح وروحانيات الأذكار والأدعية الخاصة بقيام الليل

لما كانت صلاة الليل لها النصيب الأوفى من الخشوع وحضور القلب والحظ الأعظم من الطمأنينة والروحانيات سواء فيما يتلى فيها من الأذكار أو ما يقال فيها من أدعية أحببت أن أذكر هنا أمرين هامين وهما مجمل روحانيات الصلاة عامة وصلاة الليل خاصة :

الأول : حضور القلب عند الذكر : قال العلماء :

للذكر ثلاثة أحوال : تارة يكون بالقلب واللسان، وذلك أفضل الذكر، وتارة بالقلب وحده، وهي الدرجة الثانية، وتارة باللسان وحده، وهي الدرجة الثالثة، قال الحافظ في الفتح: ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن انضاف للنطق الذكر بالقلب فهو أكمل.

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة ويزع عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً منها فثمرته ضعيفة.

ومن هذا تعلم أن ذكر اللسان أقل درجة من ذكر القلب واللسان، ولكن فيه أجر في الجملة، وهذا لأن الذكر باللسان -وإن كان أقل درجات الذكر كما تقدم- إلا أنه يحقق فوائد عديدة منها:

1/ تعويد الإنسان على الذكر، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله لمعاذ رضي الله عنه : (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) . رواه أحمد.

2/ كما أن فيه شغلاً للسان عن الباطل من الغيبة والنميمة واللغو، كما قيل: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

3/ كما أنه أعون على طرد الشيطان وأبعد عن الغفلة، قال ابن عباس: في قوله تعالى: (**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**) [الناس:4]، الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس " ذكره ابن كثير وغيره في تفسير الآية.

4/ **ومما هو معلوم أن الاستغفار مطلوب في وقت السحر : فاسمع ما قاله الغزالي رحمه الله في الإحياء - وهو يخاطب من لا يجد حضورا في قلبه أثناء استغفاره - الاستغفار باللسان أيضاً حسنة؛ إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت عنه، فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصاناً بالإضافة إلى عمل القلب.** انتهى

إذا تقرر هذا علمت أن مَن نطق بالذكر دون تفكر يحصل له أجر الذكر باللسان فقط، وهو دون أجر من قاله مع التمعن والتفكر في معناه ،وينبغي للمسلم أن يحرص على حضور قلبه وتدبر ما يذكر الله به، فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في قراءة القرآن لا شتراكهما في المعنى المقصود منهما، وهو التعبد لله تعالى [107].

[107]/ الشبكة الإسلامية – ركن الفتوى .

الثاني : حضور القلب عند الدعاء :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**القلوبُ أوعيةٌ، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتُم اللهَ عزَّ وجلَّ أيُّها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنَّ اللهَ لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل**) رواه أحمد في مسنده وحسنه الألباني .

قال العلماء : إنَّ الدعاءَ من أقوى الأسباب التي تُجلبُ بها الأمور المحبوبة، وتدفع بها الأمور المكروهة، لكنه قد يتخلَّف أثرُه وتضعف فائدتُه، وربَّما تنعدم لأسباب منها:

- **إمَّا ضعف في نفس الدعاء، بأن يكون دعاءً لا يحبُّه الله لِما فيه من العدوان .**

- **وإمَّا لضعف القلبِ وعدم إقباله على الله وقت الدعاء.**

- **وإمَّا لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام**، ورَيْنِ الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتهما عليها؛ إذ إنَّ هذه الأمور تُبطل الدعاءَ، وتُضعف من شأنِه.

ولهذا فإنَّ من الضوابط المهمَّة والشروطِ العظيمةِ التي لا بدَّ من توفرها في الدعاء حضورَ قلب الداعي وعدم غفلته،؛ لأنَّه إذا دعا بقلب غافلٍ لاهٍ ضعُفت قوةُ دعائه، وضعُف أثرُه، وأصبح شأنُ الدعاء فيه بمنزلة القوس الرخو جدًّا، فإنَّه إذا كان كذلك خرج منه السهم خروجاً ضعيفاً، فيضعف بذلك أثرُه، ولهذا فإنَّه قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الحثُّ على حضور القلب في الدعاء، والتحذيرُ من الغفلة، والإخبارُ بأنَّ عدمَ ذلك مانعٌ من موانع قبوله.

وإليك هذه البشارة النبوية :

عن عُبادة بن الصامت رضي اللّه تعالى عنه:أن رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (ما على وَجْهِ الأرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ تَعالى بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتاهُ اللَّهُ إيَّاها، أوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها ما لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ أوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ) فقال رجل من القوم: إذا نكثر، قال: (اللّه أكْثَرُ) قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم أبو عبد اللّه في المستدرك على الصحيحين من رواية أبي سعيد الخدري، وزاد فيه (أوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلَها) .

وعن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه،عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم قال: (يُسْتَجَابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولَ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي) متفق عليه .

وأما الآن فلنشرع في شرح ما هو خاص بقيام الليل من أدعية وأذكار فأقول ومن الله أرجو العون والقبول :

أولاً : شرح وروحانيات ما ورد من صيغ الاستفتاح :

الصيغة الأولى : (سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظَمة):

الدليل على كونه خاص بصلاة الليل : عن عوفِ بنِ مالكٍ، أنَّه قال: قُمْتُ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليلةً، فلمَّا ركَع مكَث قدرَ سورةِ البقرةِ يقولُ في ركوعِه: (سُبحانَ ذي الجبَروتِ .. الخ)[108]

[108]/ رواه أبو داود، والنسائي . وصححه النووي في الأذكار كما صححه الألباني في صحيح سنن أي داود.

الجبروت : من الجبر، وهو القهر، وهو من صفات الله تعالى ومنه الجابر؛ ومعناه: الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهي. أي: الذي يَغْلِب ولا يُغْلَب ويَقْهَر ولا يُقْهَر سبحانه،

والملكوت : أي ذي الملكوت : وكلمة الملك والملكوت كلمتان من اشتقاق واحد من الميم واللام والكاف من ملك وعندنا قاعدة في اللغة كما يذكرها علماؤنا أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى. فبصورة أولية كلمة الملكوت هي أوسع من كلمة الملك وبهذا المعنى استعملت في القرآن الكريم فعندما نأتي إلى قوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) الأعراف(185)** عطف الخلق العام **(وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)** كله داخل في ملكوته فالعطف هنا هو من عطف الخاص على العام فكل ما خلق هو داخل ضمن عموم كلمة الملكوت.

والملك والملكوت كله لله سبحانه وتعالى ولذلك في الآية الكريمة **(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)** البقرة (107) .

وعندما ننظر لاستعمال الملك والملكوت في القرآن الكريم نجد أن الملك يمكن أن يوجه إلى عبيد الله سبحانه وتعالى أي إلى البشر لكن الملكوت لم يرد في القرآن الكريم أنه أعطي من الملكوت للبشر **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** آل عمران(26)

فالملك ملك الله سبحانه وتعالى ممكن أن بعضه يُعار، يملك على سبيل كما قلنا الإعارة (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُم) النور (33) هو مال الله **(وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)** الحديد (7) هذا يكون منه.

أما الملكوت فلدينا نص من معجم الوسيط يقول: " والملكوت العز والسلطان، وملكوت الله سلطانه، والملكوت ملك الله خاصة " أي لا يعطي منه لأحد. والملك داخل في الملكوت والملكوت عام. فالله عز وجل لم يقل يؤتي الملكوت من يشاء بل يؤتي الملك، وملك الله عز وجل ما في السموات وما في الأرض[109] .

والكبرياء : قيل: الكبرياء الترفع عن جميع الخلق مع انقيادهم له التنزه عن كل نقص، وقيل : الكبرياء: ذي العظَمة المطْلقة فلا فوقه شيء سبحانه . وقيل: الكبرياء عبارة عن كمال الذات. **والعظمة** : تجاوز القدر عن الإحاطة به ، وقيل : عبارة عن جمال الصفات، ولا بوصف بهذين الوصفين إلا الله تعالى .

الصيغة الثانية للاستفتاح : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ، بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : " كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ : (**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ ، وَمِيكَائِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ، فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) . رواه مسلم (770) .

شرحه وروحانياته :

قوله: **رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل** :إنما خصص هؤلاء بالذكر من بين سائر المخلوقات، كما جاء في القرآن والسنة من نظائره؛ من الإضافة إلى كل عظيم المرتبة، وكبير الشأن، ودون ما يستحقر ويستصغر؛ فيقال له: سبحانه رب السموات والأرض، ورب العرش الكريم، ورب الملائكة والروح، ورب المشرقين والمغربين، ورب الناس ورب

[109]/ الفرق بين الملك والملكوت – د. حسام النعيمي - موقع روائع البيان القرآني .

كل شيء، فاطر السموات والأرض، خالق السموات والأرض، وكل ذلك وشبهه وصف له بدلائله العظيمة، وعظيم القدرة والملك.

ومعنى : **جبرائيل** : معناه عبدالله؛ لأن (**جبر**) معرب (**كبر**) وهو العبد، **وائيل** : هو الله تعالى، وهو: أي: جبرائيل – ملك متوسط بين الله ورسله، وهو أمين الوحي، وكذلك (**ميكائيل وإسرافيل**) معناهما عبدالله، قيل: إنما خص هذه الملائكة تشريفاً لهم.

قوله: **عالم الغيب والشهادة** : قال الواحدي : فعلى هذا [**الغيب**] مصدر يريد به الغائب ، [**والشهادة**] أراد بها الشاهد ، واختلفوا في المراد بالغائب والشاهد ، قال بعضهم : الغائب هو المعلوم ، والشاهد هو الموجود ، وقال آخرون : الغائب ما غاب عن الحس ، والشاهد ما حضر ، وقال آخرون : الغائب ما لا يعرفه الخلق ، والشاهد ما يعرفه الخلق.

ونقول : المعلومات قسمان : المعدومات والموجودات ، والمعدومات منها معدومات يمتنع وجودها ومنها معدومات لا يمتنع وجودها ، والموجودات أيضا قسمان : موجودات يمتنع عدمها ، وموجودات لا يمتنع عدمها ، وكل واحد من هذه الأقسام الأربعة له أحكام وخواص ، والكل معلوم لله تعالى .

وحكى الشيخ الإمام الوالد عن أبي القاسم الأنصاري عن إمام الحرمين رحمه الله تعالى : أنه كان يقول : لله تعالى معلومات لا نهاية لها ، وله في كل واحد من تلك المعلومات معلومات أخرى لا نهاية لها ؛ لأن الجوهر الفرد يعلم الله تعالى من حاله أنه يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل ، وموصوفا بصفات لا نهاية لها على البدل ، وهو تعالى عالم بكل الأحوال على التفصيل ، وكل هذه الأقسام داخل تحت قوله تعالى :(**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**) الحشر (22) .

قوله: **اهدني لما اختلف فيه من الحق** :أي: وفقني إلى الحق الذي اختُلف فيه وثبتني عليه.قوله: **بإذنك** أي: بتيسيرك وفضلك. **إلى صراط مستقيم** :أي: طريق الحق والصواب [110].

الصيغة الثالثة للاستفتاح : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل ، قال : (**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**) متفق عليه .

شرحه وروحانياته :

قَالَ الْحَافِظُ ابن حجر رحمه الله : ظَاهِرُ السِّيَاقِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ أَوَّلَ مَا يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ اِبْنُ خُزَيْمَةَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ هَذَا التَّحْمِيدَ بَعْدَ أَنْ يُكَبِّرَ ثُمَّ سَاقَهُ مِنْ طَرِيقِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ قَالَ بَعْدَمَا يُكَبِّرُ : اللَّهُمَّ لَك الْحَمْدُ اِنْتَهَى

لَك الْحَمْدُ : تَقْدِيمُ الْخَبَرِ يَدُلُّ عَلَى التَّخْصِيصِ ، أي إن الحمد مختص بالله تعالى فهو وحده المستحق له فلا يحمد سواه .

[110]/ انظر شرح حصن المسلم -موقع الكلم الطيب .

أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أَيْ مُنَوِّرُهُمَا وَخَالِقُ نُورِهِمَا ،وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَادِي أَهْلِهِمَا . وَقِيلَ " مُنَزَّهٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَمُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ رِيبَةٍ " .

وَقِيلَ هُوَ اِسْمُ مَدْحٍ يُقَالُ فُلَانٌ نُورُ الْبَلَدِ وَشَمْسُ الزَّمَانِ ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ " مُزَيِّنُ السَّمَاوَاتِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَمُزَيِّنُ الْأَرْضِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ " .

وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ : (أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَيْ بِنُورِك يَهْتَدِي مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ ذُو نُورِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " وَفِي رِوَايَةٍ قَيِّمُ وَفِي أُخْرَى قَيُّومٌ وَهِيَ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعْنَاهَا الْقَائِمُ بِأُمُورِ الْخَلْقِ وَمُدَبِّرُ الْعَالَمِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَصْلُهَا مِنْ الْوَاوِ قَيْوَامٌ وَقَيْوُومٌ وَقَيْوُومٌ بِوَزْنِ فَيْعَالٍ فَيَعُولُ , وَالْقَيُّومُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَعْدُودَةِ وَهُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ مُطْلَقًا لَا بِغَيْرِهِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُقَوَّمُ بِهِ كُلُّ مَوْجُودٍ حَتَّى لَا يُتَصَوَّرَ وُجُودُ شَيْءٍ وَلَا دَوَامُ وُجُودِهِ إلَّا بِهِ كَذَا فِي النِّهَايَةِ .

أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ :قَالَ فِي النِّهَايَةِ . الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْمَالِكِ وَالسَّيِّدِ وَالْمُدَبِّرِ وَالْمُرَبِّي وَالْمُنْعِمِ وَالْقَيِّمِ , وَلَا يُطْلَقُ غَيْرَ مُضَافٍ إلَّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أُضِيفَ فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ مُطْلَقًا عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالْكَثِيرِ .

أَنْتَ الْحَقُّ : أَيْ الْمُتَحَقِّقُ الْوُجُودِ الثَّابِتُ بِلَا شَكٍّ فِيهِ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هَذَا الْوَصْفُ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ خَاصٌّ بِهِ لَا يَنْبَغِي لِغَيْرِهِ إذْ وُجُودُهُ لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ وَلَا يَلْحَقُهُ عَدَمٌ بِخِلَافِ غَيْرِهِ . وَقَالَ اِبْنُ التِّينِ : يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنْتَ الْحَقُّ بِالنِّسْبَةِ إلَى مَنْ يُدَّعَى فِيهِ أَنَّهُ إلَهٌ أَوْ بِمَعْنَى أَنَّ مَنْ سَمَّاك إلَهًا فَقَدْ قَالَ الْحَقُّ .

وَوَعْدُك الْحَقُّ : أَيْ الثَّابِتُ، قَالَ الطِّيبِيُّ رحمه الله : عَرَّفَ الْحَقَّ فِي أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُك الْحَقُّ وَنَكَّرَ فِي الْبَوَاقِي لِأَنَّهُ مُنَكَّرٌ سَلَفًا وَخَلَفًا أَنَّ اللَّهَ **هُوَ الثَّابِتُ الدَّائِمُ الْبَاقِي وَمَا سِوَاهُ فِي مَعْرِضِ الزَّوَالِ وَكَذَا وَعْدُهُ مُخْتَصٌّ بِالْإِنْجَازِ دُونَ وَعْدِ غَيْرِهِ إمَّا قَصْدًا وَإِمَّا عَجْزًا تَعَالَى اللَّهُ عَنْهُمَا وَالتَّنْكِيرُ فِي الْبَوَاقِي لِلتَّفْخِيمِ .**

وَلِقَاؤُك حَقٌّ : اللِّقَاءُ الْبَعْثُ أَوْ رُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى , وَقِيلَ الْمَوْتُ وَأَبْطَلَهُ النَّوَوِيُّ ،وَاللِّقَاءُ وَمَا ذُكِرَ بَعْدَهُ دَاخِلٌ تَحْتَ الْوَعْدِ لَكِنْ الْوَعْدُ مَصْدَرٌ وَمَا ذُكِرَ بَعْدَهُ هُوَ الْمَوْعُودُ بِهِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ

وَالسَّاعَةُ حَقٌّ : أَيْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ , وَأَصْلُ السَّاعَةِ الْقِطْعَةُ مِنْ الزَّمَانِ وَإِطْلَاقُ اِسْمِ الْحَقِّ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ الْأُمُورِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَوْنِهَا وَأَنَّهَا مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُصَدَّقَ بِهَا وَتَكْرَارُ لَفْظِ حَقٍّ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّأْكِيدِ

اللَّهُمَّ لَك أَسْلَمْت : أَيْ اِسْتَسْلَمْت وَانْقَدْت لِأَمْرِك وَنَهْيِك ، **وَبِك آمَنْت** : أَيْ صَدَّقْت بِك وَبِكُلِّ مَا أَخْبَرْت وَأَمَرْت وَنَهَيْت ، **وَعَلَيْك تَوَكَّلْت** : أَيْ فَوَّضْت الْأَمْرَ إلَيْك تَارِكًا لِلنَّظَرِ فِي الْأَسْبَابِ الْعَادِيَةِ ، **وَإِلَيْك أَنَبْت** : أَيْ أَطَعْت وَرَجَعْت إلَى عِبَادَتِك أَيْ أَقْبَلْت عَلَيْهَا , وَقِيلَ مَعْنَاهُ رَجَعْت إلَيْك فِي تَدْبِيرِ أَمْرِي أَيْ فَوَّضْت إلَيْك .

وَبِك خَاصَمْت : أَيْ بِمَا أَعْطَيْتنِي مِنْ الْبَرَاهِينِ وَالْقُوَّةِ خَاصَمْت مَنْ عَانَدَ فِيك وَكَفَرَ بِك وَقَمَعْته بِالْحُجَّةِ وَبِالسَّيْفِ .

وَإِلَيْك حَاكَمْت : أَيْ كُلَّ مَنْ جَحَدَ الْحَقَّ حَاكَمْته إلَيْك وَجَعَلْتُك الْحَاكِمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَا غَيْرَك مِمَّا كَانَتْ تَحَاكَمُ إلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ صَنَمٍ وَكَاهِنٍ وَنَارٍ وَشَيْطَانٍ وَغَيْرِهَا فَلَا أَرْضَى إلَّا بِحُكْمِك وَلَا أَعْتَمِدُ غَيْرَهُ , وَقَدَّمَ مَجْمُوعَ صِلَاتِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ عَلَيْهَا إشْعَارًا بِالتَّخْصِيصِ وَإِفَادَةً لِلْحَصْرِ

فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ : أَيْ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ وَمَا أَخَّرْت عَنْه : عن هذا الوقت ، فهذا سؤال للمغفرة العامة . وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت : أَيْ أَخْفَيْت وَأَظْهَرْت أَوْ مَا حَدَّثْت بِهِ نَفْسِي وَمَا تَحَرَّكَ بِهِ لِسَانِي . قَالَ النَّوَوِيُّ : وَمَعْنَى سُؤَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَغْفِرَةَ مَعَ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ أَنَّهُ يَسْأَلُ ذَلِكَ تَوَاضُعًا وَخُضُوعًا وَإِشْفَاقًا وَإِجْلَالًا وَلِيُقْتَدَى بِهِ فِي أَصْلِ الدُّعَاءِ وَالْخُضُوعِ وَحُسْنِ التَّضَرُّعِ فِي هَذَا الدُّعَاءِ الْمُعَيَّنِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ مُوَاظَبَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلِ عَلَى الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالِاعْتِرَافِ لِلَّهِ تَعَالَى بِحُقُوقِهِ وَالْإِقْرَارِ بِصِدْقِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَالْبَعْثِ وَالْجَنَّةِ النَّارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ اِنْتَهَى [111].

الصيغة الرابعة للاستفتاح : عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفاً ومَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ، إنَّ صَلاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، ومَمَاتِي للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لا شَرِيْكَ لَهُ، وبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، واعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرلِي ذُنُوبِي جَمِيعاً إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلاَّ أَنْتَ، واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إليْكَ، أَنَا بِكَ وإلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوْبُ إلَيْكَ) رواه مسلم .قال ابن القيم رحمه الله في " زاد المعاد " (196/1) " الْمَحْفُوظَ أَنَّ هَذَا الِاسْتِفْتَاحَ ، إنَّمَا كَانَ يَقُولُهُ عليه الصلاة والسلام فِي قِيَامِ اللَّيْلِ " انتهى.

شرحه وروحانياته :

[111]/ تُحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي .

الثلث الأول من هذا الدعاء : من قوله (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ) إلى قوله (وأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ) مضى شرحه ضمن أدعية الاستفتاح لصلاة الفريضة ، فلا داعي لإعادته هنا .

الثلث الثاني : من قوله (اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ) إلى قوله **(لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ)** مضى شرحه ضمن تفسير سورة الفاتحة وأدعية ما قبل السلام.

الثلث الثالث : من قوله (وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ) إلى آخره . هذا الذي سنشرحه الآن بعون الله تعالى :

ثانياً : روحانيات التلاوة في قيام الليل : لما كان للقراءة في صلاة الليل وضع خاص ذكرها الله تعالى في كتابه لكي يلفت أنظار المؤمنين إلى ما فيها من فوائد لا توجد في صلاة النهار فقال (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا) سورة المزمل(6) .

وللعلماء ثلاثة أقوال في معنى (أشد وطئاً) مبنية على المعنى اللغوي :

القول الأول : المعنى أنها أثقل على المصلي من ساعات النهار . وذلك أن الليل وقت منام وتودع وإجمام ، فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة .

القول الثاني : هي أشد مواطأة وموافقة لإصلاح القلب، وتهذيب النفس، وأقوم قولا، وأنفع وقعا، وأفضل قراءة من عبادة النهار، لأن العبادة الناشئة بالليل يصحبها ما يصحبها من الخشوع والإخلاص، لهدوء الأصوات بالليل، وتفرغ العابد تفرغا تاما لعبادة ربه.

القول الثالث : أي هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها إن أريد بالناشئة النفس المتهجدة أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه إن أريد بها القيام أو العبادة أو الساعات .

وقد بين الإمام الرازي الفائدة المرجوة من هذه المواطأة : أن الإنسان إذا أقبل على العبادة والذكر في الليل المظلم في البيت المظلم في موضع لا تصير حواسه مشغولة بشيء من المحسوسات ألبتة ، فحينئذ يقبل القلب على الخواطر الروحانية والأفكار الإلهية ، وأما النهار فإن الحواس تكون مشغولة بالمحسوسات ، **فتصير النفس مشغولة بالمحسوسات ، فلا تتفرغ للأحوال الروحانية ، فالمراد من ناشئة الليل تلك الواردات الروحانية والخواطر النورانية ، التي تنكشف في ظلمة الليل بسبب فراغ الحواس ، وسماها ناشئة الليل ؛ لأنها لا تحدث إلا في الليل بسبب أن الحواس الشاغلة للنفس معطلة في الليل ومشغولة في النهار ، ولم يذكر أن تلك الأشياء الناشئة منها تارة أفكار وتأملات ، وتارة أنوار ومكاشفات ، وتارة انفعالات نفسانية من الابتهاج بعالم القدس أو الخوف منه ، أو تخيلات أحوال عجيبة ، فلما كانت تلك الأمور الناشئة أجناسا كثيرة لا يجمعها جامع ، إلا أنها أمور ناشئة حادثة لا جرم لم يصفها إلا بأنها ناشئة الليل.**

ثالثاً : روحانيات الرفع من الركوع : قال ابن القيم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطيلُه - يعني الرفع من الركوع - كما يطيل الركوع والسجود، ويُكثر فيه من الثناء والحمد والتمجيد، كما ذكرناه في هديه صلى الله عليه وسلم في صلاته وكان في قيام الليل يُكثر فيه من قول: " لربي الحَمد، لربي الحمد " ويكرِّرها.

قلت : وكثرة التكرار تورث العبد نوعا من استحضار نعم لله تعالى عليه كما تورثه نوع من الخشوع والتذلل له سبحانه وتعالى .

المبحث الثالث

كيفية تقسيم الوقت في الليل

قسم الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى أوراد صلاة الليل إلى خمسة أقسام ،وأطال في شرحها وبيان ما يفعله المتعبد فيها ولما كان المقام لا يحتمل التطويل قمت باختصارها جدا ومن أراد أن يتوسع فيها فعليه بالرجوع إلى كتاب الإحياء المجلد الأول .

الورد الأول : إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل بإحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال "فلا أقسم بالشفق" والصلاة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى "ومن آناء الليل فسبح" وهي صلاة الأوابين. وهي المراد بقوله تعالى "تتجافى جنوبهم عن المضاجع" روي ذلك عن الحسن .

وترتيب هذا الورد أن يصلي بعد المغرب ركعتين أولاً يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي أربعاً يطيلها ثم يصلي إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له. وإن كان المسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته إن لم يكن عزمه العكوف في المسجد وإن عزم على العكوف في

انتظار العتمة - العشاء - فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء.انتهى كلام الغزالى.[112]

وأقول : توجد في بعض المساجد حلقات لتدريس العلوم الإسلامية كالفقه والحديث ونحوهما ،كما توجد حلقات تلاوة لتصحيح تلاوة القرآن ولا شك أن الجلوس في هذه الحلقات أولى وأفضل من الصلاة لأن العلم قال النووي رحمه الله: يجزي - يعني للمعتكف - أن يقرأ القرآن ويقرئه غيره، وأن يتعلم العلم ويعلمه غيره، ولا كراهة في ذلك في حال الاعتكاف. قال الشافعي وأصحابنا: وذلك أفضل من صلاة النافلة، لأن الاشتغال بالعلم فرض كفاية فهو أفضل من النفل، ولأنه مصحح للصلاة وغيرها من العبادات، ولأن نفعه متعد إلى الناس، وقد تظاهرت الأحاديث بتفضيل الاشتغال بالعلم على الاشتغال بصلاة النافلة.

والورد الثاني: يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حد نومة : وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور :

الأول : أن يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات: أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستاً بعد الفرض ركعتين .

---

[112] / قلت : قال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار" (68/3) : "والآيات والأحاديث المذكورة في الباب تدل على مشروعية الاستكثار من الصلاة ما بين المغرب والعشاء ، والأحاديث وإن كان أكثرها ضعيفا فهي منتهضة بمجموعها ، لا سيما في فضائل الأعمال ، قال العراقي : وممن كان يصلي ما بين المغرب والعشاء من الصحابة : عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وسلمان الفارسي وابن عمر وأنس بن مالك في ناس من الأنصار ، ومن التابعين : الأسود بن يزيد وأبو عثمان النهدي وابن أبي مليكة وسعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر وأبو حاتم وعبد الله بن سخبرة وعلي بن الحسين وأبو عبد الرحمن الحبلي وشريح القاضي وعبد الله بن مغفل وغيرهم . ومن الأئمة : سفيان الثوري" انتهى .

الثاني : أن يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه أكثر ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقوياء من آخره. والحزم التقديم فإنه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل.

وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه: (**أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر**) وإن كان معتاداً صلاة الليل فالتأخير أفضل. قال صلى الله عليه وسلم **(صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة)** وقالت عائشة رضي الله عنها "**أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر**" .

الورد الثالث: النوم : ولابأس أن يعد ذلك في الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل: إن للعبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصلياً حتى يستيقظ .

قلت : روى ابن أبي الدنيا عن طاووس أنه قال : " من بات على طهر وذكر كان فراشه له مسجدا حتى يصبح " [113]

---

[113]/ ثم ذكر الغزالي رحمه الله في هذا الموطن عشرة آداب للنوم حذفتها لكيلا نخرج عن موضوع الكتاب .

الطهارة والسواك و وينوي القيام للعبادة و أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه و أن ينام تائباً من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين و أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه و أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل و أن ينام مستقبل القبلة و الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة و أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع

وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها" والدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته

وقد ورد ذلك في أحاديث وآثار في أسانيدها مقال، من ذلك:

1- عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أبا الحسن! الرجل يرى الرؤيا فمنها ما تصدق، ومنها ما تكذب!؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من عبد و لا أمة ينام فيمتلئ نومًا إلا عرج بروحه إلى العرش، فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق، والذي يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب))، رواه الحاكم في المستدرك ولم يصححه (439/4، رقم 8199) وقال الذهبي في تعليقه: حديث منكر، ورواه الطبراني في الأوسط (247/5، رقم 5220)، وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، والهيثمي في مجمع الزوائد، وقد روي موقوفًا على علي، أورده السيوطي في الدر المنثور (665/12) عن ابن أبي حاتم وابن مردويه.

2- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: "إن الأرواح يعرج بها في منامها إلى السماء، فتؤمر بالسجود عند العرش، فمن بات طاهرًا سجد عند العرش، ومن كان ليس بطاهر سجد بعيدًا من العرش"، رواه البخاري في التاريخ الكبير (292/6، رقم 2439)، والبيهقي في شعب الإيمان (29/3، رقم 2781) وقال: "هكذا جاء موقوفًا". قال العراقي في طرح التثريب (60/2): "وهذا وإن كان موقوفًا فقد ثبت أن من نام طاهرًا نام في شعار ملك، وصفة الملائكة العلو، فكان فيه مناسبة لعلو روحه وصعودها إلى الجنان, وذلك فيما رواه ابن حبان في صحيحه من رواية ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من بات طاهرًا بات في شعار ملك، فلم يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان؛ فإنه نام طاهرًا))، أورده في النوع الثاني من القسم الأول, وقد رواه الطبراني في الأوسط فجعله من حديث ابن عباس، ورواه البيهقي في الشعب فجعله من حديث أبي هريرة".

3- عن أبي الدرداء قال: "إذا نام العبد على طهارة رفع روحه إلى العرش"، رواه ابن المبارك في الزهد، ورواه الحكيم الترمذي بلفظ: "إن النفس تعرج إلى الله - تعالى - في منامها, فما كان طاهرًا سجد تحت العرش, وما كان غير طاهر تباعد في سجوده, وما كان جنبًا لم يؤذن لها في السجود".وخلاصة ذلك والله أعلم أن روح المؤمن تصعد في العلو، وأنها ربما سجدت تحت العرش، وربما بقيت مع أرواح المؤمنين الموتى، ومنها ما يكون دون ذلك، والله أعلم.

الورد الرابع : يدخل بمضي النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد المتهجد. فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم.

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أي الليل أسمع**؟ فقال :**جوف الليل ، وارفع إلي الله حوائجك** فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قلت: **يا رسول الله، أي الليل أسمع**؟ قال: (**جوف الليل الآخر، فصل ما شئت**). رواه أبو داود ،وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي الليل أفضل ؟ فقال: **نصف الليل الغابر**" رواه أحمد والنسائي ، **الغابر: يعني الباقي** .

فإذا قام العبد للصلاة فإنه يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين. ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر. ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولاً ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها "أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر في قيام الليل أم يسر؟ فقالت: " ربما جهر " وربما أسر وقال صلى الله عليه وسلم (صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى ، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى) متفق عليه.

الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فإن الله تعالى قال **(وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)** الذاريات (18) قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا

الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره "فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان: نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له: نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصليا فقال: إن لنفسك عليك حقاً وإن لضيفك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه، وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال: فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال: (صدق سلمان) رواه البخاري .

المبحث الرابع

روحانيات صلاة التراويح

المطلب الأول : حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها .

المطلب الثاني: أين تصلى التهجد في رمضان فى الجوامع أو فى البيوت ؟

المطلب الأول

حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها

جرى في هذا العصر خلاف كبير بين بعض الشباب الملتزم الذيين يريدون تطبيق السنة – حسب فهمهم القاصر - في عدد ركعات التراويح حتى إن بعضهم بدَّع أئمة المسجد النبوي الشريف لأنهم يصلون التراويح عشرين ركعة ، وما ظنه أولئك الشباب بدعة يدل على جهلهم بكلام أهل العلم في هذا الموضوع الذي ينبغي ألا يأخذ أكثر من كونه من الفرعيات .

وقد يقول قائل : ما علاقة هذا بالروحانيات التي هي موضوع الكتاب ؟

فأجيبه : إن دخول المسلم في صلاة التراويح خلف أيَّ إمام وفي أيِّ مسجد وهو يعلم أن ما اختاره هذا الإمام من عدد ركعات التراويح موافق لآراء بعض أهل العلم ولو كان هذا المصلي يرى رأياً آخر مخالفا له لهو من أعظم الروحانيات حيث تأتلف القلوب ولو اختلفت الآراء ، وينبغي لكل مسلم أن يتبرأ من الثقافة التي انتشرت في هذا العصر - في موضوع اختلاف الآراء – **أنت لست معي إذن أنت ضدي .لأن هذه الثقافة مخالفة لما كان عليه السلف رضي الله عنهم فقد كانوا يختلفون في الرأي ولكن هذا الاختلاف لم يكن يصل إلى قلوبهم ، وذلك لسعة علمهم بالشرع وفهمهم لحِكَمه ومقاصده .**

ولما كان الأمر كذلك أحببت أن أذكر كلام العلماء حول حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها وغير ذلك مما يتعلق بها وذلك في محورين :

المحور الأول : حكم صلاة التراويح : الأصل فى صلاة التراويح حديثان اثنان متفق عليهما ، وكلاهما يدل على إثبات سنية صلاة التراويح ، كما سيتبين :

الحديث الأول : عن عائشة رضى الله عنها قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ذات ليلة ،فصلى بصلاته أناس ، ثم صلى فى القابلة،فكثر الناس ثم اجتمعوا من الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح قال : **(قد رأيت الذى صنعتم ، فلم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم)** قال : " **وذلك فى رمضان** " متفق عليه .(والقائل عروة الراوى عن عائشة رضى الله عنها) .

الحديث الثانى : عن عبدالرحمن بن عبدٍ القارئُ قال: " خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ ، **فَقَالَ عُمَرُ: "إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ ، لَكَانَ أَمْثَلَ ثُمَّ عَزَمَ ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ ، قَالَ عُمَرُ: "نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ** " رواه البخاري (2010) .

المحور الثاني : عدد ركعات صلاة التراويح :

اختلفت مذاهب العلماء فى عدد ركعات صلاة التراويح وقد ذكر تلك الأقوال الترمذى فى سننه مجملة دون نسبتها الى أصحابها ،ونحن نذكرها مع نسبتها الى القائلين بها ان شاء الله تعالى ، والقصد من ذلك هو اطلاع القارىء على سعة مذاهب أهل العلم فى

المسألة وردا على ما ينادى به البعض من أن السُّنَّة فى التروايح الاقتصار على إحدى عشرة ركعة .. فلا أدرى أهم أعلم أم أولئك المجتهدون ... واليك تلك الأقوال :

القول الأول : صلاة التراويح : إحدى وأربعين ركعة : هذا قول أهل المدينة بل وكان عليه العمل فى زمان مالك وعمر بن عبدالعزيز وورد عن محمد بن سيرين : أن معاذا أبا حليمة القارى كان يصلى بالناس فى رمضان إحدى وأربعين ركعة . **وقال الترمذى "والعمل على هذا عندهم بالمدينة" ، وقال إسحاق نختار إحدى واربعين ركعة .**

القول الثانى : صلاة التراويح تسع وثلاثين ركعة : عن ابن أيمن قال مالك : " أستحب ان يقوم الناس فى رمضان بثمان وثلاثين ركعة ثم يسلم الامام والناس ثم يوتر بهم بواحدة ، وهذا العمل بالمدينة قبل الحرة منذ بضع ومائة سنة الى اليوم " . ا هـ . قال العينى : المشهور عن مالك ست وثلاثون والوتر بثلاث والعدد واحد .

وورد عن نافع قوله " لم أدرك الناس إلا وهم يصلون تسعا وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث "يعنى أن العدد تسع وثلاثون والوتر فيها ثلاث ركعات . وهذا يوافق الرواية الثانية عن مالك حيث قال :"هو الأمر القديم عندنا ".

القول الثالث : صلاة التراويح أربع وثلاثون ركعة : حُكِيَ هذا القول عن زرارة بن أبي أوفى وأنه كذلك كان يصلى بهم فى العشر الأخير من رمضان .

القول الرابع : صلاة التراويح ثمان وعشرون ركعة : وهو المروى عن زرارة بن أبي أوفى وهكذا كان يصلى فى العشرين الأول ، وكان سعيد بن جبير يفعله فى العشر الأواخر.

القول الخامس : صلاة التراويح :عشرون ركعة : وهذا قول الأئمة الأربعة وقول الأكثر من أهل العلم ، وهو المروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى بن ابى طالب وغيرهما من الصحابة ، **ولعل هذا القول هو الذى استقر عليه العمل عند أتباع الأئمة الأربعة الى عصرنا هذا إلا من شذ ممن ينتسب للعلم ،وردَّ العمل به كما أشرنا قبل قليل ،ولهذا سأذكر أدلة القائلين بأن عدد ركعاتها عشرين ثم بعد ذلك الوتر بركعة أو بثلاث ركعات** .(قاله ابن عبدالبر فى الاستذكار 69/2).

- الدليل الأول : عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد قال : **" كانوا يقومون فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى رمضان بثلاث وعشرون ركعة "** رواه البيهقى فى السنن الكبرى والدليل فى ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جمع الناس على هذا العدد والصحابة متوافرون ولم ينكر عليه أحد .

شبهة حول هذا الدليل وجوابها : يقول بعض من ينكر هذا العدد ويدعو الى أن تصلى إحدى عشرة ركعة ،أن هذا الحديث ضعيف مع أنه أصله في صحيح البخاري رقم (2010)، دون ذكر العدد - وليس هذا مجال مناقشة وجه الضعف فيه - ونجيب عن ذلك بالقول : يكفينا أن الحديث صححه النووى فى المجموع (527/3) والزيلعى فى نصب الراية (154/2) وابن العراقى فى طرح التثريب (97/3)

وأضف الى ذلك عمل الأئمة الأربعة به يدل على صحة الخبر عندهم ، ثم إنه لا يمكن ان يقال أن الأئمة الأربعة - على فرض عدم صحة الخبر عندهم - انهم تركوا العمل بحديث عائشة رضى الله عنها المتفق عليه الذى يدل على أن التراويح إحدى عشرة ركعة ثم يعملوا بخبر لم يثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وينتشر ذلك ويقرر فى جميع كتب الفقه ، ثم يأتى هذا المدعى ويظن أنه يردُّ الناس الى

السنة المطهرة فى حين يخالفها هذا الكمُّ الهائل من أتباع الأئمة الأربعة وعدد حفاظ الحديث النبوي فيهم لا يُحصى .

- **الدليل الثانى** : أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم باتباع سنة الخلفاء الراشدين فى قوله عليه الصلاة والسلام :(**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**) فهذا الدليل مبنى على عمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو مَنْ هو فى اتباع السنة النبوية الشريفة فنحن عندما نتبعه نكون قد امتثلنا أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق الذكر.

- **الدليل الثالث** : حضَّ النبي صلى الله عليه وسلم على الاستكثار من الصلاة فى نحو قوله صلى الله عليه وسلم (**الصلاة خير موضوع ، من شاء استقل ومن شاء استكثر**) **لا سيما فى مواسم الخيرات كرمضان وعشر الأول من ذي الحجة ، ولذا كان أهل مكة يطوفون بالبيت بعد كل أربع ركعات من صلاة التراويح فلما رأى أهل المدينة ذلك زادوا فى صلاتهم طلبا لإدراك الأجر الذى يفوتهم بالطواف . ولعل هذا القدر من الأدلة يكفى وانما ذكرنا ذلك لعل الله أن يبصر أولئك المتطاولين على الأئمة الأربعة من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون بل وعلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن وافقه من الصحابة** ، وإليهم أهدى هذا الأثر عن الإمام الشافعى رحمه الله " وليس فى شىء من هذا ضيق ، ولا حد ينتهى اليه لأنه نافلة ، فإن اطالوا القيام وأقلُّوا السجود فحسن ، وهو أحب إليَّ وان اكثروا الركوع والسجود فحسن " ولعل الشافعى يشير بهذا الكلام الى حديث النبى صلى الله عليه وسلم (**صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بواحدة واجعل آخر صلاتك وترا**) وهو حديث متفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنه .

القول السادس : صلاة التراويح احدى عشرة ركعة : هذا قول مالك وهو الذى يعمل به فى خاصة نفسه ويدل عليه حديث عائشة المتفق عليه ، أنها قالت فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم **"ماكان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على أحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهنَّ وطولهنَّ ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا ".**

قال الحافظ الجلال السيوطى فى رسالة "المصابيح فى صلاة التراويح " قال الجوزى من أصحابنا عن مالك أنه قال : الذى جمع عليه الناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحب إلى وهو إحدى عشرة ركعة وهى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل له : إحدى عشرة ركعة بالوتر ؟ قال : نعم وثلاث عشرة قريب ".

شبهة وجوابها : الناظر فى هذا القول عن مالك رحمه الله يظن أن هناك تعارضا بين ما ذكر عنه سابقا من قوله "استحب أن يقوم الناس فى رمضان بثمان وثلاثين "... الخ وكذلك قد يظن أن هناك تعارضا بين هاتين الروايتين وبين ماثبت عن عمر أنه جمع الناس على احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين ركعة كما صححه ابن عبدالبر.

الجواب عن ذلك : أن يقال : إن مانسب الى مالك إنما هو ماكان يعمل به فى خاصة نفسه و لا يتنافى مع ماذكره من عمل الناس بالمدينة وهو أنهم كانوا يصلون التراويح بتسع وثلاثين ، وخاصة اذا علمت أنه كان يصلى التراويح فى بيته ولم يكن يؤديها فى الجماعة واليك هذا الأثر الذى ذكره ابن عبدالبر فى الاستذكار (71/2)حيث يقول رحمه الله : " **قال مالك : وكان ربيعة وغير واحد من علمائنا ينصرفون ولا يقومون**

مع الناس ، قال مالك : وأنا أفضِّل ذلك ، وما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فى بيته "

بقيت مسألة : وهى أن المنقول عن عمر بن الخطاب أنه جمع الناس على عشرين ركعة - دون الوتر - ثم يقول مالك عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد قال : أمر عمر أبى بن كعب وتميما الدارى أن يقوما بالناس بإحدى عشرة ركعة ".

الجواب عن ذلك : ماقاله ابن عبدالبر رحمه الله : يحتمل أن يكون القيام فى أول ما عمل به عمر بإحدى عشرة ركعة ،ثم خفف عليهم طول القيام ونقلهم الى احدى وعشرين ركعة يخففون فيها القراءة ويزيدون فى الركوع والسجود . اه .[114].

تنبيه : نخرج من هذه الأقوال بأن الأمر فى ذلك واسع كما سبق وقد ذكرنا كلام الامام الشافعى رحمه الله ، وبمثل هذا القول قال جمهور العلماء ولم يخالف فى هذا إلا قلة فى هذا العصر وقد أشار الى معنى كلام الشافعي الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث يقول " اختلف العلماء فى عدد ركعات التراويح فمنهم من قال احدى عشرة ... والأمر فى هذا واسع لأن السلف اذا اختلفوا فى هذا لم ينكر بعضهم على بعض ، فالأمر فى هذا واسع . يعنى نحن لا ننكر على من زاد على احدى عشرة ركعة ولا على من زاد على ثلاث وعشرين ركعة ، ونقول : صلِّ ماشئت مادامت جماعة المسجد رضوا بذلك ولم ينكر أحد " اهـ .[115]

---

[114]/ الاستذكار 69/2 .

115/ شرح رياض الصالحين – لابن عثيمين - (1369/2 و 1370) (راجع الأقوال وأدلتها عمدة القارىء – للعينى ، وتحفة الأحوزى - للمباركفورى - وفتح البارى وهدى النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلوات الخاصة والمصابيح للسيوطى 63).

فائدة: أيهما أفضل أداء التراويح فى البيوت أم فى المساجد :

ذهب جمهور أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة الى أن صلاة التراويح سنة ولكن اختلفوا فى أدائها هل الأفضل فى المساجد أم فى البيوت على أقوال ثلاثة :

الأول : ذهب الأحناف والحنابلة على أن السنة فى التراويح الجماعة ولكنها عند الأحناف على وجه الكفاية ، حتى لو امتنع اهل المسجد عن قيامها كانوا مسيئين ، ولو أقامها البعض فالمتخلف عن الجماعة تارك للفضيلة.

الثاني : ذهب المالكية الى أن الجماعة فى التراويح مستحبة لكن يندب أن يفعلها فى البيوت إن لم تعطل المساجد ، وبشرط أن ينشط لها فى البيت والا فالسنة أن تؤدى فى المسجد مع الجماعة .

الثالث : المذهب عند الشافعية أن الجماعة فى التراويح أفضل مطلقا كما أوضح ذلك النووى ، قال : وبه قال جماهير العلماء " وقال ربيعة ومالك أبو يوسف وآخرون : " **الإفراد أفضل** " وقد تقدم تفصيل مذهب مالك قبل قليل.[116] .

116/ المجموع- للنووي – (583/3)

المطلب الثاني

أين تصلى التهجد في رمضان فى الجوامع أو فى البيوت ؟

قبل بيان مكان أداء التهجد في العشر الأواخر من رمضان ينبغي الإشارة إلى حكمه أولاً فأقول ومن الله أرجو العون والقبول :

مما اشتهر في هذه الأعصار التفريق بين صلاة التراويح وصلاة القيام في العشر الأخير من رمضان بالصلاة التي عرفت باسم (**التهجد**) ، وللعلماء في ذلك قولان :

القول الأول : الجواز : ولا أقول الأفضل ، جاء في فتح الباري لابن رجب: واختلفت الرواية عن أحمد في التعقيب في رمضان، وهو: أن يقوموا في جماعة في المسجد، ثم يخرجون منه، ثم يعودون إليه فيصلون جماعة في آخر الليل.

ونقل ابن منصور عن إسحاق بن راهويه: أنه إن أتم الإمام التراويح في أول الليل - أي أوتر - كره له أن يصلي بهم في آخره جماعة أخرى، لما روي عن أنس وسعيد بن جبير من كراهته، وإن لم يتم بهم في أول الليل وأخر تمامها إلى آخر الليل لم يكره.

القول الثاني : المنع : أي يعتبر التهجد مخالف لما كان عليه فعل السلف ، فقد كتب أحد الباحثين مقالاً مطولاً في موقع صيد الفوائد ونقل نقولاً كثيرة عن السلف وغيرهم في كراهة هذه الصلاة ، ومن ذلك قوله :

جاء في مسائل أبي داود : قيل لأحمد وأنا أسمع : يؤخر القيام – يعني التراويح – إلى آخر الليل ؟ قال : لا ، سنة المسلمين أحبُ إلي . أهـ .

أقول : هذا تنصيص من الإمام أحمد على أن سنة المسلمين في القرون الفاضلة تقديم القيام أول الليل . فأقل ما يقال في تأخير القيام أنه خلاف فعل الصحابة والتابعين ، وأما التأخير الراتب وتخصيصه بالعشر الأواخر أشد .

وذكر المروزي في قيام الليل عن عمران بن حدير رحمه الله : أرسلت إلى الحسن رحمه الله فسألته عن صلاة العشاء في رمضان أنصلي ، ثم نرجع إلى بيوتنا فننام ، ثم نعود بعد ذلك ؟ فأبى ، قال : لا ، صلاة العشاء ثم القيام .

قلت : فنص على أن القيام كان بعد العشاء وقبل النوم وهذا فعل السلف قاطبةً خلافاً للناس اليوم في العشر الأواخر .وأقل ما يقال في هذا التفريق أنه ليس من فعل السلف .

ثم ختم الباحث مقاله بقوله : أنه لا يجوز الخلط بين مقامين :

المقام الأول : الكلام على هذا الفعل هل هو فاضل أو مفضول ؟ الصواب الذي لا يدفعه منصف أن هذا الفعل وهو التفريق مفضولٌ ولا شك وذلك أن السلف لم يفعلوه على هذه الصورة.

المقام الثاني : مشروعية هذا الفعل بعد ثبوت حدوثه بعد زمن الصحابة.فمن أراد التعقيب فليظهر لنا على أي مقامٍ يتحدث وهل يرى أن هذا الفعل هو الأفضل .

والآن أرجع إلى موضوع البحث وهو أين تُصلى التهجد بعد عرض هذين القولين ، بناءاً على من أخذ بالرأي القائل بالجواز فأقول ومن الله أرجو العون والقبول :

هذه المسألة مع ظهور الحكم فيها - وهو أفضلية القيام فى البيوت - إلا أننى اكتب هنا ما ورد فى فضل صلاة النوافل فى البيوت وخصوصا فى الليل وذلك لما كثر

القيام فى المساجد ووصل الحال الى أن عامة المسلمين أصبحوا يظنون أن الصلاة فى هذه العشر الأواخر فى المساجد أفضل وكأن الذى لا يخرج الى الصلاة فى المسجد قد قصر فى شعيرة من شعائر الإسلام وهذا الاعتقاد من عامة المسلمين اليوم سببه انتشار ما يسمى بالتهجد فى غالبية المساجد ، وفى رأيي هذا فيه تفويت لفضائل كثيرة يأتى ذكرها ان شاء الله ، ولتوضيح هذه المسألة أقول ومن الله ارجو القبول :-

الصلاة فى العشر الأواخر فى البيوت أفضل لما يأتى :

- جميع الروايات التى ذكرت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم للنافلة ليلا تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلى شيئا منها فى المسجد وإنما صلى التراويح ليلتين فى المسجد ثم تركها خشية أن تفرض كما فى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : "**صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته أناس ثم صلى فى القابلة فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الثالثة أو الرابعة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال "قد رأيت الذى صنعتم ،فلم يمنعنى من الخروج اليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم** " قال وذلك فى رمضان ، متفق عليه . وقد سبق ذكره في المطلب السابق .

ويدل على ما ذكرنا من أن نوافله كانت فى البيت مارواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهاما قال "**صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم سجدتين قبل الظهر وسجدتين بعد الظهر وسجدتين بعد المغرب وسجدتين بعد العشاء وسجدتين بعد الجمعة ، فأما المغرب والعشاء ففى بيته** " . يقصد بالسجدتين ركعتين .

- لقد أرشدنا النبى صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فى البيوت ففى الحديث المشهور "فإن افضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة " ويستثنى من ذلك صلاة التراويح على قول الجمهور إلا مالكا فانه يرى أن صلاة التراويح الأفضل فى البيوت إن لم تعطل المساجد واستدل الجمهور على استحباب التراويح فى المساجد باجماع الصحابة حيث أن الصحابة فعلوا ذلك فى عهد عمر رضى الله عنه كما هو معلوم ومشهور .وبهذا يعلم أن القيام فى العشر الأواخر بعد الانتهاء من صلاة التراويح وهو ما يسمى بالتهجد و الأفضل فيه أن يكون فى البيوت لا فى المساجد وهو ما نود أن يفهمه العام والخاص من المسلمين ، إرجاعا للمسألة الى أصلها من أن النوافل لا تؤدى الا فى البيوت .

قد يقول قائل هناك نوافل تؤدى فى الجماعة سوى صلاة التروايح أقول نعم كصلاة العيدين والكسوف والخسوف وهذه إنما علمت بالأدلة الخاصة بها فاستثنيت من الأصل ، ولكن صلاة التهجد التى يصليها المسلمون اليوم فى المساجد تحتاج الى دليل خاص وبصورة أخص لأنها اصبحت كصلاة التراويح فى اجتماع الناس وقليل من يتخلف عنها حتى اصبح المتخلف عنها كأنما ترك شعيرة دينية لا يجوز تركها كما تقدم .

الصلاة فى العشر الأواخر فى المساجد تفوت مجموعة من الفضائل :

أولا : صلاة الرجل فى بيته فيها تعليم لأولاده وأهله معنى لا بد من الالتفات اليه وهو قيام الليل وخصوصًا إذا علم أن قيام الليل أصبح من السنن المهجورة طوال العام . فاذا صلى فى العشر الأواخر فى المسجد ظن أولاده ألا صلاة فى الليل إلا فى جماعة لأنهم يرون أباهم يصلى المغرب والعشاء والتراويح فى جماعة وكذا التهجد فى جماعة ، فمن

أين لهم أن يعلموا أن قيام الليل يستحب ان يكون فى البيت .وقد يقول قائل هذا الكلام غير مقبول .

أقول لقد زار جماعة من الصالحين أخا لهم فى الله فسألوا ابنه الصغير هل أنت تصلي ؟ فقال : لا ، فقالوا له ولم لا تصلى ؟؟؟ فقال : لأن ابى لا يصلى !! لاحظ : أبوه من الدعاة الى الله ، إلا انه كان يصلى جميع الصلوات فى المسجد حتى نوافله ، فلم ير هذا الولد أباه يصلى فى البيت قط فظن أنه لا يصلى .

ثانيا : أداء التهجد فى الجماعة يفوت على المسلم ايقاظ أهله وتطبيق سنة النبى صلى الله عليه وسلم لما ورد عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم **"لا يدع صغيرا ولا كبيرا يطيق القيام إلا أيقظه"** يعنى من أهل بيته ، والمقصود هو قيامه معهم ينشطهم على ذلك .

ثالثا : إن المراد من صلاة التهجد هو الخلوة بمناجاة الله بالصلاة فى تلك الساعة المباركة وقد يفتح الله عليه من الخشوع والتلذذ فى ركن من الأركان ما لا يفتح له فى غيره فعلى سبيل المثال قد يفتح الله له فى الخشوع فى القراءة ، وهنا عليه أن يسترسل ولا يقطع هذا الفتح بالركوع ، أو قد يفتح له فى الدعاء فى السجود فلا يقطع ذلك وهذا لا يتم له اذا كان يصلى فى الجماعة ، ولعل مثل هذه المعانى قلّ من يلتفت اليها وما ذاك إلا لأننا قد تعودنا على عادتين مذمومتين فى النوافل :-

إحداهما : تخفيف النافلة جدا حتى تعودنا ألا نقرأ فيها إلا السور القصيرة فاصبح الواحد منا يصلي النافلة فى ثلاث دقائق بل والبعض يصلي الركعتين فى دقيقة واحدة ، فأنى لمثل هذا أن ينتظر الإحساس بالفارق بين ركوع أو قراءة أو سجود وإنا لله وإنا اليه راجعون .

والأخرى : أداء السنن الرواتب كلها فى المسجد القبلية والبعدية فلا يكاد يطيل فيها لاستعجاله للخروج من المسجد بينما الأصل فى النوافل ان تصلى فىالبيوت كما تقدم.

رابعاً : تربية النفس على الإخلاص فى عبادة الله تعالى : لأن الرجل قد يذهب الى المسجد لصلاة التهجد بنية خالصة ولكن اذا مرت به آية فبكى عندها قد يتحول إخلاصه الى رياء حيث أنه قد يأتى فى نفسه رؤية الناس له وهو يبكى فيسترسل فى البكاء أو يفرح بذلك بينما قد يصلى فى بيته صلاة طويلة ولا يبكى لأنه ليس هناك ما يهيجه على البكاء من رؤية الناس له وما شابه ذلك ،فالأولى لمثل هذا الذى يبكي بحضرة الناس ولا يبكي عند خلوته أن يبكى على نفسه لفقدانه الإخلاص فى العمل .

خامسا : بصلاته التهجد فى بيته ينطبق عليه ما ورد الحديث "رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه " فيكون من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله" ، أقول فلو بكى مخلصا وهو مع الجماعة له أجر بكائه ولكن ليس له الأجر المخصوص من الإظلال تحت عرش الرحمن يوم القيامة المذكور فى الحديث لفقدانه عنصر الخلوة.

سادسا : تعويد النفس على الخلوة فى العبادة والبعد عن الناس فيكتسب بذلك أمرا هاما وهو أنه اذا انتهى رمضان رغب فى قيام الليل وحده فى الليل كما كان يقومه وحده فى العشر الأواخر ولكن اذا كان يصلى فى العشر الأواخر فى الجامع صعب على نفسه الاختلاء فى بقية الليالى غير العشر الأواخر ، وعلى وجه الخصوص أولئك الذين يقولون نحن ننشط أنفسنا بصلاة الجماعة ، نقول : وهل صلاة الجماعة هذه موجودة طوال العام !!! فان لم تكن موجودة دل ذلك على عدم النشاط فى بقية السنة على القيام فى البيت والله المستعان .

سابعا : من الفضائل التى يكتسبها بأدائه للتهجد فى بيته تطبيق سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى قراءته فى قيام الليل من الدعاء وسؤال الله الرحمة عند بعض الآيات والتعوذ من النار عند قراءته لبعض الآيات ، وهذا كله يفتقده بصلاته فى الجماعة لأن غالبية الأئمة ليس همهم القراءة بالتدبر وأنما همهم ختم القرآن وهذا مما يجعل البعض يقرأ قراءة سريعة لا يكاد هو ولا المأموم يتدبرها فضلا عن الدعاء عندها ، ويدخل فى هذا الباب أيضا تكرار بعض الآيات لشدة التأثر بها وهذا لا يكاد يفعله أحد فى صلاة الجماعة ، ثم إن هناك من الآيات ما يتأثر به هذا ولا يتأثر به ذاك ، فلما كان هذا الامر يختلف فيه الناس كان الأولى أن يصلى الرجل التهجد فى بيته.

ثامنا : من المكتسبات التى لها أثر فى تربية النفس وتهذيبها هو اختبار الانسان لنفسه فى مدى جديتها فى طلب الآخرة اذا كانت خالية ثم مدى صبرها على الطاعة فى تلك الخلوة وفى المثل المشهور "الموت مع الجماعة عرس" وهذا يعنى عدم احساس النفس بالأذى بالمصائب عندما تكون عامة ... **والآن هل انت ستحاسب وحدك أم مع الناس ؟؟ فما دمت ستحاسب وحدك فمن الآن تهيأ لهذا الحساب بالقيام بعمل لا يطلع عليه أحد إلا الله ولعلّ من أشد ما يُرغِّب الأنسان فى الخلوة بالنفس عند الطاعة قول الحق تبارك وتعالى (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** السجدة (16-17) ، قال المفسرون : أخفوا لله العمل فأخفى لهم الأجر . والله أعلم .

الفصل الثاني عشر

روحانيات صلاة الجماعة وفوائدها

المبحث الأول : التبكير هو أصل أصيل في روحانيات صلاة الجماعة .

المبحث الثاني : روحانيات الإنصات إلى قراءة الإمام في صلاة الجماعة .

المبحث الثالث : فوائد أداء الصلاة في الجماعة .

المبحث الأول

التبكير هو أصل أصيل في روحانيات صلاة الجماعة

قبل أن أتناول الكلام على أهمية التبكير للحضور إلى الصلاة في المساجد أقول : من أعظم روحانيات صلاة المسلم في بيت الله إحساسه بتشريف الله له حيث اختصه الله تعالى بإدخاله بيته ، ولكي أقرّب لك الصورة أسألك هذا السؤال : هل أنت تستطيع أن تُدخِلَ بيتك مَنْ لا تحبه ؟

والآن اقرأ هذه الآية الكريمة **(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)** التوبة (18).

قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى إنما يعمر مساجد الله دليل على أن الشهادة لعمار المساجد بالإيمان صحيحة لأن الله سبحانه ربطه بها وأخبر عنه بملازمتها . وقد قال بعض السلف : " إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا به الظن " .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)** متفق عليه .

وقال ابن رجب رحمه الله - في وصف الرجل المعلَّق قلبُه بالمساجد - : " فهو يحب المسجد ويألفه لعبادة الله فيه، فإذا خرج منه تعلَّق قلبه به حتى يرجع إليه، وهذا إنما يحصل لمن ملك نفسه، وقادها إلى طاعة الله، فانقادت له؛ فإن الهوى إنما يدعو إلى محبة مَواضِع الهوى، واللعب المباح أو المحظور، ومواضع التجارة واكتساب الأموال، فلا يَقْصُر نفسه على محبة بقاع العبادة إلا من خالف هواه، وقدَّم عليه محبةَ مولاه، فهو ممن قال الله تعالى فيهم: **(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)**[النور: 37].

وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (**لا يُوَطِّنُ الرجلُ المساجدَ للصلاة والذكر إلا تَبَشْبَشَ اللهُ به مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ كما يتبشبش أَهْلُ الغائب بغائبهم إذا قَدِم عَلَيْهِمْ**) أخرجه ابن ماجه والحاكم والطيالسي وأحمد وصححه الألباني .

وقد روي عن سعيد بن المسيب رحمه الله، قال: "من جلس في المسجد؛ فإنما يُجَالِس ربه عز وجل" .

ومن أعظم ما يعين على روحانيات صلاة الجماعة هو التبكير ولهذا جعلناه عنوانا لهذا المبحث وقد جمع أحد الباحثين - كنى نفسه بأبي بسملة - ثمرات وفوائد التبكير إلى المساجد وانتظار الصلاة - من النصوص - وقصد بذلك أن ينال المصلي الأجور العظيمة بتبكيره هذا ، وأنا رأيت أنها هي الأصل في حصول روحانيات الصلاة ، وإليك ما قاله :

1- فمنها أن منتظر الصلاة لا يزال في صلاة ما انتظرها ، قال عليه الصلاة والسلام (**لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا**

الصلاة) متفق عليه وفي رواية للبخاري : (لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة).

2- أن الذي ينتظر الصلاة تصلّي عليه الملائكة وتدعو له بالمغفرة والرحمة ما دام في مصلاه ما لم يحدث أو يؤذِ، قال عليه الصلاة والسلام (الملائكة تصلّي على أحدكم مادام في مصلاّه ما لم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه) متفق عليه .وفي رواية للبخاري (ما لم يحدث فيه وما لم يؤذ فيه).

3- أن انتظار الصلاة بعد الصلاة سبب في محو الخطايا ورفع الدرجات وهو من الرباط . قال عليه الصلاة والسلام : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟) قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : (إسباغ الوضوء على المكارة وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط) . رواه مسلم .

4- أن في التبكير إلى المسجد ضمانا لأدراك صلاة الجماعة التي تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة كما في حديث ابن عمر المتفق عليه .

5- أن المبكّر إلى المسجد يدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان : براءة من النار وبراءة من النفاق) رواه الترمذي وحسنه ابن مفلح و الألباني .

6- إدراك الصف الأول وما فيه من فضائل وفوائد : وإليك بعض الأحاديث: قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لأستهموا) متفق عليه . وقوله " يستهموا " أي يضربوا قرعة .

- وقال عليه الصلاة والسلام (**خير صفوف الرجال أوّلها وشرّها آخرها**) رواه مسلم . وقال أيضا (**إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدّم**). رواه النسائي ورواه ابن ماجه بلفظ (**الصف الأول**)وصححه الألباني.

- (**وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر للصف المقدّم ثلاثا وللثاني مرّة**) رواه أحمد وصححه الألباني.

7- إدراك ميمنة الصفّ وقد قال عليه الصلاة والسلام (إن الله وملائكته يصلون على ميامين الصفوف) رواه أبو داود . وحسنه ابن حجر في الفتح .

8- إدراك التأمين وراء الإمام في الصلاة الجهريه وفي ذلك فضل عظيم . قال صلى الله عليه وسلم (**إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين ، فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**) متفق عليه واللفظ للبخاري وفي رواية لهما (**إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه**).

9- إن المبكر إلى المسجد يتمكن من الإتيان بالنوافل المشروعة بين الأذان والإقامة المقيّد منها وهي راتبة الفجر والظهر والمطلق وهو ما دل عليه حديث: (**بين كل أذانين صلاة لمن شاء**) متفق عليه والمراد بين كل أذان و إقام. وحديث : (**ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان**) رواه ابن حبان وصححه الألباني . وغيرهما من الأحاديث .

10- إن المبادرة إلى الصلاة دليل على تعلّق القلب بالمسجد وقد قال عليه الصلاة والسلام : (**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه فذكر منهم: ورجل معلّق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه**) متفق عليه واللفظ لمسلم .

11- إن التبكير إلى المسجد وانتظار الصلاة سبب في حضور القلب وفي الصلاة وإقبال المرء على صلاته وخشوعه فيها - الذي هو لبّ الصلاة - وذلك انه كلما طال مكثه في المسجد وذكر الله زالت مشاغله ومعلقاته الدنيوية عن قلبه وأقبل على ما هو فيه من قراءة وذكر ، بخلاف المتأخر فان قلبه لا يزال مشغولا بما هو فيه من أمور الدنيا، ولذا فانك تلاحظ أن أوائل الناس دخولا المسجد واخرهم خروجا ، وأخرهم دخولا المسجد هم أوائلهم خروجا - في الغالب - و ما ذلك إلا لما ذكرته . وقد قال عليه الصلاة والسلام مبيّنا أهمية الخشوع وحضور القلب في الصلاة (**إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها ,سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها**) رواه احمد وحسّنه الألباني .

12- انه يتمكن من الدعاء: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ**). رواه الترمذي وصححه، وأبو داود، وصححه الألباني. وكذلك يتمكن من الإتيان بأذكار الصباح والمساء في وقت الفجر والمغرب .

13- إن من يأتي مبكرا - غالبا - يأتي إلى الصلاة بسكينة ووقار ، فيكون ممتثلا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف المتأخر فانه - غالبا - يأتي مستعجلا غير متصف بالسكينة والوقار قال عليه السلام : (**إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ، ولا تأتوها وانتم تسعون**) متفق عليه .

المبحث الثاني

روحانيات الانصات إلى قراءة الإمام في صلاة الجماعة

من أعظم مظاهر الخشوع في صلاة الجماعة الاستماع إلى كلام الله تعالى ، وهل تدمع العيون وترتجف القلوب إلا عند الاستماع إلى كلام الله تعالى ، ولذا قال تعالى **(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) سورة الأعراف (204).**

قال السعدي رحمه الله (هذا الأمر عام في كل مَنْ سمع كتاب اللّه يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يُتلى كتاب اللّه، فإنه ينال خيرا كثيرا وعلما غزيرا، وإيمانا مستمرا متجددا، وهدى متزايدا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب اللّه حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير. ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة، وغيرها) .اهـ .

وقال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) سورة الأنفال (2) .

محل الشاهد قوله تعالى (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) هذه إحدى صفات المؤمنين الصادقين الخمس ، قال المفسرون : قوله تعالى : **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا أي يقينا في الإذعان ، وقوة في الاطمئنان ، وسعة في العرفان ،**

ونشاطا في الأعمال ، ويطلق الإيمان في عرف الشرع على مجموع العلم والاعتقاد والعمل بموجبه وعلى كل منهما ، والقرائن تعيّن المراد ، وفيما رواه البخاري ومسلم في كتاب الإيمان من صحيحيهما شواهد صريحة في ذلك والعلم التفصيلي في الإيمان أقوى وأكمل من العلم الإجمالي .

مثال ذلك أن الإيمان بتوحيد الله تعالى لا يكمل إلا بمعرفة أنواع الشرك الظاهر والباطن التي تنافيه أو تنافي كماله ، ومنها ما هو أخفى من دبيب النمل ، وقد ورد في الدعاء المأثور " **اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم** " رواه ابن حبان والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وأبو يعلى وغيرهم من حديث أبي بكر رضي الله عنه وضعفه ابن حبان والبيهقي وحسنه وغيرهما .

ثم إن التأثر والبكاء في الصلاة إذا كان من خشية الله تعالى فمستحب مشروع ، وهو من صفات الخاشعين القانتين . عن عبد الله بن الشّخّير رضي الله عنه قَالَ : (**أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ** [القِدْر]) يَعْنِي يَبْكِي . صححه الألباني في "صحيح سنن النسائي" .

وأما البكاء في صلاة الجماعة فالناس على أربعة مراتب :

الأولى : من المصلين من يوجل قلبه وتفيض بالدمع عينه فهذا أكمل إن عمل بما بكى عنده من الآيات ، إذ المقصود العمل .

الثانية : أن يقع للمصلي المنصت للآيات التأثر بالقرآن والقشعريرة عند سماعه مع جمود العين عن البكاء من خشية الله تعالى فهذا محمود، ومع ذلك فإنه يعد مرتبة أدنى من المرتبة السابقة .

الثالثة : من المصلين من يوجل قلبه وتفيض بالدمع عينه ولكنه لا يسلم من آفة الرياء ولفت الأنظار إليه . فهذه ممقوت عند الله تعالى وقد حبط عمله . وفي الغالب أن هذا النوع يعجب بنفسه ويظن أنه قد دخل في زمرة أولياء الله الصالحين .

الرابعة : أن يسمع الآيات ولكنه غير منصت وغير ملفت لما يسمع بل عقله مشغول بأمور الدنيا ، فهذا مضيع لصلاته وهو أقرب إلى الرد .

بناءاً على ما سبق أقول وم الله أرجو العون والقبول :

من مظاهر روحانيات الانصات إلى قراءة: أن يقبل المصلي على الاستماع بحب وشغف شديدين ولعله قد يكون استماعه للآيات لأول مرة في حياته فيقع التأثر والبكاء .

ومن مظاهر روحانيات الانصات إلى قراءة: استشعرك أخي المصلي أنك المقصور بخطاب الله الودود دون غيرك لكي تحصل لك تلك المعاني المشار إليها .

ومما يعين على تلك الروحانيات[117] :

- **أن يقطّع الإمام قراءته آيةً آية**: وذلك أدعى للفهم والتدبر وهي سنة النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله عليه وسلم: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، وفي رواية: ثم يقف ثم يقول، «الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم»، وفي رواية: ثم يقف ثم يقول: «**ملك يوم الدين**» **يقطّع قراءته آيةً آية**) **رواه أبو داود رقم 4001 وصححه الألباني في الإرواء وذكر طرقه 60/2**). والوقوف عند رؤوس الآي سنّة وإن تعلّقت في المعنى بما بعدها.

117/ 33 سبباً للخشوع في الصلاة – للشيخ محمد صالح المنجد

- ترتيل القراءة وتحسين الصوت بها: كما قال الله عز وجل: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل:4]، وكانت قراءته صلى الله عليه وسلم (مفسرة حرفاً حرفًا) (مسند أحمد 294/6 بسند صحيح صفة الصلاة: ص: 105)، وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها (رواه مسلم) وهذا الترتيل والترسل أدعى للتفكر والخشوع بخلاف الإسراع والعجلة.

- ومما يعين على الخشوع أيضا تحسين الصوت بالتلاوة وفي ذلك وصايا نبوية منها قوله صلى الله عليه و سلم: «زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا» **أخرجه الحاكم 575/1 وهو في صحيح الجامع رقم (3581).** وليس المقصود بتحسين الصوت: التمطيط والقراءة على ألحان أهل الفسق وإنما جمال الصوت مع القراءة بحزن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**» **رواه إبن ماجه وهو في صحيح الجامع رقم (2202)**

- ومن التجاوب مع الآيات التأمين بعد الفاتحة وفيه أجر عظيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أَمَّنَ الإمام فأَمِّنُوا فإنه مَن وافق تأمِينُهُ تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه**» **رواه البخاري .**

- وهكذا التجاوب مع الإمام في قوله: "**سمع الله لمن حمده**" فيقول المأموم: "ربنا ولك الحمد" وفيه أجر عظيم فعن رفاعة ابن رافع الزرقي قال: (كنا يوما نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال: (**سمع الله لمن حمده**)، قال رجل وراءه: "ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه" فلما انصرف قال: «من المتكلم»، قال: "أنا"، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولُ) رواه البخاري.

فائدة فقهية : حكم البكاء في الصلاة : [118] ذكر أصحاب الموسوعة الفقهية مذاهب الفقهاء في المسألة، فقالوا:

1/ يرى الحنفية أن البكاء في الصلاة إن كان سببه ألما أو مصيبة فإنه يفسد الصلاة، لأنه يعتبر من كلام الناس، وإن كان سببه ذكر الجنة أو النار فإنه لا يفسدها، لأنه يدل على زيادة الخشوع، وهو المقصود في الصلاة، فكان في معنى التسبيح أو الدعاء، ويدل على هذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: أنه كان يصلي بالليل وله أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

وعن أبي يوسف أن هذا التفصيل فيما إذا كان على أكثر من حرفين، أو على حرفين أصليين، أما إذا كان على حرفين من حروف الزيادة، أو أحدها من حروف الزيادة والآخر أصلي، لا تفسد في الوجهين معا، وحروف الزيادة عشرة يجمعها قولك: أمان وتسهيل.

2/ وحاصل مذهب المالكية في هذا: أن البكاء في الصلاة إما أن يكون بصوت، وإما أن يكون بلا صوت، فإن كان البكاء بلا صوت فإنه لا يبطل الصلاة، سواء أكان بغير اختيار، بأن غلبه البكاء تخشعا أو لمصيبة، أم كان اختياريا ما لم يكثر ذلك في الاختياري، وأما إذا كان البكاء بصوت، فإن كان اختياريا فإنه يبطل الصلاة، سواء كان لمصيبة أم لتخشع، وإن كان بغير اختياره، بأن غلبه البكاء تخشعا لم يبطل، وإن كثر، وإن غلبه البكاء بغير تخشع أبطل، هذا وقد ذكر الدسوقي أن البكاء بصوت إن كان لمصيبة أو لوجع من غير غلبة أو لخشوع فهو حينئذ كالكلام، يفرق بين عمده

[118]/منقول من الشبكة الإسلامية

وسهوه، أي فالعمد مبطل مطلقاً، قل أو كثر، والسهو يبطل إن كان كثيراً، ويسجد له إن قل.

3/ وأما عند الشافعية، فإن البكاء في الصلاة على الوجه الأصح إن ظهر به حرفان فإنه يبطل الصلاة، لوجود ما ينافيها، حتى وإن كان البكاء من خوف الآخرة، وعلى مقابل الأصح: لا يبطل لأنه لا يسمى كلاما في اللغة، ولا يفهم منه شيء، فكان أشبه بالصوت المجرد.

4/ وأما الحنابلة فإنهم يرون أنه إن بان حرفان من بكاء، أو تأوه خشية، أو أنين في الصلاة لم تبطل، لأنه يجري مجرى الذكر، وقيل: إن غلبه وإلا بطلت، كما لو لم يكن خشية، لأنه يقع على الهجاء، ويدل بنفسه على المعنى كالكلام، قال أحمد في الأنين: إذا كان غالبا أكرهه، أي من وجع، وإن استدعى البكاء فيها كره كالضحك وإلآ فلا.

المبحث الثالث

فوائد أداء الصلاة في الجماعة

يقول الدكتور سعيد القحطاني :

صلاة الجماعة فيها فوائد كثيرة، ومصالح عظيمة، ومنافع متعددة شرعت من أجلها، وهذا يدل على أن الحكمة تقتضي أن صلاة الجماعة فرض عين، ومن هذه الفوائد والحكم التي شرعت من أجلها ما يأتي:

1/ **شرع الله - عز وجل - لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة**، منها ما هو في اليوم والليلة كالصلوات الخمس، ومنها ما هو في الأسبوع وهو صلاة الجمعة، ومنها ما هو في السنة متكرراً وهو صلاة العيدين لجماعة كل بلد، ومنها ما هو عامٌّ في السنة وهو الوقوف بعرفة؛ لأجل التواصل وهو الإحسان، والعطف، والرعاية؛ ولأجل نظافة القلوب، والدعوة إلى الله – عز وجل- بالقول والعمل.

2/ **التعبد لله تعالى بهذا الاجتماع**؛ طلباً للثواب وخوفاً من عقاب الله ورغبة فيما عنده.

3/ **التوادد، وهو التحاب**؛ لأجل معرفة أحوال بعضهم لبعض، فيقومون بعيادة المرضى، وتشييع الموتى، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين؛ ولأن ملاقاة الناس بعضهم لبعض توجب المحبة، والألفة.

4/ **التعارف؛لأن الناس إذا صلى بعضهم مع بعض حصل التعارف**، وقد يحصل من التعارف معرفة بعض الأقرباء فتحصل صلته بقدر قرابته، وقد يعرف الغريب عن بلده فيقوم الناس بحقه.

5/ **إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام**؛ لأن الناس لو صلوا كلهم في بيوتهم ما عرف أن هنالك صلاة.

6/ **إظهار عز المسلمين**، وذلك إذا دخلوا المساجد ثم خرجوا جميعاً، وهذا فيه إغاظة لأهل النفاق والكافرين، وفيه البعد عن التشبه بهم والبعد عن سبيلهم.

7/ **تعليم الجاهل**؛ لأن كثيراً من الناس يستفيد مما شرع في الصلاة بواسطة صلاة الجماعة، ويسمع القراءة في الجهرية فيستفيد ويتعلم، ويسمع أذكار أدبار الصلوات فيحفظها، ويقتدي بالإمام ومن بجانبه وأمامه فيتعلم أحكام صلاته، ويتعلم الجاهل من العالم.

8/ **تشجيع المتخلف عن الجماعة**، والقيام بإرشاده وتوجيهه، والتواصي بالحق والصبر عليه.

9/ **تعويد الأمة الإسلامية على الاجتماع وعدم التفرق**؛ فإن الأمة مجتمعة على طاعة ولي الأمر، وهذه الصلاة في الجماعة ولاية صغرى؛ لأنهم يقتدون بإمام واحد يتابعونه تماماً، فهي تشكل النظرة العامة للإسلام.

10/ **تعويد الإنسان ضبط النفس**؛ لأنه إذا اعتاد على متابعة الإمام متابعة دقيقة، لا يكبر قبله، ولا يتقدم ولا يتأخر كثيراً، ولا يوافقه بل يتابعه تعود على ضبط النفس.

11/ **استشعار المسلم وقوفه في صف الجهاد :** كما قال الله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ)** سورة الصف، الآية: 4]. فهؤلاء الذين صاروا صفّاً في الجهاد لا شك أنهم إذا تعودوا ذلك في الصلوات الخمس

سوف يكون ذلك وسيلة إلى ائتمامهم بقائدهم في صف الجهاد، فلا يتقدمون ولا يتأخرون عن أوامره.

12/ **شعور المسلمين بالمساواة وتحطيم الفوارق الاجتماعية**؛ لأنهم يجتمعون في المسجد: أغنى الناس بجنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا، فيشعر الناس بأنهم سواء، فتحصل بذلك الألفة؛ ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمساواة الصفوف حتى قال: (**ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم**) رواه مسلم .

13/ **تفقد أحوال الفقراء، والمرضى، والمتهاونين بالصلاة**؛ فإن الناس إذا رأوا الإنسان يلبس ثياباً بالية وتبدو عليه علامات الجوع رحموه، وأحسنوا إليه، وإذا تخلف بعضهم عن الجماعة عرفوا أنه كان مريضاً، أو عاصياً فينصحوه فيحصل التعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

14/ **استشعار آخر هذه الأمة بما كان عليه أولها**؛ لأن الصحابة كانوا يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم فيستشعر الإمام أنه في مقام الرسول صلى الله عليه وسلم ويستشعر المأموم أنه في مقام الصحابة – رضي الله عنهم- وهذا يعطي الأمة الحرص على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

15/ **اجتماع المسلمين في المسجد راغبين فيما عند الله من أسباب نزول البركات**.

16/ **يزيد نشاط المسلم فيزيد عمله عندما يشاهد أهل النشاط في العبادة، وهذا فيه فائدة عظيمة.**

17/ **تضاعف الحسنات ويعظم الثواب.**

18/ **في صلاة الجماعة نشر التآلف والتّواصل بين المسلمين من خلال الالتقاء المتكرّر للمُصلّين في المسجد**؛ فتنتشر الرَّحمة والمودة ومعرفة أخبار هؤلاء المُصلّين ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، كما وتتيح الصّلاة الفرصة للنّاس للحديث بشأن أمرٍ عامٍّ يخصُّ المُصلّين في هذا المسجد ووضع الحلول والتدابير له؛ فكان المسجد في عهد النّبي صلى الله عليه وسلم مكانًا للمشورة والرأي والقرار والعلم.

أقول : ومن الآداب المتعلقة بصلاة الجماعة :

1/ الاهتمام بتسوية الصفوف وترتيبها، وَسَدِّ الفراغ:

يتأكد في حق الإمام والمصلين الاهتمامُ بتسوية الصفوف واعتدالها؛ فعنأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**سووا صفوفكم؛ فإن تسوية الصف من تمام الصلاة**) رواه البخاري ومسلم. (**سَوُّوا صفوفكم**) . وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**لَتُسَوُّنَ صفوفكم، أو ليُخالِفَنَّ الله بين وجوهكم**) رواه البخاري ومسلم، والمراد بتسوية الصفوف: تعديلُها بجعل المناكب والأكْعُب متحاذية.ويتأكد في حق المصلين أيضًا: سَدُّ الفُرَج، والتَّراصُّ في الصفوف; فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتمُّ بذلك اهتمامًا بالغًا، مما يدل على عِظَم الأثر المترتب على تلك التسوية.

ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: أقيمت الصلاةُ فأقبل علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بوجهه، فقال: (**أقيموا صُفُوفَكم وتراصُّوا، فإني أراكم من وراء ظهري**) **ومعنى الحديث:** لاصِقوا الصفوف حتى لا يكون بينكم فُرَج ، فالمُراصَّة: التصاق بعض المأمومين ببعض، ليتصل ما بينهم، وينسدَّ الخللُ ولا يبقَى فرجات للشيطان. وليس معنى رَصِّ الصفوف ما يفعله

بعضُ عوامِّ المسلمين من المباعدة بين رجليه حتى يؤذيَ من بجواره، لأن هذه المباعدة بين الرجلين تُوجد فُرُجات، وتُحدِثُ خللاً الصفوف، وتُؤذي المصلين ، ولا أصل لها في الشرع.

2/ عدمُ القيام سراعًا بمجرد انقضاء الصلاة وتسليم الإمام: الجلوس بعد الصلاة وقد أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن الجلوس في المساجد بعد الصلوات من مُكَفِّرات الذنوب، ففي حديث اختصام الملأ الأعلى قال الله تعالى: **(يا محمد!، قلتُ: لبيك ربِّ، قال: فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هنَّ؟ قلت: مَشْيُ الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء في المكروهات)** رواه الترمذي.

3/ ومن الآداب الدعاء عند الخروج من المسجد :أن يلهج لسانه بالدعاء الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم : **(بِسمِ الله وَالصّلاةُ وَالسّلامُ عَلى رَسولِ الله، اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِك، اللّهُمَّ اعصِمْني مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم)**رواه مسلم وابن ماجه .

الفصل الثالث عشر

روحانيات صلاة الجمعة

المبحث الأول : خصائص يوم وصلاة الجمعة .

المبحث الثاني : آداب وروحانيات الحضور لصلاة الجمعة .

المبحث الأول

خصائص يوم وصلاة الجمعة

إن من أهم الأمور التي تعطي لروحانيات الجمعة أهميتها هو تعظيم صلاة الجمعة والاهتمام بها ومن ذلك الاهتمام : معرفة خصائص هذا اليوم المبارك : لذا كان لا بد أن يعلم المسلم ما خَصَّ الله تعالى به يوم الجمعة من خصائص لا توجد في يوم غيره من أيام الأسبوع وممن تكلم في هذا الموضوع ابن القيم والسيوطي رحمهما الله تعالى والأخير منهما استوعب ما كتبه الأول ، لان ابن القيم ذكر نحوا من عشرين خصوصية وأما السيوطي فذكر مائة خصوصية ليوم وصلاة الجمعة.

وما سأذكره هنا هو من كتاب (نور اللمعة في خصائص يوم الجمعة) للسيوطي بتحقيق طالب عواد،وسوف اقتصر على الخصائص التي ورد فيها حديث صحيح أو حسن لذاته أو حسن بشواهده بحسب ما ذكره المحقق ، وهذا من ناحية الدليل ، وناحية أخرى جعلتها ضابطا لاختيار الخصيصه وهي أن تكون من خصائص يوم الجمعة ، لان السيوطي رحمه الله ذكر خصائص متعلقة بصلاة الجمعة وهذه سيأتي ذكرها عند الكلام على آداب الحضور صلاة الجمعة في المبحث التالي .

وقبل الشروع في ذكر تلك الخصائص أنبه إلى أنني لم ألتزم بنقل كلام السيوطي بنصه من الكتاب المذكور بل هناك بعض الزيادات من كتب أخري كما لا يخلو النقل من التقديم والتأخير ، فاقول ومن الله أرجو العون والقبول:

الخصوصية الأولى: انه يوم عيد هذه الأمة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(إن هذا يوم عيد جعله الله تعالى للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل ، وان كان عنده طيب فليمس منه ،وعليكم بالسواك)** أخرجه ابن ماجه.

وللطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**(معاشر المسلمين، إن هذا يوم جعله الله عيدا لكم فاغتسلوا وعليكم بالسواك)** والحديث حسن وبشواهده.

ومعنى كون الجمعة عيدا لأن الله جعل للصوم عيدا وهو عيد الفطر ، وجعل للحج عيداً وهو عيد الأضحى، وكانت الجمعة عيداً أسبوعياً للصلاة أعظم أركان الإسلام فهي أولى بأن يجعل الله لها عيدا ، وإنما كان العيد لها أسبوعيا لأنها تتكرر كل يوم ، فلئن كان الصائم يفرح بإتمام رمضان والحاج يفرح بأداء الحج ففرح المصلي أولى ، **ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالغسل والتطيُّب احتفاءاً بهذا العيد.**والله اعلم.

الخصوصية الثانية : كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً:

لحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**(لا يصومن أحدكم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده).**

واخرج البخاري عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة ، فقال : **أصمت أمس؟** قالت : لا ، قال : (**وتريدين أن تصومي غدا ؟**) قالت لا، قال : (**فأفطري**).

قال النووي : الصحيح من مذهبنا وبه قطع الجمهور كراهة صوم يوم الجمعة منفردا ، وفي وجه أنه لا يكره إلا لمن لو صامه أضعفه من العبادة ، لحديث أحمد والترمذي والنسائي عن أبن مسعود(إن النبي صلى الله عليه وسلم قلما كان يفطر يوم الجمعة). وقيل أن صومه هذا كان موصولا بيوم الخميس.

والحكمة من كراهة صومه كما قال النووي : كره لأنه يوم شرع فيه عبادات كثيرة من الذكر والدعاء والقراءة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستُحب فطره ليكون أعون على أداء هذه الوظائف بنشاط من غير ملل ولا سآمة وهو نظير الحاج بعرفات فإن الأولى أن يفطر لهذه الحكمة.

قال السيوطي : والمختار عندي أن الحكمة من كراهة صومه مخالفة اليهود فإنهم يصومون يوم عيدهم يفردونه بالصوم فنهي عن التشبه بهم كما خولفوا في صوم يوم عاشوراء بصيام يوم قبله أو يوم بعده. أهـ

الخصوصية الثالثة : قراءة سورتي السجدة والإنسان في صبحها :

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة آلم تنزيل السجدة،وهل أتى على الإنسان) وجاء عند الطبراني عن ابن مسعود قال(يديم ذلك) أي يقرأ بهاتين السورتين كل جمعة . قيل : الحكمة في قراءتهما الإشارة إلى ما فيهما من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة لأن ذلك يقع خلال يوم الجمعة. وقال بعضهم الحكمة من ذلك هو أن يقرأ سورة فيها سجدة بمعني المقصود هو السجدة وليست سورة السجدة بعينها ويدل على ذلك ما أخرجه ابن عون أنهم كانوا يقرؤون في الصبح سورة فيها سجدة.

الخصوصية الرابعة : صبح يوم الجمعة أفضل الصلوات عند الله تعالى:

عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (**ما من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في جماعة ، وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفوراً له)** أخرجه البزار والطبراني و الحديث إسناده حسن .

وعند البيهقي مرفوعاً (**إن أفضل الصلوات عند الله الصبح يوم الجمعة في جماعة**) . وإسناده حسن .ولعل المراد - العلم عند الله – أن فجر الجمعة أفضل من سائر الصلوات في سائر الأيام عدا صلاة الجمعة ، وذلك لما ورد في تركها من الوعيد الشديد ، وهي لا تصح إلا في الجماعة وغير ذلك من خصائصها وآدابها مما سيأتي ذكره، وليس لصبح الجمعة شيء من تلك الآداب والخصائص فتكون هي أفضل صلاة بعد صلاة الجمعة وليس على الإطلاق.

الخصوصية الخامسة : قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة أو ليلتها :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**) . أخرجه الحاكم والبيهقي وإسناده صحيح .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء ويضئ له إلى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين)** ذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال " رواه ابن مردويه بإسناد لا بأس به ".

ولعل الحكمة من الحث على قراءة الكهف كل جمعة هو مناسبتها لما ورد من أن سورة الكهف تعصم قارئها من فتنة الدجال ، فعن أبي الجرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)رواه مسلم ،وفي رواية (من آخر الكهف) وفي مسلم أيضا (فمن أدركه - يعني الدجال - فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف) .

وأما قراءتها ليلة الجمعة فقد ورد في مسند فقد الدارمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق) هذا الأثر موقوف على أبي سعيد وهو صحيح، ولا يقال مثل هذا الكلام من الفضيلة لقارئ سوى هذه السورة سواء قرأها في الجمعة أو في ليلتها .

الخصوصية السادسة : تقرأ في ليلة الجمعة في صلاتي العشاء سور مخصوصة :

أخرج البيهقي في سننه عن جابر بن سمره قال (كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة : قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد ، وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون) والحديث صحيح بطرقه وشواهده ،ولعل في قراءة سورة الجمعة تذكير للناس بالاستعداد لصلاة الجمعة وتنبيه لهم باليوم الذي سيستقبلونه غدا والله اعلم.

الخصوصية السابعة : تحريم السفر يوم الجمعة قبل الصلاة :

قال العلامة بدر الدين بن جماعة رحمه الله :(يحرم على من لزمته الجمعة السفر بعد الزوال إلا أن يتمكن من أداء الجمعة في طريقه أو يتضرر بتخلفه عن الرفقة

هذا مذهب الثلاثة غير الحنفية)[119] أهـ . يعني أن مذهب المالكية والشافعية والحنابلة حرمة السفر بدخول وقت صلاة الجمعة غير الحنفية حيث إنهم ذهبوا إلى عدم كراهة السفر يوم الجمعة قبل الزوال فإنه في هذه الحالة لا يلزمه أن يشهد الجمعة ، لأنها تلزمه متي كان في البلد عند دخول الوقت وهو قد خرج قبل دخول الوقت.

وأورد السيوطي تحت عنوان (**الخصوصية الرابعة والأربعون : تحريم السفر فيه قبل الصلاة**) أثرا أخرجه ابن أبي شيبة عن حسان بن عطية قال (**من سافر يوم الجمعة دُعِيَ عليه أن لا يصاحب ولا يعان على سفره**) إسناده صحيح .

وأخرج الدينوري في المجالسة عن سعيد بن المسيب أن رجلا أتاه يوم الجمعة يودعه لسفره فقال له: (لا تعجل حتى تصلي) فقال: أخاف أن يفوتني أصحابي فكان سعيد يسأل عنه حتى قدم قوم فأخبروه أن رجله إنكسرت ، فقال سعيد إني كنت أظنه سيصيبه ذلك.

وأخرج الدينوري أيضا عن الاوزاعي قال كان عندنا صياد يخرج في الجمعة لا يمنعه أداء صلاة الجمعة من الخروج . أي إلى الصيد . فخسف به وببغله فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الأرض فلم يبق منها إلا أذناها وذنبها .

الخصوصية الثامنة: في يوم الجمعة تكفير للآثام :

والمراد أن التكفير يحصل في يوم الجمعة والسبب ليس مجرد اليوم وإنما أداء صلاة الجمعة فيه ، فلما كانت صلاة الجمعة في يوم الجمعة كفارة للآثام كانت هذه

119/ هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك – لابن جماعة - (337/1) .

الخصوصية لليوم ، والدليل على ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر) رواه ابن ماجة بإسناد صحيح .ورواه مسلم بلفظ (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر) وفي لفظ (كفارة لما بينهن) .

وهذا الحديث ظاهر في فضيلة صلاة الجمعة على الصلوات الخمس ، ويقول النووي في شرح صحيح مسلم (ما بين الجمعتين مكفِّر به والصلوات الخمس زائدة أو العكس وأما قوله في الكبائر (ما لم تُغْش الكبائر) لان الكبيرة لا يكفرها إلا التوبة النصوح أو فضل الله تعالى عند أهل السنة والجماعة.

الخصوصية التاسعة: من مات في يوم الجمعة أوفي ليلتها وُقِي فتنة القبر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر) أخرجه الترمذي وحسنه والبيهقي وغيرهما وفي لفظ (إلا برئ من فتنة القبر) وفي لفظ(إلا وقي الفتان) .

قال الحكيم الترمذي (وحكمته انه انكشف الغطاء عما له عند الله تعالى لان جهنم لا تسجر في هذا اليوم ، وتغلق فيه أبوابها ، ولا يعمل فيه سلطانها ما يعمل في سائر الأيام فإذا قبض الله فيه عبدا كان دليلا على سعادته وحسن مآبه ، وانه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر لان سببها انما هو تمييز المنافق من المؤمن) أهـ .

قلت: وينبغي أن لا يغيب عن بالك أيها المسلم أن هذا الحديث إنما ينطبق على من مات مسلما كما نص عليه؛ لأن البعض يسأل عمن يموت وهو ظاهر الكفر، فيظن أن الحديث يشمله، وكذلك يسأل البعض عمن مات وهو لا يصلي هل يشمله الحديث جوابه إن كان لا يجحد بوجوبها فهو يشمله لان المالكية والحنفية والشافعية ذهبوا إلى انه لا يكفر بترك الصلاة إلا أن يجحد بوجوبها ، فيكون بذلك من أصحاب الكبائر وهو داخل تحت المشيئة والله اعلم.

الخصوصية العاشرة : يوم الجمعة سيد الأيام :

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلِقَ آدم وفيه أُدخِل الجنة وفيه أُخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**) وأخرجه الحاكم بلفظ (**سيد الأيام يوما الجمعة**) الخ وفي رواية أبي داود زيادة : (**وفيه تيب عليه ، وفيه مات وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والأنس**) الحديث رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ وفي رواية عن أبى لبابة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله من يوم عيد الأضحى ، ويوم الفطر، وفيه خمس خلال فيه خُلِقَ آدم ، وفيه أُهبِطَ ، وفيه مات، وفيه ساعة لا يسال الله فيها العبد شيئا إلا أعطاه مالم يسال حراما، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا ارض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة**) .

وحول الحديث الأول الذي فيه إخبار بأن آدم عليه السلام أُهبِطَ من الجنة يقول أبو بكر بن العربي (الجميع . أي مما ذكر في الحديث . يعد من فضائل الجمعة ، وخروج

آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية والنسل وكذلك سبب وجود الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ، ولم يُخرَجْ منها طرداً، بل خرج لقضاء أوطاره ثم يعود إليها، وقيام الساعة سبب تعجيل جزاء النبيين والصديقين) أهـ

قلت : كلام ابن العربي رحمه الله فيه رد على من ظن أن هذه الأشياء المذكورة في الحديث مما وقع أو سيقع في يوم الجمعة إنما هي عبارة عن وعيد وتذكير ولا تعد من الفضائل التي انفرد بها يوم الجمعة.... والله اعلم.

الخصوصية الحادية عشرة : يوم الجمعة يسمي عند الملائكة بيوم المزيد :

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال (أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه؟ قال هذه الجمعة فُضِّلتَ بها أنت وأمتُك فإنَّ الناس لكم فيها تبع ، اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعوا الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد) قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال (إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيحاً فيه كثيب مسك ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله فيه ناسا من الملائكة وحوله منابر نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت، والزبرجد عليها الشهداء والصديقون ، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله: أنا ربكم قد صدقتم وعدي، فسلوني أعطيكم، فيقولون:ربنا نسألك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد) قال جبريل (فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير) . قال الألباني في صحيح التّرغيب والتّرهيب : حسن لغيره .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم ،فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون فيُبرِزُ الله لهم عرشه ويتبَّدى لهم في روضةٍ من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضه، ويجلس أدناهم – وما فيهم أدني – على كثبان المسك والكافور ،وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا). رواه الترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب .

الخصوصية الثانية عشرة : يوم الجمعة هو اليوم الذي أدخره الله لهذه الأمة :

عن أبى هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكُتَّابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، ثُمَّ هَذَا يَوْمِهِمُ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْهِمْ - يَعْنِي الْجُمُعَةَ - فَاخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ ، وَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ ، الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: (نحن الآخرون السابقون) أي الآخرون زماناً الأولون منزلة ، والمراد أن هذه الأمة وان تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يقضي بينهم وأول من يدخل الجنة) وفي حديث حذيفة عند مسلم (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق).

وقوله(ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم) المراد باليوم يوم الجمعة ، وبفرضه فرض تعظيمه... قال ابن بطال رحمه الله تعالى (ليس المراد يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن، وإنما يدل . والله

اعلم . على أنه فُرِضَ عليهم يوم من الأسبوع وتُرِك إلى اختيارهم ليقوموا فيه شريعتهم ، فاختلفوا في أي الأيام هو ولم يهتدوا إلى يوم الجمعة) ومال عياض إلى هذا القول واستدل بأنه لو فرض عليهم بعينه لقيل : فخالفوا بدل فاختلفوا).

وقال النووي رحمه الله تعالى : " يمكن أن يكونوا أُمروا به صريحا فاختلفوا هل يلزم تعيينه أم يسوغ لهم إبداله بيوم آخر ، فاجتهدوا في ذلك فأخطأوا "

قلت : كلام هؤلاء الأعلام راجع إلى كلام الفريقين من اليهود والنصارى في اختلافهم في الثبات على يوم الجمعة ومعرفة قدره من الإعظام والإجلال وقد أيد ابن حجر ما ذهب إليه النووي ، ولكن ليس هناك مجال لذكر ما عضد به كلام النووي رحمة الله على الجميع. وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم (**فهدانا الله له**) ففيه احتمالات أن تكون تلك الهداية عن طريق الوحي ويحتمل أن تكون عن طريق الاجتهاد ، وكلاهما جائز بالنظر إلى ما حصل من الأنصار في المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم . فقد روي ابن خزيمة في صحيحه وغيره عن كعب بن مالك قال (**كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة سعد بن زرارة**)وفي رواية عن ابن سيرين قال (**جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن تنزل الجمعة ، فقالت الأنصار : إن لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى كذلك، فهلم لنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلى ونشكره، فجعلوه يوم العروبة ، واجتمعوا إلى أسعد بن زراره فصلى بهم يومئذ، وأنزل الله بعد ذلك** **(إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)** الجمعة (9)

وكما رأيت أخي القارئ فهذا الأثر فيه دلالة على أن الهداية إلى تعظيم يوم الجمعة حصل بالاجتهاد أولاً ثم بالوحي ثانيا ، وجاء في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه وحذيفة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة**) ..

الخصوصية الثالثة عشرة : يوم الجمعة فيه ساعة الإجابة :

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فَسَأَلَ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ**) وأشار بيده يُقلِّلها . متفق عليه ، وعند مسلم (**أن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسال الله تعالى فيها خيرا إلا أعطاه إياه ، هي ساعة خفية**).

وعن أبى سلمة رضي الله عنه قال : سالت أبا سعيد الخدرى عن ساعة الجمعة فقال: سالت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : (**قد أُعلمِتُها ثم أُنسيتُها كما أنسيت ليلة القدر**) .

من هذه الأحاديث يثبت لنا شيئان :

الأول: أن يوم الجمعة فيه ساعة يستجيبُ الله فيها لمن سأل خيراً من الدنيا والآخرة وتلك الإجابة يسيرة على الله تعالى.

الثاني: أن ساعة الإجابة أُخفيتْ عنا كما أُخفِيَتْ ليلةُ القدر ، وذلك من باب الحث على العمل الصالح طوال اليوم طلباً لساعة الجمعة ، وطوال العشر الأواخر طلباً لليلة القدر.

بقي لنا أن نسأل هل ساعة الإجابة في يوم الجمعة معلومة أم لا ؟ للعلماء في ذلك أقوال كثيرة وأشهرها قولان :

القول الأول: ساعة الجمعة هي ما بين صعود الخطيب المنبر والي أن ينتهي من الصلاة:

والي هذا القول ذهب أبو موسى الاشعرى وابن عمر والشعبي وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال أيضا أبو بكر بن العربي والبيهقي بل قال النووي هو الصحيح بل الصواب. ودليلهم ما رواه مسلم في صحيحه عن أبى موسى الاشعرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تنقضي الصلاة**).

القول الثاني : ساعة الجمعة هي آخر ساعة قبل الغروب :

وهذا قول ابن سلام وأبى هريرة وعدد من الصحابة ، واليه مال ابن عبد البر ورجحه كثير من الأئمة كأحمد وإسحاق والطرطوشى من المالكية ، ودليلهم على ذلك ما رواه أصحاب السنن عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم(**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى إلا أعطاه إياه**) .فقال كعب: ذلك في كل سنة يوم ، فقلت بل في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة ،فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته فقال: قد علمت أي ساعة هي ؟ آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت: كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي**) وتلك الساعة لا يصلي فيها فقال (**ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم :من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت بلى ، قال هو ذاك**).

وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح إلى أبى سلمة بن عبد الرحمن " أن ناسا من الصحابة اجتمعوا فتذاكروا ساعة الجمعة ثم افترقوا فلم يختلفوا أنها أخر ساعة من يوم الجمعة " .

إشكال وجوابه :

أما الإشكال فهو : قوله في الحديث (**وهو قائم يصلى يسأل الله**) وجه الإشكال أن القولين اللذين مال إليهما الصحابة والائمة ليس فيهما وقت صلاة لأن وقت الخطبة يقتضي الإنصات ووقت آخر العصر ليس هو وقت صلاة.

وأما الجواب: يقول ابن حجر رحمه الله تعالى (وقد أجيب عن هذا الإشكال بحمل الصلاة على الدعاء أو على الانتظار ، ويحمل القيام على الملازمة والمواظبة ، ويدل على صحة هذا المعنى أن حال السجود أقرب إلى الإجابة ولم يذكره فدل ذلك على أن القيام هنا المواظبة كما في قوله تعالى (**إلا ما دمت عليه قائماً**) أهـ والقيام هو السعي الجاد في طلب الشيء .

الخصوصية الرابعة عشرة : الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فمن ذلك : عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَام ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ -أَيْ يَقُولُونَ قَدْ بَلِيتَ- قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ**

الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلام) . رواه أبو داود (1047) وصححه ابن القيم في تعليقه على سنن أبي داود (273/4) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (925).

وعن أبى إمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكثروا من الصلاة علي في كل يوم جمعة فمن كان أكثركم علي صلاة كان أقربكم مني منزلة) قال العجلوني في " كشف الخفا " : رواه البيهقي بإسناد جيد.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(أكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة)** . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس. وحسنه السيوطي.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(أكثروا الصلاة علي ، فإن الله وكل بي ملكا عند قبري ، فإذا صل علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك : يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة)** حسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (1530).

وقال الشافعي رضي الله عنه:(أحب كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل حال، وأنا في يوم الجمعة وليلتها أشد استحباباً).وقال السخاوى رحمه الله (فإذا عرفت هذا - يعني فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - فأكثر من الصلاة على النبي المختار ، والهج بذكرها في العشى والإبكار ، وخص يوم الجمعة فيها بمزيد من الأذكار ، لتلبس من ضيائها أصفى شعار، وتنال بها العز والافتخار ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم القرار) أهـ .

الخصوصية الخامسة عشرة: وقفة عرفة يوم الجمعة أفضل من غيره : قال السيوطي: من خمسة أوجه فيما ذكره القاضي بدر الدين ابن جماعة :

أحدها : موافقة النبي صلى الله عليه وسلم فان وقفته كانت وقفة يوم الجماعة وإنما يختار له الأفضل.

الثاني : أن يوم الجمعة فيه ساعة إجابة ، قلت: يعنى توافقه ساعة الإجابة يوم الجمعة مع دعاء عرفة وهو أقرب إلى الإجابة وهذا فيه تقويه لاستجابة دعاء الحجاج.

الثالث : أن الأعمال تشرف بشرف الأزمنة كما تشرف بشرف الأمكنة ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع فوجب أن يكون العمل فيه افضل .

الرابع : إذا كان يوم عرفه يوم الجمعة غفر الله لجميع أهل الموقف قيل له : قد جاء أن الله يغفر لجميع أهل الموقف مطلقا فما وجه تخصيص ذلك بيوم الجمعة في الحديث ، فأجاب بأن الله يحتمل أن يغفر لهم بغير واسطة ، وفي غيره بحب قومٍ لقوم.

وختاماً : ذكر ابن القيم: أنَّ فضل الوقوف بعرفة إن صادف يوم الجمعة من عشرة أوجه : قال رحمه الله والصواب : أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع ، ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام ، وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ، ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الأيام من وجوه متعددة :

أحدها : اجتماع اليومين اللذيْن هما أفضل الأيام .

الثاني : أنه اليوم الذي فيه ساعة محققة الإجابة ، وأكثر الأقوال أنها آخر ساعة بعد العصر ، وأهل الموقف كلهم إذ ذاك واقفون للدعاء والتضرع .

الثالث : موافقته ليوم وقفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرابع : أن فيه اجتماع الخلائق من أقطار الأرض للخطبة ، وصلاة الجمعة ، ويوافق ذلك اجتماع أهل عرفة يوم عرفة بعرفة ، فيحصل من اجتماع المسلمين في مساجدهم وموقفهم من الدعاء والتضرع ما لا يحصل في يوم سواه .

الخامس : أن يوم الجمعة يوم عيد ، ويوم عرفة يوم عيد لأهل عرفة ، ولذلك كُره لمن بعرفة صومه ، قال شيخنا أي: ابن تيمية : وإنما يكون يوم عرفة عيداً في حق أهل عرفة ؛ لاجتماعهم فيه بخلاف أهل الأمصار ؛ فإنهم إنما يجتمعون يوم النحر ، فكان هو العيد في حقهم ، والمقصود : أنه إذا اتفق يوم عرفة ويوم جمعة : فقد اتفق عيدان معاً .

السادس : أنه موافق ليوم إكمال الله تعالى دينه لعباده المؤمنين وإتمام نعمته عليهم ، كما ثبت في صحيح البخاري عن طارق بن شهاب قال : جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين آية تقرؤونها في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت ونعلم ذلك اليوم الذي نزلت فيه لاتخذناه عيداً قال : أي آية ؟ قال : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) المائدة(3) ، فقال عمر بن الخطاب : إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، يوم جمعة ، ونحن واقفون معه بعرفة .

السابع : أنه موافق ليوم الجمع الأكبر ، والموقف الأعظم يوم القيامة ؛ فإن القيامة تقوم يوم الجمعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه**).

الثامن : أن الطاعة الواقعة من المسلمين يوم الجمعة وليلة الجمعة أكثر منها في سائر الأيام ، حتى إن أكثر أهل الفجور يحترمون يوم الجمعة وليلته ، ويرون أن من تجرأ فيه على معاصي الله عز و جل عجل الله عقوبته ولم يمهله ، وهذا أمرٌ قد استقر عندهم ، وعلِموه بالتجارب ، وذلك لعظم اليوم وشرفه عند الله واختيار الله سبحانه له من بين سائر الأيام ، ولا ريب أن للوقفة فيه مزية على غيره .

التاسع : أنه موافق ليوم المزيد في الجنة ... وهو يوم جمعة ، فإذا وافق يوم عرفة كان له زيادة مزية واختصاص وفضل ليس لغيره .

العاشر : أنه يدنو الرب تبارك وتعالى عشية يوم عرفة من أهل الموقف ، ثم يباهي بهم الملائكة ... فبهذه الوجوه وغيرها فضلت وقفة يوم الجمعة على غيرها [120] .

تنبيه : قال السيوطي جاء في الحديث (**أفضل الأيام يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة**) . قلت : وقد ضعفه أهل العلم فقال ابن القيم رحمه الله - زاد المعاد (1 / 65) - " :

وأما ما استفاض على ألسنة العوام بأنها تعدل ثنتين وسبعين حجة : فباطل لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا عن أحد من الصحابة والتابعين والله أعلم .

وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في جزء " فضل يوم عرفة "" حديث " وقفة الجمعة يوم عرفة أنها تعدل اثنتين وسبعين حجة " حديث باطل لا يصح ، وكذلك لا يثبت ما روي عن زر بن حبيش : أنه أفضل من سبعين حجة في غير يوم جمعة " . انتهى

[120]/ زاد المعاد " (1 / 60 – 65) باختصار (نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب)

المبحث الثاني

آداب وروحانيات الحضور لصلاة الجمعة

إن هذه الآداب التي سأذكرها مأخوذة من الأحاديث النبوية ورتبتها على حسب حصولها في الواقع العملي ابتداءاً من الاغتسال قبل خروج المسلم من بيته وإلى استماعه للخطيب ، فمن تأدب بهذه الآداب واستحضر خصائص يوم الجمعة آنفة الذكر رزقه الله تعالى في يومه هذا من الروحانيات ما تقر به عينه ، وينشرح به صدره .

الأدب الأول :غسل الجمعة :

حكم الغسل يوم الجمعة سنة مؤكدة حتى قال بعض العلماء : " الامر بالاغتسال يوم الجمعة أمر مؤكد جدا أقوى من وجوب الوتر وقراءة البسملة في الصلاة " ولا شك أنه لا يريد الوجوب بمعناه الفقهي وإنما يريد تأكيد طلبه.

وأقول: مما يدل على هذا التأكيد في طلب الغسل أنه قد وردت الأحاديث التي بينت أجور من يصلي الجمعة وغالبا ما يُذكر الغسل كشرط أساسي لتحصيل ذلك الأجر، فمن ذلك حديث أوس بن أوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(مَن غسَّل واغتَسَل يومَ الجُمُعةِ، وبكَّر وابتَكَر، ومشى ولم يركَبْ، ودنا مِن الإمامِ، واستمَع، ولم يَلْغُ، كان له بكلِّ خُطوةٍ أجرُ عمَلِ سنَةٍ، صيامِها وقيامِها) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (496).

فانظر إلي هذا الثواب العظيم، الله تعالى يعطك بعدد خطواتك سنين كلها مليئة بالصيام والقيام ، إن طبَّقت ما اشتمل عليه الحديث من أعمال مطلوبة ومن بينها

الغسل وأيضاً المشي أولى من الركوب، وسيأتي شرح الحديث في الأدب الثالث إن شاء الله.

وأما وقت الغسل للجمعة فقد ذهب الجمهور إلي أنه يبدأ من طلوع الفجر إلى الزوال ولكن كلما كان قريبا من الخروج إلى الجمعة كان أفضل وذهب المالكية إلى أن الغسل المعتبر يشترط فيه أن يكون متصلا بالرواح إلي الجمعة فإن فَصَلَ المغتسلُ بين غسله ورواحه فصلا طويلا أو تغدى أو نام فإنه يعيد ذلك الغسل ولا يضر الفصل اليسير ، وأخيرا أقول ستأتي أحاديث كثيرة في فضل الغسل لاحقا .

الأدب الثاني : التطيُّب ولبس أحسن الثياب :

لما كانت الجمعة عيدا أسبوعيا أستحب الشارع فيها التجمُّل ولبس أحسن الثياب والتطييب إذ هي من التجمعات الكبيرة التي يستحسن الظهور فيها بمظهر حسن ، يدل على ذلك ما ورد سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر بما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يروح إلى المسجد ولا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت للامام إذا تكلم إلا غفر له من الجمعة إلى الجمعة الاخرى**) رواه أحمد والبخاري .

الأدب الثالث : التبكير إلي الجمعة :

وهو يبدأ عند الجمهور من أول النهار إلي خروج الإمام إلي الصلاة ، وذهب المالكية إلي أن التبكير يبدأ من الهاجرة أي قبل خروج الإمام بساعة ، وسبب الخلاف في ذلك ما ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح الساعة الأولى**

فكأنما قرب بدنه ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر) فجعل الجمهور هذه الساعة هي ساعات النهار وجعلها المالكية أجزاء من الساعة التي قبل الزوال وليست ساعة زمنية خلافا للجمهور ، والذي يهمنا هنا أن المبكر إلي الجمعة له هذا الأجر على قدر تبكيره.

قوله : **ثم راح :** دليل على أن الاغتسال مِن أجل حضور الجمعة. قال ابن عبد البر : وقد أجمع العلماء على أن مَن اغتسل بعد صلاة الجمعة يوم الجمعة فليس بمغتسل للسنة ولا للجمعة ، ولا فاعِل لِمَا أُمِر به . فَدَلّ ذلك على أن الغُسل للجمعة وشهودها لا لليوم . اهـ.

وقال ابن رجب : قوله : " **من اغتسل يوم الجمعة ، ثم راح** " يَدُلّ على أن الغُسل المستحب للجمعة أوّله طلوع الفجر ، وآخره الرواح إلى الجمعة " . ومن الفضائل ما سبق ذكره في حديث بن أوس وفيه **(مَنْ غَسَّل واغتسل وبكَّر وابتكر)**

وإليك شرح ما يحتاج إلى شرح :

يقول الخطابي رحمه الله:قوله عليه الصلاة والسلام (غسل واغتسل وبكر وابتكر). اختلف الناس في معناه : فمنهم من ذهب إلي إنه من الكلام المتظاهر الذي يراد به التوكيد ، ولم تقع المخالفة بين المعنيين لاختلاف اللفظين،وقال ألا تراه قال:(**ومشى ولم يركب**) ومعناهما واحد وإلى هذا ذهب الأثرم صاحب أحمد.

وقال بعضهم (غسَّل) معناها غسل الرأس خاصة ، وذلك لان العرب كانت لهم لمم وشعور ، وفي غسلها مشقة فأراد غَسْلَ الرأس من أجل ذلك وإلى هذا ذهب مكحول وقوله(**واغتسل**) معناه غسل سائر الجسد .

وقال الحافظ أبو بكر بن خزيمة من قال في الخبر غَسَّل واغتسل (بالتشديد معناه جامع فاوجب الغسل على زوجته أو أمته ، ومن قال (**غَسلَ**) بالتخفيف أراد غَسَلَ رأسه واغتسل فغسل سائر الجسد) .

الأدب الرابع : عدم تخطي الرقاب أثناء الخطبة:

والتخطي عبارة عن رفع الرجل رجله فوق كتف الجالس ليمر أمامه ، وهو نتيجة حتمية لمن يتأخر حتى يمتلئ الجامع سواء أن كان ذلك بعد صعود الإمام المنبر أو قبله بحسب حال الجامع الذي يصلي فيه، ولكن المراد هنا هو ما كان بعد صعود الخطيب المنبر أقول ذلك لان البعض يظن أن هذا التخطي ممنوع سواء كان الخطيب على المنبر أم لا وليس كذلك ، ولهذا أقول اتفق العلماء على كراهية تخطي الرقاب ولكن منهم من جعلها كراهة تحريمية وهم الجمهور وهم المالكية والشافعية والحنفية حيث ذهبوا إلى أنها كراهة تحريمية وذهب الحنابلة إلى أنها كراهة تنزيهية .

وأجاز الجمهور للداخل أن يتخطى رقاب الجالسين إن وجد فرجة بينهم لانهم قصروا في سدها وأسقطوا حقهم في ذلك.

ومما يدل على حرمة تخطي الرقاب ما ورد من الأحاديث في ذلك ، ولكن قبل إيراد بعضها نقول: إن كان الله قد أوجب استماع الخطبة فانه ينبغي أن يُمنع العبد عن التأخر في الحضور وعن إشغال الناس إذا تأخر فمن الناس من يأتي متأخرا ويتخطى الرقاب وكأنَّ له الحق في ذلك والبعض بلا حياء يظل يتخطى إلى أن

يزاحم الجالسين في الصف الأول وهو يظن أنه يأخذ أجر الصف الأول وهيهات فإن المسالة هنا بالتبكير لا بالمكان .

وأما الأحاديث التي تدل تحريم تخطي ارقاب : فمنها ما ورد عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه انه قال جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي صلي الله عليه وسلم يخطب فقال النبي صلي الله عليه وسلم (**أجلس فقد آذيت وآنيت**) صححه الألباني في صحيح أبي داود ، قوله(**آذيت**) أي آذيت الجالسين بتخطيك الرقاب ، وآنيت أي تأخرت في المجيء .وهذا الحديث هو عين ما يفعله كثير من الناس كما ذكرنا من التأخر وتخطي الرقاب . وتأمل ما جاء في الوعيد لأمثال هؤلاء ففي حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من (**من تخطي رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم**) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، ولذلك فقد كره أهل العلم ، أن يتخطى الرجل رقاب الناس يوم الجمعة وشددوا في ذلك.

قال ابن عبد البر في "التمهيد" (316/1) : " **وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتخطي يوم الجمعة : (آذيت) بيان أن التخطي أذى ، ولا يحل أذى مسلم بحال ، في الجمعة وغير الجمعة** " .

وقال النووي في "روضة الطالبين" (224/11) : " المختار أن تخطي الرقاب حرام ، للأحاديث فيه" .

الأدب الخامس : المشي إلى الجمعة وترك الركوب لغير المعذور:

وإنما كان المشي من آداب الذهاب إلى الجمعة لأنه أقرب إلى إظهار الذل لله تعالى وقد ذُكِرَ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه حج ماشيا وكان يقول (**إنه ينبغي للعبد أن يأتي إلى سيده ماشيا على قدميه**) فإذا كان هذا في الحج مع طول الطريق وعظم

المشقة، فمن باب أولى أن يظهر العبد عبوديته لله تعالى بالمشي كل جمعة إلى الجامع لأداء الجمعة، وقد سبقت الأحاديث الدالة على استحباب المشي ، ومنها ماسبق ذكره (**من غسل واغتسل**) وجاء فيه (**ومشي ولم يركب**) وذكرنا كلام الخطابي رحمه الله مِن أنَّ المراد هنا التوكيد .

وجاء عن يزيد بن أبي مريم رضي الله عنه قال : لحقني عبابة ابن رفاعة بن رافع رضي الله عنهما وأنا امشي إلى الجمعة فقال : " ابشر خطاك هذه في سبيل الله ،سمعت أبا عبس يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**مَنِ اغبرَّتْ قدماه في سبيل الله حرمهما الله عز وجل على النار**) رواه البخاري وأحمد وغيرهما .

الأدب السادس : الجلوس بالقرب من الإمام دون أن يفرق بين اثنين :

سبق الحديث الدال على استحباب القرب من الإمام قدر الاستطاعة في حديث (**ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ**) فهو في الأدب الثالث وهنا أردت أن أبين أن هذا القرب من الإمام يصحبه آدب أخر هو ألا يفرق بين اثنين وذلك لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إذا كان يوم الجمعة ، فاغتسل الرجل ، وغسل رأسه ثم تطيب من اطيب طيبه ولبس من صالح ثيابه ، ثم خرج إلى الصلاة ولم يفرق بين اثنين ، ثم استمع إلى الإمام غفر له من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام**) .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا**

تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى) رواه البخاري والنسائي في الكبرى واللفظ له .

ولعله يتبين لنا من الحديثين أن عدم التفريق بين الاثنين إنما هو خشية أن يشوش عليهما ، إذ الغالب أن من يدخل بعد بدء الخطيب في الخطبة أن يجد المكان ممتلئا فمثل هذا الأولى به أن يجلس حيث أنتهي به المجلس.

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح قوله (فلم يفرق بين اثنين) وقد نقل الكراهة عن الجمهور ، قال الزين ابن المنير : التفرقة بين اثنين يتناول القعود بينهما وإخراج أحدهما والقعود مكانه، وفي التخطي زيادة رفع رجليه على رؤوسهما أو اكتافهما ، وربما تعلق بثيابهما شي مما برجليه، وقد استُثْنِيَ من كراهة التخطي ما إذا كان في الصفوف الأول فرجة فاراد الداخل سدها فيغتفر له لتقصيرهم) أهـ مختصرًا.

الأدب السابع : أن يصلي شيئا من النافلة قبل صعود الخطيب المنبر :

الأصل في استحباب التنفل حتى يخرج الإمام أو أن يصلي المرء قدر طاقته ، ما رواه البخاري في حديث سلمان المذكور قبل قليل وفيه (ثم يصلي ما كتب له)، وجاءت روايات أخري في غير المسند والبخاري بلفظ (إن بدا له) (ما قُضِي له) ونحوهما.

ويقول ابن حجر وفي الحديث مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة لقوله (صلى ما كُتِبَ له) ثم قال (ثم ينصت إذا تكلم الإمام) دليل على تقدُّم تلك الصلاة للخطبة ، وقد بينه حديث أحمد (فإن لم يجد الإمام خرج صلى ما بدا له) أهـ

وهذا الوارد في الحديثين هو المأثور عن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ما تيسر، فمنهم من يصلي ثماني ركعات ، ومنهم من يصلي عشر ركعات ، ومنهم من يصلي أقل من ذلك ولهذا كان جمهور الأئمة متفقين على انه ليس قبل الجمعة سنة مؤقتة بوقت ولا مقدرة بعدد، وهذا مذهب مالك والشافعي واكثر أصحابه وهو المشهور من مذهب الإمام احمد، يعني ليست للجمعة سنة قبلية ولا لها عدد معين.

وذهبت طائفة من العلماء إلى أن للجمعة سنة قبلية ، فمنهم من جعلها ركعتين ، ومنهم من جعلها أربعا تشبيها لها بسنة الظهر ، والواقع أنه لم يَنقل أحدٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى في بيته قبل أن يخرج إلى الخطبة.

وخلاصة القول أن الجمعة ليست لها سنة قبلية كسائر السنن والرواتب المتعلقة بالصلوات الخمس ، وإنما للمسلم أن يصلي ما شاء عملا بما جاء في الترغيب في الصلاة عند دخول المسجد وقبل صعود الخطيب المنبر وهما الحديثان اللذان صدرت بهما الكلام والله اعلم .

الأدب الثامن: استقبال المأموم الخطيب:

يستحب للجالس لسماع خطبة الجمعة أن يستقبل الخطيب بوجهه فلا يعطيه جنبه الأيمن أو الأيسر أو قفاه يدل على ذلك ما رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال (**كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوي على المنبر استقبلناه بوجوهنا**) .

قال الترمذي رحمه الله تعالى : " والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم يستحبون استقبال الإمام إذا خطب وهو قول سفيان

الثوري والشافعي واحمد وإسحاق وغيرهم " أهـ . قلت وهو قول المالكية رحمة الله على الجميع.

قال المباركفوري رحمه الله تعالى (وهو قول الحنفية، قال القارئ في المرقاة : يستحب للقوم أن يستقبلوا الإمام عند الخطبة لكن الرسم اليوم انهم يستقبلون القبلة للحرج في تسوية الصفوف لكثرة الزحام ، ولا يلزم من استقبالهم للإمام ترك استقبال القبلة على ما يشهد الحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو يتحدث عن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد فقال **(فأول شي يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم)**أهـ

قلت: كل هذه الآثار دلت على استحباب استقبال المأموم للخطيب عند خطبته، وهذا يعتبر من الآداب التي تعلم بالفطرة ، لأنه لا يعقل أن تجلس إلى من يكلمك وانت تعطيه جنبك الأيمن أو الايسر أو قفاك وهذا في الكلام العادي الذي في كثير من الأحيان قد يكون لا قيمة له شرعاً ، فكيف بمن يذكِّرك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، شرحا وتفسيرا ، أو يذكر لك حكما شرعيا فأظن أن الفطرة تقول هذا أولى بأن تستقبله وتلتفت إليه وتنصت له، ومن هنا دل الحديث على أهمية استقبال الخطيب لأن الإنصات لا يكتمل إلا بالنظر إلى من يخاطبك ، وهو أصلا جاء إلى هذا الأمر أعني إلى طرح قضايا شرعية راجَعَ فيها الخطيب كُتُب أهل العلم وجهز نفسه لذلك فكان الأولى والأجدر بك أن تنتبه إليه جيدا بارك الله فيك والله اعلم.

الأدب التاسع : الاستماع إلى الخطبة وعدم الكلام في أثنائها:

سبق وأنْ ذكرت في المبحث السابق أن الاستماع إلى الخطبة واجب عند الجمهور إلا الشافعية وابن الماجشون من المالكية ذهبوا إلى أنه سُنَّة والحديث الذي ذكرته في الأدب السابق يبين عظيم أجر من يستمع(**من غسل واغتسل**) وجاء فيه (**فاستمع ولم يَلْغُ**) وكذلك الأحاديث التي سبق ذكرها في الأدب الثاني وجاء في بعضها (**ثم استمع إلى الإمام غُفِر له من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام**).

مع هذه الأحاديث التي ترغِّب في الإنصات إلى الإمام وردت أحاديث أخرى ترهب وتحذر تحذيرا شديدا من الكلام أو الانشغال بأي شي آخر عن الاستماع إلى الخطبة، ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من التلاعب بالسبحة أو السواك أو الالتفات يمينا وشمالا وغير ذلك مما يدل على عدم الإنصات للخطبة مثل هذا يخرج ولا جمعة له، واليك بعضا من الأحاديث التي تبين هذا الأمر:

1- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(**من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، والذي يقول له أنصت ليست له الجمعة**) [121].

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت**) رواه البخاري ومسلم .

[121]/ رواه أحمد والبزار، قال عنه السخاوي في الفتاوى الحديثية : برقم(حاشية 181) إسناده ضعيف وقال ابن حجر الفتح وله شاهد قوي في جامع حماد بن سلمة عن ابن عمر موقوفا .

قال المنذري : " قوله : لغوت : قيل معناه خيبت من الأجر ، وقيل : أخطأت وقيل بطلت فضيلة جمعتك ، وقيل صارت جمعتك ظهرا وقيل غير ذلك " .وقال ابن حجر قال الزين بن المنير: "اتفقت أقوال المفسرين على أن اللغو ما لا يحسن من الكلام "

ثم ذكر ابن حجر الأقوال في حكم من تكلم والخطيب يخطب : " قال العلماء معناه لا جمعة له كاملة للإجماع على إسقاط فرض الوقت عنه " ثم قال " وقد وقع عند احمد من رواية الأعرج عن أبى هريرة رضي الله عنه **(فقد لغوت ، عليك نفسك)** واستدل به على منع جميع أنواع الكلام حال الخطبة وبه قال الجمهور في حق من سمعها . أي الخطبة . وكذا الحكم في حق من لا يسمعها عند الأكثر".

3- ويدل على الوجوب في حق السامع ما ورد في الحديث من رواية على ابن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ : (**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، خَرَجَ الشَّيَاطِينُ يُرَبِّثُونَ النَّاسَ إِلَى أَسْوَاقِهِمْ ، وَمَعَهُمْ الرَّايَاتُ ، وَتَقْعُدُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ يَكْتُبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ : السَّابِقَ ، وَالْمُصَلِّيَ ، وَالَّذِي يَلِيهِ ، حَتَّى يَخْرُجَ الْإِمَامُ ، فَمَنْ دَنَا مِنَ الْإِمَامِ ، فَأَنْصَتَ ، واسْتَمَعَ ، وَلَمْ يَلْغُ ، كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ ، وَمَنْ نَأَى عَنْهُ ، فَاسْتَمَعَ ، وَأَنْصَتَ ، وَلَمْ يَلْغُ ، كَانَ لَهُ كِفْلٌ مِنَ الْأَجْرِ ، وَمَنْ دَنَا مِنَ الْإِمَامِ ، فَلَغَا ، وَلَمْ يُنْصِتْ ، وَلَمْ يَسْتَمِعْ ، كَانَ عَلَيْهِ كِفْلَانِ مِنَ الْوِزْرِ ، وَمَنْ نَأَى عَنْهُ ، فَلَغَا ، وَلَمْ يُنْصِتْ ، وَلَمْ يَسْتَمِعْ ، كَانَ عَلَيْهِ كِفْلٌ مِنَ الْوِزْرِ ، وَمَنْ قَالَ : صَهٍ ، فَقَدْ تَكَلَّمَ ، وَمَنْ تَكَلَّمَ ، فَلَا جُمُعَةَ لَهُ** " ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في السنن الكبرى .

محل الشاهد قوله (**وَمَنْ دَنَا مِنَ الْإِمَامِ ، فَلَغَا ، وَلَمْ يُنْصِتْ ، وَلَمْ يَسْتَمِعْ ، كَانَ عَلَيْهِ كِفْلَانِ مِنَ الْوِزْرِ**)لان الوزر لا يترتب علي مَنْ فَعَلَ مباحاً ولو كان مكروها كراهية تنزيه)أهـ مختصرا.

الفصل الرابع عشر

روحانيات صلاة العيدين والاستسقاء والكسوف

المبحث الأول : روحانيات صلاة العيدين والتكبير فيهما .

المطلب الأول : الفرح يوم العيد وأحكام التكبير فيه .

المطلب الثاني : روحانيات تكبير العيدين .

المبحث الثاني : روحانيات صلاة الاستسقاء .

المطلب الأول : أهمية الماء للحياة وللأحياء .

المطلب الثاني : الاستسقاء عند الأمم والشعوب .

المطلب الثالث : حكم وروحانيات صلاة الاستسقاء .

المبحث الثالث : روحانيات صلاتي الكسوف والخسوف .

المطلب الأول : الأحكام الفقهية لصلاتي الكسوف والخسوف .

المطلب الثاني : روحانيات صلاتي الكسوف والخسوف .

المبحث الأول

روحانيات صلاة العيدين والتكبير فيهما

المطلب الأول : الفرح يوم العيد وأحكام التكبير فيه.

المطلب الثاني : روحانيات تكبير العيدين .

تمهيد

أقسام النوافل : قال العلماء النوافل هي ما سوى الفرائض، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : نوافل تابعة للفرائض، وتسمى بالرواتب، وهي نوعان:

1/ مؤكدات : وهي اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.

2/ وغير المؤكدات : أربع قبل العصر، وركعتان قبل المغرب، وركعتان قبل العشاء.

القسم الثاني : النوافل غير الرواتب: وهي النوافل المطلقة أي أن يصلي المسلم متى ما شاء في غير وقتي الكراهة والتحريم وهي كثيرة منها: التنفل ما بين الظهرين وصلاة الضحى، والتنفل بين العشاءين .

القسم الثالث : السنن المؤكدة غير التابعة للفرئض : وهي العيدان، والوتر وصلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف وصلاة الخسوف .

وهذا الفصل قد تحديث فيه عن العديدين وصلاة الاستسقاء، وصلاة الكسوف وصلاة الخسوف، وسيأتي الحديث عنها عبر عدد من المباحث ،وقد خصصت هذا المبحث للكلام على روحانيات صلاة العيد في مطلبين كالتالي :

المطلب الأول : الفرح يوم العيد وأحكام التكبير فيه .

المطلب الثاني : روحانيات تكبير العيدين .

المطلب الأول

الفرح يوم العيد وأحكام التكبير فيه

لا تختلف صلاة العيد – في الجملة – عن بقية الصلوات ولكن أفردت الكلام على الروحانيات فيها لأن للمسلم في يوم العيد له حالتان : فرحه بالعيد ، والتكبير الخاص بالعيد .

الأولى : فرح المسلم بالعيد : [122]

لكل أمّةٍ مِن الأمَم عيدًا يأنسون فيه ويفرحون ،وهذا العيد يتضمَّن عقيدة هذه الأمة وأخلاقَها وفلسفةَ حياتِها، فمِن الأعيادِ ما هو منبثِق مِن الأفكارِ البشريّة البعيدة عن وحيِ الله تعالى، وهي أعيادُ العقائد غيرِ الإسلاميّة، وأمّا عيد الفطر وعيد الأضحى فقد شرعهما الله تعالى لأمّة الإسلام، قال الله تعالى: **(لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا)**[الحج:34]، روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عبّاس قال: "منسكًا أي: عيدًا" .[123]

وعيد الفطر وعيد الأضحى يكونان بعدَ ركنين مِن أركان الإسلام، فعيدُ الفِطر يكون بعدَ عبادةِ الصّوم وعيد الأضحى بعد عبادة الحجّ وبهذا تواترت النصوص الشرعية على حصر الأعياد الزمانية في الإسلام في عيدين حوليين هما الفطر والأضحى، لا ثالث لهما سوى العيد الأسبوعي يوم الجمعة، وأن ما سوى ذلك من الأعياد إنما هو محدث، سواء كان أسبوعياً أم حولياً أم قرنياً أم غير ذلك .

---

[122]/ منقول من مقال للدكتور بدر عبد الحميد هميسه - موقع صيد الفوائد - باختصار

[123]/ أخرجه ابن جرير في تفسيره (198/17)، وعزاه السيوطي في الدر (47/6) لابن أبي حاتم .

وهذا المعنى في العيد هو الوارد في السنة النبوية الصحيحة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر، وعندي جاريتان من الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعاث، قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يا أبا بكر، إنّ لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا**) متفق عليه .

فالعيد في معناه الديني شكر لله على تمام العبادة، والعيد في معناه الإنساني يومٌ تلتقي فيه قوة الغني، وضعف الفقير على محبة ورحمة وعدالةٍ من وحي السماء، عُنوانُها الزكاةُ، والإحسانُ، والتوسعة .

والعيد في معناه النفسي حدٌّ فاصلٌ بين تقييدٍ تخضع له النفسُ، وتَسكُنُ إليه الجوارح، وبين انطلاق تنفتح له اللهواتُ، وتتنبّه له الشهوات.

قال ابن عابدين : " سمّي العيد بهذا الاسم لأنّ لله تعالى فيه عوائد الإحسان، أي: أنواع الإحسان العائدة على عباده في كل عام، منها: الفطر بعد المنع عن الطعام، وصدقة الفطر، وإتمام الحج بطواف الزيارة، ولحوم الأضاحي وغير ذلك، ولأنّ العادة فيه الفرح والسرور والنشاط والحبور غالبًا بسبب ذلك" [124]

من روحانيات إظهار الفرح والسرور في العيد :

الحرص على الاغتسال والتطيب والتزين ولبس الجديد , عن نافع أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهم كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى. أخرجه مالك في

[124]/ حاشية ابن عابدين (165/2).

الموطأ. وقد نقل اتّفاق الفقهاء على استحباب الاغتسال للعيدين غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى : "**واتفق الفقهاء على أنّه حسنٌ لمن فعله**" .[125]

وقال ابن رشد رحمه الله تعالى: "**أجمع العلماء على استحسان الغسل لصلاة العيدين**" .[126]

ولذا يستحب التزين في العيدين في اللباس والطيب عند عامة الفقهاء ,فعن عبد الله بن عمر قال: أخذ عمر جبةً من استبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ! ابتع هذه، تجمل بها للعيد والوفود فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنّما هذه لباس من لا خلاق له**) . رواه البخاري. الشاهد قول عمر رضي الله عنه " تجمل بها للعيد والوفود " فهذه الجملة تدل على أن التجمل للعيد كان مطلوبا ومحبوبا لديهم .

من روحانيات إظهار الفرح والسرور في العيد : أن يهنئ المسلمون بعضهم بعضاً : عن جبير بن نفير قال: (**كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد، يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك**) .[127]

فالتهنئة بالعيد مما يزرع الود في قلوب الناس، لذا استحب الذهاب لصلاة العيد من طريق والرجوع من طريق حتى يستطيع المسلم تهنئة أكبر عدد من المسلمين .

---

[125]/ الاستذكار (11/7)

[126]/ بداية المجتهد (216/1).

[127]/ قال الإمام أحمد: إسناده جيد،وحسن الحافظ إسناده في الفتح (517/2)،وانظر أيضاً تمام المنة للألباني (ص354-356).

وها هنا ينبغي أن أنبه إلى أن بعض المسلمين يريد أن يمنع الناس من الفرح في العيد وفي هذا الموضوع تحدث الشيخ الطريري في مقال بعنوان (للعيد فرحة فلا تقتلوها) قال فيه : 128

العيد موسم الفضل والرحمة ؛ وبهما يكون الفرح ويظهر السرور ، قال العلماء: " إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين"، وشَرع النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره إظهار الفرح وإعلان السرور في الأعياد ، قال أنس رضي الله عنه : " قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : (**إن الله أبدلكم بهما خيراً منهما : يوم الأضحى ويوم الفطر**).

ففيه دليل على أن إظهار السرور في العيدين مندوب ، وأن ذلك من الشريعة التي شرعها الله لعباده ؛ إذ في إبدال عيد الجاهلية بالعيدين المذكورين دلالة على أنه يفعل في العيدين المشروعين ما يفعله أهل الجاهلية في أعيادهم من اللعب مما ليس بمحظور ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم – إنما خالفهم في تعيين الوقتين" .

ويبين هذا خبر عائشة - رضى الله عنها قالت : "**دخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنّيان بدفّين بغناء بُعاث ، فاضطجع على الفراش ، وتسجّى بثوبه ، وحول وجهه إلى الجدار ، وجاء أبو بكر فانتهرهما ، وقال : مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم وجهه ، وأقبل على أبي بكر ، وقال : دعهما ، يا أبا بكر إن لكل قومٍ عيداً وهذا عيدنا** ".

ومن مشاهد السرور بالعيد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ما فعله الحبشة ، حيث اجتمعوا في المسجد يرقصون بالدرق والحراب ، واجتمع معهم الصبيان حتى

---

[128]/ منقول من مقال للدكتور عبد الوهاب الناصر الطريري – موقع صيد الفوائد .

علت أصواتهم ، فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم ، ثم قال لعائشة : **(يا حُمَيْراء أتحبين أن تنظري إليهم)**، قالت : نعم ، فأقامها - صلى الله عليه وسلم - وراءه خدها على خده يسترها ، وهي تنظر إليهم ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يغريهم ، ويقول : **(دونكم يا بني أرفدة ، لتعلم يهود أن في ديننا فسحة ، إني بعثت بالحنيفية السمحة)** .

فهذه مشاهد الفرح بالعيد ومظاهر السرور والبهجة تقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيقرها ويحتفي بها .

ولكنك تعجب لتجاوز هذا الهدي النبوي المنير عند من يحاولون قتل أفراح العيد، والتضييق على مشاعر الناس، وكان ذلك يصدر في السابق من بعض الزُهّاد والعُبّاد، فروي عن بعضهم أنه رأى قوماً يضحكون في يوم عيد ، فقال : "إن كان هؤلاء تُقُبِّلَ منهم صيامهم فما هو فعل الشاكرين ، وإن كانوا لم يُتَقَبَّلْ منهم فما هذا فعل الخائفين"، وكان بعضهم يظهر عليه الحزن يوم العيد ، فيقال له : إنه يوم فرح وسرور ، فيقول : إنه لا يدري هل قُبِلَ صومه أم لا ؟ " (لطائف المعارف 376) .

ولئن صدر هذا من عُبّاد وزُهّاد عن حسن نية ، فإن مثله يصدر اليوم من بعض الغيورين وعن حسن نيةٍ أيضاً ، فيجعلون الأعياد مواسم لفتح الجراحات، والنُّواح على مآسي المسلمين، وتعداد مصائبهم، والتوجع لما يحل بهم، ويذكرونك بأن صلاح الدين لم يبتسم حتى فُتِحتْ بيت المقدس ، وينسون قوله - عز وجل - ممتناً على عباده "وأنه هو أضحك وأبكى"، ويتناسون أن لكل مقام مقالاً، ولكل مناسبة حالاً، وأن مآسي المسلمين ثمار مُرّة لخطايانا وأخطائنا (قل هو من عند أنفسكم)، ولن يكون علاجها بالوجوم والتحازن، ولكن بالرأي السديد والعمل الرشيد، والشجاعة

أمام الخطأ، ولو أنا قتلنا كل فرحة، وأطفأنا كل بسمة، ولبسنا الحزن، وتلفّعنا بالغم، وتدرعنا بالهم ما حرّرنا بذلك شبراً، ولا أشبعنا جوْعة، ولا أغثنا لهفة، وإنما وضعنا ضغثاً على إبالة .

وإن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان يستعيذ بالله من الهم والحزَن ، يعجبه الفأل، دائم البشر، كثير التبسم .

إننا بحاجة إلى أن نجعل من هذا العيد فرصة لدفق الأمل في قلوبٍ أحبطها اليأس، وأحاط بها القنوط ، وتبدّت مظاهر اليأس في صور شتى ، منها : سرعة تصديق كواذب الأخبار، ورواية أضغاث الأحلام ، وقتل الأوقات في رواية الإشاعات ، والتي هي أمانٍ تروى على شكل أخبار من مصادر موهومة تسمى موثوقة . وهكذا في سلسلة من الإشكالات التي تدل على التخبط بحثاً عن بصيص أمل في ظلمة اليأس .

المطلب الثاني

روحانيات تكبير العيدين

الله أكبر قولوها بلا وجل وزينوا القلب من مغزى معانيها

بها ستعلو على أفق الزمان لنا رايات عز نسينا كيف نفديها

الله أكبر ما أحلى النداء بها كأنه الري في الأرواح يحيها

يقول : الشيخ الدكتور : صالح بن حميد :

تكبيرٌ واحدٌ، ووجهةٌ واحدةٌ، وشُعورٌ واحدٌ بالبهجة والرِّضا والديانة والخُضوع لله ربِّ العالمين، في صورةٍ تتجلَّى فيها أسمَى معاني الخُضوع لله وعظمَته وجبرُوته، والإذعان والانقِيادُ له وحدَه عزَّ شأنُه، وجلَّ جلالُه، وتقدَّسَت أسماؤُه .

الله أكبر على ما هدانا، والله أكبر على ما أولانا، والله أكبر وأعظَم وأجلُّ.

تأمَّلوا – حفِظَكم الله – كلمات التكبير، وجمالَها، وجلالَها، ودُرَرها. تكبيراتٌ تلِي تكبيرات، تكبيراتٌ ممزوجةٌ بتوحيد الله وحمدِه وتسبيحِه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

زينةٌ وجلال، يجِد المُسلمُ فيها الراحةَ والفرحةَ والعزَّة والقوَّة. ترديدٌ ترتفعُ فيه الشعائِر، وتهتزُّ له المشاعِر، فتُحاطُ بهجةُ المسلمين وزينتُهم وفرحتُهم بهذا التكبير العظيم وهذا النداء إلى الوحدة الإسلامية الكُبرى.

التكبيرُ إعلانٌ لعظمَة الله، وإذعانٌ لكبريائِه في القلوب، وتتوجَّهُ إليه وحدَه، وتُقبِلُ النفوسُ على طاعتِه، وتحبُّه وتتوكَّلُ عليه وحدَه لا شريكَ له؛ فهو الكبيرُ الذي لا أكبرَ منه، الملكُ الذي كلُّ شيءٍ خاضِعٌ له، الرزاقُ الذي كلُّ نعمِه.

كبرياءٌ لله وتعظيمٌ يأخذُ بمجامِع القلوب، فيكونُ الدينُ كلُّه لله، ويكونُ العبادُ كلُّهم لربِّهم مُكبِّرين وخاضِعين، فيحصلُ لهم تعظيمُ ربِّهم في قلوبِهم.

الله أكبر من كل شيءٍ ذاتًا وقُدرةً وقدرًا، وعزَّةً ومنعَةً وجلالاً، هذه المعاني العِظام تُعطِي المؤمنَ الثقةَ بالله وحُسن الظنِّ به، فلا تقِفُ في حياته العقَبَات، ولا يخافُ من مُستقبَل، ولا يتحسَّر على ما فات.

فالله أكبر وأجلُّ وأرحَمُ من أن يترُك عبدَه المُتعلِّق به واللائِذَ بجنابِه، وكلما قوِيَ علمُ العبد ومعرفتُه بأن الله أكبر زادَت عنده الخشية والرَّهبة والتعظيم والمحبَّة وحُسن العبادة ولذَّة الطاعة.

ومما يستدعِي النظر، ويملأُ النفسَ ثقةً وطُمأنينةً: اقترانُ اسم العليّ باسم الكبير، كما قال – عزَّ شأنُه -: **(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)** [الحج: 62]، وقال - عزَّ شأنُه -: **(ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ)** [غافر: 12].

فهو العليُّ الكبير، لا مُعقِّب لحُكمه، يُعزُّ من يشاء، ويُذلُّ من يشاء، ويصطفِي من يشاء، عنَت له الوجوه، وذلَّت له الجِباه، وخضعَت له الرِّقاب، وتصاغَرَ عند كبريائِه كلُّ كبير.

وهذا الإيمانُ واليقينُ بكبرياء الله وعظمَته يجعلُ الألسِنةَ تلهَجُ بذكرِه وشُكره وحَمده والثناء عليه وتمجيده، وتقرعُ الجوارِح كلُّها لعظمَته عبادةً ومحبَّةً وتعظيمًا وإجلالاً وذُلاً وانكِسارًا.

وقد اختارَ الله هذه الجُملة (**الله أكبر**) وخصَّها بخصائص وأحكام ليست في غيرها من الألفاظ والجُمل، في كثرة ذِكرها، وتعدُّد أحوالها، وتنوُّع أحكامها، وعظيم آثارها، وما يترتَّبُ عليها.

فالتكبيرُ مشروعٌ في المواطِن الكِبار، والمواضِع العِظام، في الزمان والمكان والحال. مشروعٌ في كثرة الجُموع والمجامِع، وفي الجهاد، والنصر، والمغازي، استشعارًا لعظمة الفعل، واستِحضارًا لقوة الحال. التكبيرُ مشروعٌ لدفع شياطين الإنس والجنِّ، ولدفع النار. التكبيرُ شِعارُ المُسلمين في أذانهم، وصلواتهم، وأعيادهم، ومعارِكهم.

يقولُ الحافظُ ابن حجرٍ رحمه الله : "التكبيرُ ذكرٌ مأثورٌ عند كل أمرٍ مهُول، وعند كل حادثِ سُرور، شُكرًا لله تعالى، وتبرئةً له – عزَّ شأنُه – عن كل ما يَنسِبُ إليه أعداؤُه، تعالى الله عما يقولُ الظالِمون الجاحِدون علوًّا كبيرًا " .

الله أكبر : كلمةٌ عظيمةٌ، خفيفةٌ على اللسان، ثقيلةٌ في الميزان، يقولُها المُسلم في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، ويسمعها من الإمام والمُؤذِّن أكثر من مائة مرَّة، وتتردَّدُ في الأذكار عشرات المرات.

التكبيرُ هو شِعارُ الصلاة، وعند جماهير أهل العلم أن الصلاةَ لا تنعقِدُ إلا بلفظ التكبير، وفي الحديث: «مفتاحُ الصلاة الطُّهور، وتحريمُها التكبير، وتحليلُها التسليم».

والمُصلُّون في صلاة الجماعة يُكبِّرون بعد تكبير الإمام، وفي الحديث: (فإذا كبَّر فكبِّروا، ولا تُكبِّروا حتى يُكبِّر)، في مُتابعةٍ دقيقة، وانتِظامٍ عجيب، يقودُه التكبيرُ ويُنظِّمُه.

ومن هنا، شُرِع التبليغُ خلف الإمام إذا لم يبلُغ صوتُ الإمام جموع المأمومين، حتى يتمَّ انتِظامُ الجماعة خلف إمامهم.

الله أكبر : هو صوتُ المعركة، يُطلِقُه المُجاهِدون في سبيل الله في ساح الوغَى، فيشعرُون بعزَّة الله وقوَّته وكبريائِه ومعيَّته، فيستمِدُّون منه القوةَ والثباتَ والإخلاصَ والعزَّة.

الله أكبر : كلمةٌ صنعَت في تاريخ المُسلمين العجائِب، وبثَّت في أهلها من القوة ما استعلَوا فيه على كل كبيرٍ سِوى الله – عزَّ شأنُه، وجلَّ جلالُه -، تنطلِقُ من أفواه المُجاهدين وقلوبهم قويةً مُدويَّة، تتضاءَلُ أمامَها كبرياءُ كل مُتكبِّر، وعظمةُ كل مُتعاظِم، تعلُو على كل مظاهر الفساد والطُّغيان.

المبحث الثاني

روحانيات صلاة الاستسقاء

المطلب الأول : أهمية الماء للحياة وللأحياء .

المطلب الثاني : الاستسقاء عند الأمم والشعوب .

المطلب الثالث : حكم وروحانيات صلاة الاستسقاء .

المطلب الأول

أهمية الماء للحياة وللأحياء

لما كان الاستسقاء شرعا : هو الدعاء بطلب سقيا الماء من الله تعالى على صفة مخصوصة. أحببت أن أقف مع أهمية الماء للحياة والأحياء من خلال قول الله سبحانه وتعالى (**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**) سورة الانبياء- (30). **ذكر ابن كثير . يرحمه الله** . ما نصه : ... وقوله : (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**) أصل كل الأحياء ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي، وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ : (**كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ**) قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ : (**أَفْشِ السَّلَامَ وَأَطْعِمْ الطَّعَامَ وَصِلْ الْأَرْحَامَ وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ثُمَّ ادْخُلْ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**). رواه أحمد " . اهـ

وجاء في تفسير الجلالين رحم الله كاتبيه : ما نصه :(**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ**) النازل من السماء، والنابع من الأرض .(**كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**) نبات وغيره ، أي : فالماء سبب لحياته (**أَفَلا يُؤْمِنُونَ**) بتوحيدي ؟ . اهـ .

ويقول الدكتور محمد راتب النابلسي : (**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**) الحياة على وجه الأرض، حياة الإنسان، وحياة الحيوان، وحياة النبات، قوامها الماء، فالماء هو الوسيط الوحيد الذي يحمل الأملاح، والمواد الغذائية منحلةً فيه إلى الكائن الحي، ولولا الماء لما كان على وجه الأرض حياة . من منا يصدق، أنني وقفت عند رقمٍ أذهلني، أنه في كل ثانيةٍ حصراً، في كل ثانيةٍ تمضي، يهطل من السماء إلى الأرض على مستوى الكرة الأرضية، ستة عشر مليون طن من الماء .

وللدكتور زغلول النجار كلاماً علمياً رائعاً حول الآية الكريمة أنقل بعضه لأهميته :

1/ إن الله . تعالى . خلق كل صور الحياة الأرضية الباكرة في الماء؛ لأن الأوساط المائية في بدء خلق الأرض كانت أنسب البيئات لاستقبال الحياة , ودراسات بقايا الحياة في صخور الأرض تشير إلى أن الحياة المائية استمرت على الأرض قرابة 3360 مليون سنة (في الفترة من 3800 مليون سنة مضت إلى 440 مليون سنة مضت) قبل خلق أول نباتات على اليابسة .

2/ كذلك أثبتت دراسات علوم الأرض أن خلق النبات كان دوماً سابقاً لخلق الحيوان ، وأن عملية الخلق قد توجها الله . تعالى . بخلق الإنسان , وعلى ذلك فإن خلق النباتات البحرية كان سابقاً لخلق الحيوانات البحرية , وكذلك خلق النباتات الأرضية على اليابسة كان سابقاً لخلق الحيوانات على اليابسة , وكل ذلك كان سابقاً لخلق الإنسان، وهو المخلوق الذي كرمه الله . سبحانه وتعالى . فقال . عز من قائل . : (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**) (الاسراء:70).

والحكمة من ذلك جلية بينة واضحة؛ لأن الإنسان يعتمد في غذائه على كلٍ من النبات والحيوان؛ ولأن كلاً من الإنسان والحيوان يعتمد في غذائه على النبات؛ ولأن النباتات لعبت . ولا تزال تلعب . الدور الرئيسي في إمداد الغلاف الغازي للأرض بالأوكسجين الذي بدونه ما كانت حياة أي من الحيوان أو الإنسان ممكنة .

3/ يضاف إلى ذلك أن النبات الأخضر هو المصنع الرباني الذي تتخلق فيه الجزيئات العضوية اللازمة لبناء أجساد كل صور الحياة النباتية والحيوانية والإنسية، وذلك بواسطة الماء المقبل مع العصارة الغذائية المستمدة من الأرض , وثاني أوكسيد الكربون المستمد من الغلاف الغازي للأرض ، والطاقة المستمدة من الشمس

وعملية التمثيل الضوئي في النباتات الخضراء لا تتم في غيبة الماء ، الذي يتكون كل جزيء فيه من ذرتي إيدروجين ، وذرة أوكسجين واحدة ، والنبات يستمد الماء من العصارة الغذائية التي تمتصها جذوره من تربة وصخور الأرض ، ويستمد الطاقة من ضوء الشمس بواسطة الصبغة الخضراء التي أودعها الله . تعالى . في خلايا النبات والمعروفة باسم اليخضور ، والتي أعطاها الله سبحانه وتعالى القدرة على تحليل جزيء الماء إلى أيون من الإيدروجين يحمل شحنة كهربائية موجبة ،وأيون آخر من الإيدروكسيد يحمل شحنة كهربائية سالبة ، وباتحاد كل اثنين من أيونات الإيدروكسيد يتكون جزيء من الماء وذرة من ذرات الأوكسجين الذي ينطلق إلى الغلاف الغازي للأرض لتعويض ما تستهلكه بقية الكائنات الحية من هذا الغاز الضروري للحياة عن طريق التنفس .**وتتحد أيونات الإيدروجين الناتجة عن عملية تحلل الماء مع جزيئات ثاني أوكسيد الكربون الذي يستمده النبات من الجو المحيط به ليكون جميع أنواع الجزيئات العضوية اللازمة لبناء الخلايا الحية ، مبتدئاً بأبسطها ، وهو سكر العنب . الجلوكوز . وغيره من السكاكر والنشويات . الكربوهيدرات منتهياً إلى البروتينات والزيوت ، والدهون ، ومركبات ذلك من الأحماض الأمينية ،والأحماض النووية التي تكتب بها الشفرة الوراثية لكل كائن حي . من هنا يتضح أن الماء ضروري لبناء أجساد كل الكائنات الحية** ،كما أنه ضروري لمساعدتها على الاستمرار في القيام بمختلف نشاطاتها ومظاهرها الحيوية .

4/ أن الماء أعظم مذيب يعرفه الإنسان، ولذلك يشكل الوسط المذيب للعديد من العناصر والمركبات التي يقوم بنقلها من تربة وصخور الأرض إلى مختلف أجزاء النبات ، ومن الطعام إلى مختلف أجزاء جسم كلٍ من الإنسان والحيوان، وذلك بما له من درجة عالية من اللزوجة والتوتر السطحي ، وخاصية شعرية فائقة .

المطلب الثاني

الاستسقاء عند الأمم والشعوب

كتب الشيخ الدكتور إبراهيم بن محمد الحقيل [129] حول هذا الموضوع عددا من المقالات وقد أفاد فيها وأجاد وأنا أختصرت كلامه هنا بما يناسب المقام في هذه النقاط :

1/ كيف كانت الشعوب تستسقي :

لأهمية الماء في حياة البشر وبقائهم؛ ولعلمهم أن السقيا من الله تعالى، وأنه سبحانه ينزل المطر أو يمسكه تتابع البشر على الاستسقاء؛ فاستسقى الأنبياء وأتباعهم، واستسقى المحرفون لأديانهم من أهل الكتاب، كما استسقى المخترعون لأديانهم من عباد الأوثان؛ فأهل الجاهلية من العرب كانوا يعرفون الاستسقاء، وعرفت لهم نار سميت نار الاستسقاء، فكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، واشتدّ الجدب، واحتاجوا إلى الأمطار؛ يجمعون لها بقرا، يعلقون في أذنابها وعراقيبها السَّلَع والعُشَر – وهما نوعان من النبات - ويصعدون بها إلى جبل وعر، ويشعلون فيها النار، ويضجّون بالدعاء والتضرّع. وكانوا يرون ذلك من الأسباب المتوصّل بها إلى نزول الغيث. قال ابن الكلبي: " وإنما يضرمون النار تفاؤلا للبرق. وأجدبت قريش في جاهليتها فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستسقي لهم، فاستسقى لهم فسُقوا" وخبر ذلك مخرج في الصحيح، وبوب عليه البخاري فقال: باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط.

---

[129]/ موقع ملتقى الخطباء .

وفي مجتمعات وثنية كثيرة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وجنوب الكرة الأرضية كانوا يستسقون برقصات وأهازيج يطلبون بها السقيا من الله تعالى، حتى عرفت برقصات المطر.

وفي الشرق الوثني اعتقادات أخرى غريبة وكثيرة للاستسقاء. وغرائب الاستسقاء عند الأمم أكثر من أن تحصر، لا يجمعها إلا أن أربابها يطلبون السقيا بما يعتقدونه عبادة تجلبها.

2/ كيف يستسقي أهل الكتاب :

وأما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فإنهم يعرفون الاستسقاء، وجاءت به رسلهم عليهم السلام، قال الله تعالى (**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ**) [البقرة:60] فيستسقون بصلاتهم ودعائهم منفردين في كنائسهم ومعابدهم بحسب ما في دينهم المحرف. وكان أهل الذمة منهم يحضرون الاستسقاء مع المسلمين، ولكثرة خروجهم للاستسقاء مع المسلمين نص الفقهاء على هذه المسألة وحكمها، قال الإمام الخرقي رحمه الله تعالى: وَإِنْ خَرَجَ مَعَهُمْ أَهْلُ الذِّمَّةِ لَمْ يُمْنَعُوا، وَأُمِرُوا أَنْ يَكُونُوا مُنْفَرِدِينَ عَنْ الْمُسْلِمِينَ.

ولما بعث الله تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام أرشد الأمة إلى الاستسقاء، وعلمهم إياه، وفعله أمامهم في صور عدة:

فاستسقى صلى الله عليه وسلم في دعاء خطبة الجمعة، ورفع يديه في استسقائه؛ ولذا خص دعاء الاستسقاء برفع اليدين في خطبة الجمعة دون سائر الدعاء فيها؛ لورود الأثر به.

3/ ما تحتويه استسقاءات الأمم من دلائل :

إن تتابع البشر على الاستسقاء له دلالات عظيمة ينبغي للمؤمن أن يفطن لها ويقف عندها؛ ليدرك عظمة الاستسقاء:

فمن تلكم الدلالات: اندحار الإلحاد والملحدين؛ فإن تتابع الأمم على الاستسقاء فيه إقرار الخلق بالله تعالى، واعترافهم بفقرهم إليه سبحانه، وبقدرة الله تعالى على إنزال المطر وإنبات الزرع.

والعجيب أنه في الحقبة الشيوعية لما نشر الشيوعيون إلحادهم في الأرض، أجدبت بعض البلدان الشيوعية فذل الشيوعيون تحت وطأة الحاجة للمطر وسمحوا للمسلمين بالاستسقاء، وكان عتاة الملاحدة منهم يسخرون من استسقائهم، فلما سُقيت البلاد بدعوتهم؛ كان الغيث المبارك منقذا للقلوب من الإلحاد، وللأرض من الجفاف، فأقبل الناس على دين الله تعالى أفواجا، وسقط الإلحاد والملاحدة.

ومن دلالات تتابع الأمم على الاستسقاء: أن الله تعالى يسقيهم باستسقائهم ولو كانوا محرفين لدينهم كأهل الكتاب، أو مخترعين له كالوثنيين؛ لأنهم مضطرون، ودعاء المضطر مجاب ولو كان كافرا؛ ولأن الله تعالى كفل أرزاق العباد مؤمنهم وكافرهم، والماء من أعظم الرزق وأهمه لكل البشر، وهذا من رحمة الله تعالى ليبقى الجنس البشري ولا يفنى. فليست سقيا الكفار إذا استسقوا دليلا على صحة دينهم، بل دليل على أنهم مضطرون، وقال تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) [النمل:62].

ومن دلالات تتابع الأمم على الاستسقاء: أن الناس مفطورون على الهرع إلى الله تعالى في الشدائد والملمات، والتقرب له بأنواع القربات، فحري بأهل الإيمان أن يعرفوا الله

تعالى في رخائهم، ويكثروا من دعائه كما جاء في الحديث (**تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وفي الحديث الآخر قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ)**[130]. **ومن دلالات تتابع البشر على الاستسقاء:** ما هديت له هذه الأمة المباركة من صور الاستسقاء الصحيحة، التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، ونقلها عنه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وتتابعت الأمة على نقلها حتى وصلتنا بلا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، فنحمد الله تعالى إذ هدنا للإسلام، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، فنستسقيه سبحانه بما رضيه لنا شرعا في الاستسقاء.

ومن دلالات تتابع الأمم على الاستسقاء: أن الله تعالى يسقيهم باستسقائهم ولو كانوا محرفين لدينهم كأهل الكتاب، أو مخترعين له كالوثنيين؛ لأنهم مضطرون، ودعاء المضطر مجاب ولو كان كافراً؛ ولأن الله تعالى لما خلق العباد كفل أرزاقهم؛ مؤمنهم وكافرهم، والماء من أعظم الرزق وأهمه لكل البشر، وهذا من رحمة الله تعالى ليبقى الجنس البشري ولا يفنى. فليست سقيا الكفار إذا استسقوا دليلا على صحة دينهم، بل دليل على أنهم مضطرون، والله تعالى يقول (**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**) [النمل: 62].

[130]/ رواه الترمذي والحاكم، قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي، وقال الألباني (حسن) حديث 6290 في صحيح الجامع.

المطلب الثالث

حكم وروحانيات صلاة الاستسقاء

1/حكم صلاة الاستسقاء : سنة مؤكدة على الرجال والنساء عند الحاجة للماء، ويسن الاستسقاء جماعة، ويصح منفرداً، ويسن بصلاة، ويصح بدون صلاة، ويسن في الصحراء، ويصح في المسجد، ويسن في خطبة الجمعة، ويصح في غيرها.وأداؤها جماعة في الصحراء أفضل وأبلغ في الخشوع، وأقرب إلى التواضع.

عَنْ عَبْدِاللهِ بن زَيْدٍ المَازِنِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **(خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى المُصَلَّى يَسْتَسْقِي، وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَقَلَبَ رِدَاءَهُ)**. متفق عليه.

2/ روحانيات الخروج للاستسقاء : من خلال كل ما تقدم أستطيع أن أشير إلى بعض روحانيات صلاة الاستسقاء :

من روحانيات الخروج للاستسقاء: استشعار نعمة الماء فيض من أكبر نعم الله على عباده، وهي تستلزم دوام شكر العباد لربهم، وتأخر نزول المطر إنما هو ابتلاء من الله لعباده؛ ليرجعوا من الذنوب والمعاصي إلى الطاعات والتوبة والاستغفار.

وفي حبس الماء عن الخلق تذكير لهم بحاجتهم الماسة على الدوام لربهم في خلقهم وبقائهم، وفي حفظهم وإمدادهم.

ومن رحمة الله أن شرع لهم من الصلاة والدعاء ما يستجلبون به الغيث ممن يملكه، ويملك التصرف فيه، بإقرارهم بكمال غناه، وشدة حاجتهم إليه.

ومن روحانيات الخروج للاستسقاء: قال العلماء : يسن أن يخرج المسلمون لصلاة الاستسقاء رجالاً ونساءً وأطفالاً متبذّلين، متواضعين، متضرعين، متذللين، بخضوع وخشوع، مع إظهار الافتقار التام لله عز وجل حالاً ومقالاً. ولهذا لا يشرع لصلاة الاستسقاء التجمل والزينة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **(إِنَّ رَسُولَ خَرَجَ مُتَبَذِّلاً مُتَوَاضِعاً مُتَضَرِّعاً حَتَّى أَتَى الْمُصَلَّى فَلَمْ يَخْطُبْ خُطْبَتَكُمْ هَذِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّكْبِيرِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَمَا كَانَ يُصَلِّي فِي الْعِيدِ)**. أخرجه أبو داود والترمذي.

3/ شرح بعض ما ورد من أدعية الاستسقاء :

1- عنْ عَائِشَةَ رَضِي الله عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ؟ وَحَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ثمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ» ثمَّ قَالَ: صلى الله عليه وسلم **(الْحَمْدُلله رَب الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ اللهمَّ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْث وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلاَغاً إِلَى حِينٍ)** ثمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبطَيْهِ ثمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذنِ الله فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الكِنِّ ضَحِكَ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذهُ، فَقَالَ: **(أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ). أخرجه أبو داود.**

2- عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا في الاستسقاء فقال : (اللهم اسقِنا غيثًا مغيثًا، مَريئًا مريعًا، نافعًا غير ضارٍّ، عاجلًا غير آجل)، **قال: فأطبقت عليهم السماء. أخرجه أبو داود.**

شرحه : قوله: (غيثاً) أي: مطراً. (مغيثاً) من الإغاثة، وهي الإعانة.(مريئاً) أي: هنيئاً صالحاً؛ كالطعام الذي يمرؤ، ومعناه: الخلو عن كل ما ينغصه كالهدم والغرق... ونحوهما.(مريعاً) أي: مخصباً ناجعاً، من قولهم: أمرع المكان إذا أخصب، وإذا جُعل من المراعة فُتحت ميمه، وعلى هذا الوجه فسره الخطابي، ويقال: مكان مريع؛ أي: خصيب.

3- (اللهمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَحْيِ بَلَدَكَ المَيِّتَ). أخرجه مالك وأبو داود.

4- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يخطب، فاستقبَل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قائمًا، ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادعُ الله يُغِثْنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا) رواه مسلم .

5- شريك بن عبدالله بن أبي نمرٍ، أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلًا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يخطب، فاستقبَل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكتِ المواشي، وانقطعت السبل، فادعُ الله يُغيثُنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، فقال : (اللهمَّ اسْقِنَا، اللهمَّ اسْقِنَا، اللهمَّ اسْقِنَا) أخرجه البخاري.

6- أخرج الشافعي في كتابه الأم من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استسقى، قال: (**اللهم اسقِنا غيثًا مغيثًا، هنيئًا مريئًا، مريعًا غدَقًا، مجلِّلاً عامًّا، طبقًا سحًّا دائمًا، اللهم اسقِنا الغيث، ولا تجعَلْنا من القانطين، اللهم إن بالعباد والبلاد والبهائم والخَلْق من اللأواءِ والجَهد والضنك ما لا نشكو إلا إليك، اللهم أنبِتْ لنا الزرع، وأدِرَّ لنا الضرع، واسقِنا من بركات السماء، وأنبِتْ لنا من بركات الأرض، اللهم ارفع عنا الجَهدَ والجوع والعُرْيَ، واكشف عنا مِن البلاء ما لا يكشفه غيرُك، اللهم إنا نستغفِرُك إنك كنتَ غفارًا؛ فأرسلِ السماءَ علينا مِدرارًا)، قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: وأحبُّ أن يدعوَ الإمام بهذا.**

معنى قوله: (مجلِّلاً): أي عامًّا، يجلل الأرض؛ أي: يعُمُّها، ومعنى (سحًّا): السحُّ هو شديد الوَقْع على الأرض، ومعنى (اللأواء): شدة المجاعة، ومعنى (مِدرارًا) بكسر الميم: والمِدرار الكثيرُ الدرِّ والقَطْر المتوالي.

المبحث الثالث

روحانيات صلاتي الكسوف والخسوف

المطلب الأول : الأحكام الفقهية لصلاتي الكسوف والخسوف .

المطلب الثاني : روحانيات صلاتي الكسوف والخسوف .

المطلب الأول

الأحكام الفقهية لصلاتي الكسوف والخسوف

المشهور بين الناس أن الكسوف يطلق على ذهاب ضوء الشمس ، والخسوف يطلق على ذهاب نور القمر لكن العلماء : يطلق الكسوف والخسوف على الشمس والقمر جميعا.

حكم صلاة الكسوف: جمهور العلماء على أن صلاة الخسوف سنة مؤكدة ليست بواجبة ، ونقل بعضهم الإجماع على ذلك ، وذهب بعض أهل العلم إلى أنها واجبة ، وقال بعضهم : فرض كفاية .

- ويسن فعلها جماعة كما فعلها صلى الله عليه وسلم، وليست شرطاً فيها بل تصح فرادى، والسنة أن يصليها في المسجد ؛ قالت عائشة رضي الله عنه : (**خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى المسجد ، فصف الناس وراءه**). رواه البخاري .

- وتشرع في حق النساء ؛ لأن عائشة وأسماء صلتا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد. رواه البخاري.

وقتها : وقتها من ابتداء الكسوف إلى ذهابه ولا تصلى حتى يرى الناس الكسوف لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **(إذا رأيتم شيئاً من ذلك فصلوا حتى ينجلي)** رواه مسلم.

- تفوت الصلاة بانجلاء الكسوف كليةً ، فإن انجلى البعض فله الشروع في الصلاة للباقي.

- إذا لم يعلم بالكسوف إلا بعد زواله فلا يقضى؛ لأنها مقيدة بسبب تزول بزواله، ولا يشرع قضائها.

النداء لها : عن عبد الله بن عمرو ، قال : لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي بالصلاة جامعة. متفق عليه . ويُكرِّر المنادي ذلك، حتى يظن أنه قد أسمع الناس.ولا يسن لها أذان ولا إقامة اتفاقاً.

كيفيتها وما يقرأ فيها : هي ركعتان في كل ركعة قيامان وقراءتان وركوعان وسجودان .

- يقرأ في الأولى جهراً يستوي في ذلك الكسوف والخسوف الفاتحة، وسورة طويلة، ثم يركع طويلاً، ثم يرفع، فيسمع، ويحمد، ولا يسجد، بل يقرأ الفاتحة وسورة طويلة دون الأولى، ثم يركع، ثم يرفع، ثم يسجد سجدتين طويلتين، ثم يصلى الثانية كالأولى، لكن دونها في كل ما يفعل، ثم يتشهد ويسلم. والدليل على ذلك حديث عائشة في الصحيحين (**جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف بقراءته**)، ويرى بعض العلماء الإسرار لكسوف الشمس والأمر واسع والأول أصح.

- عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: **خسفت الشمس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فقام وكبر وصف الناس وراءه فاقترأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم رفع رأسه فقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم قام فاقترأ قراءة طويلة هي أدنى من القراءة الأولى ثم كبر فركع ركوعا طويلا هو أدنى من الركوع الأول ثم قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم سجد ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ذلك حتى استكمل أربع ركعات وأربع سجدات وانجلت الشمس قبل أن ينصرف ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : (إن**

الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموها فافزعوا للصلاة) رواه مسلم وفي رواية (ثم سجد سجودا طويلاً).

- وجاء تقدير طول القيام الأول في حديث ابن عباس رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم قام قياما طويلا ، نحوا من سورة البقرة) متفق عليه.

- وعن أبى موسى الاشعري في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (فأتى المسجد فصلي بأطول قيام وركوع وسجود رأيته يفعله في صلاته) رواه البخاري ومسلم .

- ولا يطيل الرفع من الركوع الثاني ولا الجلوس بين السجدتين ولا التشهد. وتصح الصلاة بأي قدر من القراءة ولكن يستحب إطالتها.

- ويسن أن يكثر ذكر الله ، والاستغفار ، والتكبير والصدقة ، والتقرب إلى الله تعالى بما استطاع من القرب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا. متفق عليه.

- ومن العلماء من يرى أنه لو صلاها ركعتين كالنافلة صحت وأجزأته للكسوف وفاتته السنة، والله أعلم.

الخطبة مطلوبة في كسوف الشمس :

ويسن أن يعظ الإمام الناس بعد صلاة الكسوف ويحذِّرهم من الغفلة ويأمرهم بالإكثار من الدعاء والاستغفار؛ لفعل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقد خطب الناس بعد الصلاة وقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت

أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكَبِّروا، وصلوا وتصدقوا) رواه البخاري.

ما العمل عند انجلاء الكسوف :

السنة أن تستمر صلاة الكسوف حتى ينكشف ، ويعود كما كان، فإذا انتهت الصلاة قبل الانجلاء فلا تعاد، بل يذكر الله، ويكثر من دعائه؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِي) رواه البخاري. فدلَّ على أنه إنْ سَلَّمَ من الصلاة قبل الانجلاء تشاغل بالدعاء. وإذا تم الانجلاء وهو في الصلاة أتمها خفيفة، ولا يقطعها.

حكم المسبوق :

ما بعد الركوع الأول لا تدرك به الركعة، فعلى هذا لو دخل مسبوق مع الإمام بعد أن رفع رأسه من الركوع الأول فإن هذه الركعة تعتبر قد فاتته فيقضيها.

تقضى الركعات الفائتة على هيئة الصلاة فتكون الركعة بقرائتين وركوعين وسجودين يطيلهما إذا كان الكسوف مازال مستمرا ويخففهما إذا كان قد انقضى.

المطلب الثاني

روحانيات صلاتي الكسوف والخسوف

إن روحانيات هاتين الصلاتين مبنية على استشعار الخوف من الله تعالى وهذا الخوف مبني على الالتفات إلى قدرة الله تعالى على تغيير ما في نفسك أيها المؤمن ،لأنك رأيت قدرته تعالى على تغيير هاتين الآيتين من آياته – الشمس والقمر – وهما أعظم منك في خَلْقهما وإذا تأملت في التغيير الذي يجري لهما وهو انطماس النور منهما علمت أن الله قادر على تغيير النور الذي في قلبك أعني نور الإيمان ونور البصيرة . ولا شك أن الخوف على الإيمان من أن يُطس نوره هو من أهم ما ينبغي للمؤمن أن يوليه اهتمامه. وبناءاً عليه نسطيع القول أن الله سبحانه جعل الخسوف والكسوف في الدنيا تذكيراً للعباد بهذه الحقيقة قال الله تعالى (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) فهذا مما يحصل به تخويف العباد .

ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم عند حدوث هذه الآية العظيمة يفزع إلى الصلاة . فعن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: (**خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج يجر رداءه حتى انتهى إلى المسجد)** رواه البخاري.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: (**انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعاً يجر ثوبه حتى أتى المسجد، فلم يزل يصلي حتى انجلت**) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : **(خسفت الشمس فقام النبي صلى الله عليه وسلم فزعاً يخشى أن تكون الساعة ، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله وقال : هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت احد ولا**

لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فانزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره) رواه البخاري ومسلم.

- ونسطيع القول أيضاً ما ذكره بعض العلم من المراد من تخويف الله لعباده بالخسوف لما فيه من التذكير بيوم القيامة الذي يذهب فيه ضوء الشمس والقمر ، وبهذا يكون المؤمن خائفاً من مشاهدة أحداث يوم القيامة .

شبهة وجوابها :

أما الشبهة فهي : **هل معرفة وقت الكسوف والخسوف يتعارض مع ما بدا على الرسول صلى الله عليه وسلم من الفزع؟**

الجواب : طرح هذا الشبهة الدكتور: محمد بن إبراهيم أبا الخيل ثم أجاب قائلاً (باختصار) [131]:

قال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى : "وقد ذكر أصحاب الحساب لكسوف الشمس والقمر أسباباً عادية وربما يعتقد معتقد أن ذلك ينافي قوله عليه الصلاة والسلام (يخوف الله بهما عباده) وهذا الاعتقاد فاسد، لان لله تعالى أفعالاً على حسب الأسباب العادية، وأفعالاً خارجة عن تلك الأسباب ... فأصحاب المراقبة لله تعالى ولأفعاله الذين عقدوا أبصار قلوبهم بوحدانيته وعموم قدرته على خرق العادة واقتطاع المسببات عن أسبابها - إذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة اعتقادهم في فعل الله تعالى ما شاء، وذلك لا يمنع أن يكون ثمة أسباب تجري عليها العادة إلى أن يشاء الله خرقها، **ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم عند اشتداد**

131/ موقع الألوكة – الدكتور: محمد بن إبراهيم أبا الخيل - الأستاذ بجامعة القصيم.

هبوب الريح يتغير ويدخل ويخرج خشية أن تكون كريح عاد ، وإن كان هبوب الريح موجوداً في العادة ، والمقصود بهذا الكلام أن تعلم أن ما ذكره أهل الحساب من سبب الكسوف لا ينافي كون ذلك مخوفاً لعباد الله تعالى" .

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى " فإذا كان الكسوف له أجل مسمى لم ينافِ ذلك أن يكون عند أجله يجعله الله سبباً لما يقضيه من عذاب وغيره لمن يعذب الله في ذلك الوقت أو لغيره ممن يُنزل الله به ذلك ، كما أن تعذيب الله لمن عذبه بالريح الشديدة الباردة كقوم عاد كانت في الوقت المناسب، وهو آخر الشتاء كما ذكر ذلك أهل التفسير وقصص الأنبياء، فعلم أن هذه الآيات السماوية قد تكون سبب عذاب، ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم عند وجود سبب الخوف ما يدفعه من الأعمال الصالحة، فأمر لصلاة الكسوف - الصلاة الطويلة - وأمر بالعتق والصدقة، وأمر بالدعاء والاستغفار، كما قال صلى الله عليه وسلم: **(إن البلاء والدعاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض)**، فالدعاء ونحوه يدفع البلاء النازل من السماء".

وتفسير ابن تيمية وابن دقيق العيد - رحمهما الله - للتخويف الوارد في الحديث قرره حديثاً بعض المتخصصين بعلوم الأرض ففي حديثه عن أسباب الزلازل ذكر الدكتور أحمد فؤاد باشا في كتابه (فصل المقال في ظاهرة الزلزال) قال إن منها "حدوث انقلابات فلكية في الفضاء تذيع من اقتران كواكب المجموعة الشمسية، وما يتبع هذا من تغييرات في كمية الجذب على الأرض" . ومن المعلوم لدى الفلكيين القدامى والمحدثين إن الكسوف والخسوف يحدثان عن وقوع القمر والشمس والأرض في خط واحد، وقد فسر فلكيون حصول الزلزال في اليمن قبل سنوات بأن سببه - بعد إرادة الله تعالى - تعامد كواكب في المجموعة الشمسية.

وبمناسبة كسوف الشمس عام 1413هـ على مناطق من العالم ذكر الدكتور محمد فهيم محمود رئيس مرصد حلوان الأسبق في جريدة الشرق الاوسط (1992/12/6م) بعض ما قد يترتب على كسوفها من ظواهر أرضية " حيث تتذبذب درجات الحرارة على سطح الأرض، وتسبب - أيضا - في ضعف الإشعاع الكهرومغناطيسي مما ينتج عنه انقطاع مؤقت في الاتصالات اللاسلكية ذات الموجات القصيرة بخلاف ما يترتب على ذلك من تأثيرات على القشرة الأرضية، وما قد ينتج عنه من زلازل وهزات أرضية تقع هنا وهناك من مناطق مختلفة من العالم".

وصفوة القول أن معرفتنا بسبب الكسوف والخسوف وكذلك بزمن حدوثه على وجه الدقة لا يتعارض مع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المؤكدة لفزعه وخوفه عند حدوث الكسوف على عهده، ففعله وقوله في شأن الكسوف يتوافق والدراسات الحديثة التي تربط بين الكسوف والخسوف واحتمال حدوث ظواهر جيولوجية تؤثر على الأرض."ونخلص من هذا أن معرفة الكسوف مثل معرفتنا وقت غروب الشمس أو طلوعها، فلا فرق بين معرفتنا موعد غروبها في هذا اليوم بعد عشر سنين وبين معرفتنا موعد كسوفها، لأن الله أتقن كل شيء خلقه، وجعل للكون سنناً ثابتة.

ومن روحانيات الكسوف والخسوف :

ذكرت في بداية هذا المطلب أن المؤمن ينبغي أن يخاف من أن يُطس نور الإيمان ونور البصيرة في قلبه بناءا على رؤيته لاطماس ضوء الشمس والقمر فقلت من المهم أن أذكر في هذا المقام ما يتعلق بنور البصيرة وهي كما **قال ابن القيم . رحمه الله . مَعْنَاهَا نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، يَرَى بِهِ حَقِيقَةَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ رَأْيَ**

عَيْنٍ، فَيَتَحَقَّقُ مَعَ ذَلِكَ انْتِفَاعُهُ بِمَا دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَتَضَرُّرُهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: الْبَصِيرَةُ تَحَقُّقُ الِانْتِفَاعِ بِالشَّيْءِ، وَالتَّضَرُّرُ بِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْبَصِيرَةُ مَا خَلَّصَكَ مِنَ الْحَيْرَةِ، إِمَّا بِإِيمَانٍ، وَإِمَّا بِعِيَانٍ. انتهى.

وأعظم أسباب تحصيل البصيرة تقوى الله تعالى في السر والعلانية، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) الأنفال :(29) وقال:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) الحديد:(28).

وضد التقوى هو ارتكاب الذنوب، والجرأة على الله تعالى، ومبارزته بالمعصية، وعدم الحياء منه جل اسمه، فهذا من أعظم أسباب طمس البصيرة.

يقول ابن القيم رحمه الله : ومن لم يقبل هدى الله، ولم يرفع به رأسًا دَخَلَ قَلْبُهُ فِي الْغلَافِ، وَالْأَكِنَّةِ، فَأَظْلَمَ، وَعَمِيَ عَنِ الْبَصِيرَةِ، فَحُجِبَتْ عَنْهُ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ، فَيَرَى الْحَقَّ بَاطِلًا، وَالْبَاطِلَ حَقًّا، وَالرُّشْدَ غَيًّا، وَالْغَيَّ رُشْدًا، قَالَ تَعَالَى {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14] "وَالرَّيْنُ" "وَالرَّانُ" هُوَ الْحِجَابُ الْكَثِيفُ الْمَانِعُ لِلْقَلْبِ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ، وَالِانْقِيَادِ لَهُ. انتهى.

ومن أعظم أسباب تحصيل البصيرة العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأمره ونهيه : فيكون الجهل بذلك من أعظم أسباب طمس البصيرة، يقول ابن القيم .رحمه الله : وَتَفَاوُتُ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْبَصِيرَةِ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ، وَفَهْمِهَا، وَالْعِلْمِ بِفَسَادِ الشُّبَهِ الْمُخَالَفَةِ لِحَقَائِقِهَا، وَتَجِدُ أَضْعَفَ النَّاسِ بَصِيرَةً أَهْلَ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الْمَذْمُومِ الَّذِي ذَمَّهُ السَّلَفُ؛ لِجَهْلِهِمْ بِالنُّصُوصِ، وَمَعَانِيهَا، وَتَمَكُّنِ

الشُّبَهِ الْبَاطِلَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ الْعَامَّةِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُؤْمِنِينَ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ رَأَيْتَهُمْ أَتَمَّ بَصِيرَةً مِنْهُمْ، وَأَقْوَى إِيمَانًا، وَأَعْظَمَ تَسْلِيمًا لِلْوَحْيِ، وَانْقِيَادًا لِلْحَقِّ.

ومن أسباب استجلاب البصيرة : الغيرة على محارم الله أن تنتهك، وعلى دينه وشرعه أن تتعدى حدوده، فإذا نقصت تلك الغيرة ضعفت البصيرة، وبقدر تفاوت الناس في هذه الغيرة يكون تمام البصيرة، وضعفها، أو انطماسها، يقول ابن القيم . رحمه الله :

وَإِنَّمَا كَانَتِ الْغَيْرَةُ عِنْدَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مِنْ تَمَامِ الْبَصِيرَةِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَقِّ، وَمُسْتَحَقِّهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَإِجْلَالِهِ تَكُونُ الْغَيْرَةُ عَلَيْهِ أَنْ يَضِيعَ، وَالْغَضَبُ عَلَى مَنْ أَضَاعَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ صَاحِبِ الْحَقِّ، وَإِجْلَالِهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَذَلِكَ عَيْنُ الْبَصِيرَةِ، فَكَمَا أَنَّ الشَّكَّ الْقَادِحَ فِي كَمَالِ الِامْتِثَالِ مُعَمٍّ لَعِينِ الْبَصِيرَةِ، فَكَذَلِكَ عَدَمُ الْغَضَبِ، وَالْغَيْرَةِ عَلَى حُقُوقِ اللَّهِ إِذَا ضُيِّعَتْ، وَمَحَارِمِهِ إِذَا انْتُهِكَتْ مُعَمٍّ لَعِينِ الْبَصِيرَةِ.

ومن أسباب انطماس البصيرة : الغفلة عن ذكر الله، فإنها مؤدية إلى انفراط الأمر، كما قال تعالى: **(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)**الكهف:28. وليست العبادة بمجردها موجبة للبصيرة حتى تستوفي شروطها من الإخلاص، ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون من العباد من هو ضعيف البصيرة لقلة علمه، أو تهاونه ببعض الذنوب، أو غير ذلك من الأسباب، وفوق ذلك كله توفيق الله للعبد، وإلهامه إياه رشده، وهدايته، وقذف نور الحق في قلبه، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والمنة لله تعالى أولًا وآخرًا .

ومن ثم كان سؤال الله البصيرة، ودعاؤه بالتثبيت، واللهج بذلك من أعظم أسباب تحصيل البصيرة، والإجارة من شرور الفتن، وكان العجب بالنفس، والاطمئنان إليها، وعدم التوكل على الله، أو نقصه من أعظم أسباب ضعف البصيرة، أو

انطماسها بحسب ما يتصف به العبد من ذلك.ومن ثم؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله الثبات في الأمر، ويدعوه بتثبيت قلبه على دينه، ويسأله الهدى، والتقى، ونحو ذلك من دعواته المباركة صلى الله عليه وسلم التي علم بها الأمة اللجوء إلى الله، والاعتصام به في الهداية للحق، وإلقاء نور البصيرة في القلب، فإنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له - نسأله سبحانه أن ينور بصائرنا، وأن يلهمنا رشدنا، ويعيذنا من شر أنفسنا- [132].

فائدة : معرفة الكسوف والخسوف قديماً وحديثاً:إن معرفة سبب الكسوف والخسوف ليس جديداً في هذا العصر بل كان معروفاً عند علماء الفلك من قديم، فقد ذكره القزويني في كتابه (عجائب المخلوقات), فقال : إ ن سبب كسوف الشمس " كون القمر حائلاً بين الشمس وبين أبصارنا" . وقال عن خسوف القمر "سببه توسط الأرض بينه وبين الشمس".ولقد كان فريق من العلماء يعترفون بتحديد الفلكيين لوقت حدوثه قال أبو بكر بن العربي عن جماعة من العلماء : " إنه أمر يدرك بالحساب، وتقدير المنازل حسبما أخبر الله سبحانه في قوله جل وعلا : **(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) [يس : 39] ".**

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن للكسوف وقتاً محدداً يكون فيه، ثم قال "حيث لا يكون كسوف الشمس إلا في آخر الشهر ليلة السرار ولا يكون خسوف القمر إلا في وسط الشهر وليالي الابدار، ومن ادعى خلاف ذلك من المتفقهة أو العامة فلعدم علمه بالحساب، ولهذا يمكن المعرفة بما مضى من الكسوف وما يستقبل، كما يمكن بما مضى من الأهلة وما يستقبل، إذ كل ذلك بحساب كما قال تعالى: **(وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا)** [الأنعام : 96]".

---

[132]/ منقول من الشبكة الإسلامية – ركن الفتوى .

الفصل الخامس عشر

ذكر جميع الأذكار والأدعية المطلوبة في الصلوات

المبحث الأول : ما ورد من الأدعية والأذكار قبل الصلاة .

المبحث الثاني : ما ورد من الأدعية والأذكار في القيام في الصلاة .

المبحث الثالث : الأذكار والأدعية الواردة في الركوع والرفع منه والسجود والجلوس بين السجدتين.

المبحث الرابع : الأذكار والأدعية والواردة في الجلوسين الأول والأخير .

المبحث الخامس : الأذكار الواردة بعد الصلاة .

المبحث الأول

ما ورد من الأدعية والأذكار قبل الصلاة

أولاً : ما ورد من الذكر و الدعاء عند سماع الاذان :

أن تقول بعد إجابة المؤذن :

- أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاَّ اللَّه وحْدهُ لا شَرِيك لهُ ، وَأَنَّ مُحمَّداً عبْدُهُ وَرسُولُهُ ، رضِيتُ بِاللَّهِ ربًّا ، وبمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وبالإِسْلامِ دِينًا ،

- اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سيدنا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سيدنا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سيدنا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى سيدنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سيدنا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سيدنا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سيدنا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

- اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعوةِ التَّامَّةِ ، والصَّلاةِ الْقَائِمةِ، آت مُحَمَّداً الْوسِيلَةَ ، والْفَضِيلَة، وابْعثْهُ مقَامًا محْمُوداً الَّذي وعَدْتَه .

- ثم تدعو بما شئت من خيري الدنيا والآخرة فإن الدعاء في هذا الوقت مستجاب ، ويستحسن أن تختار الدعاء الجامع .

وإليك الأحاديث الدالة على ثواب من قال ذلك :

1- عَنْ عبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمرِو بْنِ العاصِ رضِيَ اللَّه عنْهُما أَنه سَمِع رسُولَ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يقُولُ : « إِذا سمِعْتُمُ النِّداءَ فَقُولُوا مِثْلَ ما يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا علَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى علَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ بِهَا عشْراً ، ثُمَّ سلُوا اللَّه لي الْوسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا

مَنزِلَةٌ في الجنَّةِ لا تَنْبَغِي إلاَّ لعَبْدٍ منْ عِباد اللَّه وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُو ، فَمنْ سَأَل لِيَ الْوسِيلَة حَلَّتْ لَهُ الشَّفاعَةُ » رواه مسلم .

2- وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضيَ اللَّه عنْهُ أَنَّ رسُول اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال : « إذا سمِعْتُمُ النِّداءَ ، فَقُولُوا كَما يقُولُ المُؤذِّنُ » . متفق عليه .

3- وَعنْ جابرٍ رضَي اللَّه عنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ : « من قَال حِين يسْمعُ النِّداءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعوةِ التَّامَّةِ ، والصَّلاةِ الْقَائِمةِ، آت مُحَمَّداً الْوسِيلَةَ ، والْفَضِيلَة، وابْعثْهُ مقَامًا محْمُوداً الَّذي وعَدْتَه ، حلَّتْ لَهُ شَفَاعتي يوْم الْقِيامِة » رواه البخاري .

4- وعنْ سَعْدِ بْن أَبي وقَّاصٍ رضِيَ اللَّه عنْهُ عَن النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم أَنَّهُ قَالَ:(مَنْ قَال حِينَ يسْمعُ المُؤذِّنَ : أَشْهَد أَنْ لا إله إلاَّ اللَّه وحْدهُ لا شَريك لهُ ، وَأَنَّ مُحمَّداً عبْدُهُ وَرسُولُهُ ، رضِيتُ بِاللَّهِ ربًّا ، وبمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وبالإِسْلامِ دِينًا ، غُفِر لَهُ ذَنْبُهُ) رواه مسلم .

5/ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(إن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة فادعوا)** رواه الترمذي وأبو داود وأحمد – واللفظ له – وصححه الألباني في صحيح أبي داود 489 .

6/ عن عبد الله بن عمرو :قال رجل : يا رسول الله ، إن المؤذنين يفضلوننا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تعط**) رواه أبو داود (524) بسندصحيح .

ثانياً : الذكر والدعاء بعد الوضوء : أن تقول : **أَشْهدُ أَنْ لا إِله إِلاَّ اللَّه وحْدَه لا شَريكَ لهُ، وأَشْهدُ أَنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ وَرسُولُه صلى الله عليه وسلم ، اللَّهُمَّ اجْعلْني من التَّوَّابِينَ واجْعلْني مِنَ المُتَطَهِّرِينَ .**

وإليك الأحاديث الدالة على ثواب من قال ذلك :

1/ عنْ عُمَر بْنِ الخَطَّابِ رضي اللَّه عَنْهُ عنِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ : « **ما مِنْكُمْ مِنْ أَحدٍ يتوضَّأُ فَيُبْلِغُ أَو فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ : أَشْهدُ أَنْ لا إِله إِلاَّ اللَّه وحْدَه لا شَريكَ لهُ، وأَشْهدُ أَنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ وَرسُولُه ، إِلاَّ فُتِحَت لَهُ أَبْوابُ الجنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ** » رواه مسلم .

2/ وزاد الترمذي : « **اللَّهُمَّ اجْعلْني من التَّوَّابِينَ واجْعلْني مِنَ المُتَطَهِّرِينَ** » .

ثالثاً : الذكر والدعاء عند الخروج من البيت والذهاب الى المسجد :

أن تقول : **بسم اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أوْ أُزلَّ ، أوْ أظلِمَ أوْ أُظلَم ، أوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ .**

أو تقول : **بِسْم اللَّهِ توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، ولا حوْلَ ولا قُوةَ إلاَّ بِاللَّهِ ،اللّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبي نورا ، وَفي لِساني نورا، وَاجْعَلْ في سَمْعي نورا، وَاجْعَلْ في بَصَري نورا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفي نورا، وَمِنْ أَمامي نورا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقي نورا ، وَمِن تَحْتي نورا .اللّهُمَّ أَعْطِني نورا.**

وإليك الأحاديث الدالة على ثواب من قال ذلك :

1/ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال -يعني إذا خرج من بيته : (**بِسْمِ اللَّهِ توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، ولا حوْلَ ولا قُوةَ إلاَّ بِاللَّهِ ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت ، وتنحى عنه الشيطان**) قال الترمذي : حديث حسن. زاد أبو داود في روايته (فيقول) يعني الشيطان لشيطان آخر (كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي) رواه أبو داود والنسائي وغيرهما .

2/ عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، واسمها هند ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال : **(بسم اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أوْ أُزَلَّ ، أوْ أظلِمَ أوْ أُظلَم ، أوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ)** حديث صحيح رواه أبو داود الترمذي والنسائي وابن ماجة .قال الترمذي : حديث صحيح .

3/ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة الفجر وهو يقول : **(اللّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبي نورا ، وَفي لِساني نورا، وَاجْعَلْ في سَمْعي نورا، وَاجْعَلْ في بَصَري نورا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفي نورا، وَمِنْ أَمامي نورا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقي نورا ، وَمِن تَحْتي نورا .اللّهُمَّ أَعْطِني نورا)** . رواه البخاري ومسلم .

فائدة : قال بعض العلماء : هذا الدعاء جاء في الخروج إلى صلاة الفجر، لكن الذي يبدو أنه يمكن أن يكون أيضاً في غيرها، ولهذا يذكرونه في الخروج إلى جميع الصلوات.

رابعاً : الذكر والدعاء عند دخول المسجد والخروج منه :أن تقول عند دخول المسجد : **أَعوذُ باللهِ العَظيم وَبِوَجْهِهِ الكَرِيم وَسُلْطانِه القَديم مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم**

، بسم الله، اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ.أو تكتفي بقولك : بسم الله، اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ.وتقول عند الخروج من المسجد : بسم الله، اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ .

أو تقول : بسم الله، اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد ، اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

وإليك الأحاديث الدالة على ثواب من قال ذلك :

1- عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول اذا دخل المسجد: " أَعوذُ باللهِ العَظيم وَبِوَجْهِهِ الكَرِيم وَسُلْطانِه القَديم مِنَ الشّيْطانِ الرَّجيم " قال: أقطِّ؟ قلت: نعم قال: "فاذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم" رواه ابو داود. صحيح الترغيب:(2347)

2- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: (بسم الله، اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد) وإذا خرج قال: (بسم الله، اللهم صل على محمد) رواه ابن السُّني وحسنه الألباني .

3- وعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: "اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ" رواه مسلم.

4 - عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

المبحث الثاني

ما ورد من الأدعية والأذكار في القيام في الصلاة

أولاً : الأذكار الواردة في استفتاح الصلاة :

هناك عدد من الصيغ كلها صحيحة ، والمصلي يكتفي بواحدة منها ، لكن بإمكانه أن يستفيح بهذه تارة وهذه تارة :

1/ عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ ، قَالَ : (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**) . رواه أبوداود والترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.

2/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي من خَطَايَايَ بِالْثلج وَالماء وَالبَرَدِ**) متفق عليه.

3/ وعن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: (**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا**

إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) رواه مسلم.

4/ عن ابن عمر قال: " بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم: " اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا،وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عجبت لها فتحت لها أبواب السماء " رواه مسلم.

ومما هو خاص بصلاة قيام الليل (التهجد):

1/ عن عائشة قالت: " كان أي النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته: (اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) رواه مسلم.

2/ وعن ابن عباس قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: " اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

3/ وعن حذيفة رضي الله عنه : " أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فكان يقول: " اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا - ثَلَاثًا - وَالْحَمْدُ اللَّهِ كَثِيرًا - ثَلَاثًا - وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا - ثَلَاثًا - أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ " ثم استفتح فقرأ البقرة " رواه أحمد أبو داود والنسائي وصححه ابن القيم والألباني.

4/ عن عاصم بن حميد قال: " سألت عائشة بأي شيء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل؟ فقالت: " كان إذا كبَّر كبَّر عشراً، وحمد الله عشراً، وسبَّح عشراً، وهلل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: " اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة " رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.

ثانياً : الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم قبل القراءة:

أمر الله بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند تلاوة القرآن فقال تعالى : (**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**) النحل (98) .

من صيغ الاستعاذة :

1- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

2- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

3- يزيد على الصيغة الثانية من همزه ونفخه ونفثه .

ومعنى الهمز : الخنق ، والنفخ : الكبر ، والنفث : الشِّعر .

وإليك الأحاديث الدالة على ذلك :

عن أبي سعيد الخدري، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل كبر، ثم يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**» ، ثم يقول: «**لا إله إلا الله**» ثلاثا، ثم يقول: «**الله أكبر كبيرا**» ثلاثا، «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه**» ، **ثم يقرأ**). رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود(775).

ثالثاً : القراءة المندوبة في بعض النوافل :

1/ ما تندب قراءته في سنتي الفجر والمغرب : يستحب قراءة سورتي الكافرون والإخلاص :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **(قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ "قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ " و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ")** رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : **(رَمَقتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عِشرِينَ مَرَّةً يَقرَأُ فِي الرَّكعَتَينِ بَعدَ المَغرِبِ ، وَفِي الرَّكعَتَينِ قَبلَ الفَجرِ : " قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ " و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) رواه النسائي (992) وقال النووي في "المجموع" (385/3) : إسناده جيد .أي : **يقرأ في الركعة الأولى منهما " قل يا أيها الكافرون" ، وفي الثانية " قل هو الله أحد "** انتهى .

2/ القراءة في صلاة الوتر والدعاء بعدها :

- أما القراءة فمما جاء في السُّنة : أن يقرأ في الأولى بـ(**سورة الأعلى**)، والثانية بـ(**الكافرون**)، والثالثة بـ(**بالإخلاص**) فقط دون المعوذتين؛ فقد أخرَج الترمذي والنسائي

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "كان رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقرأ في الوتر بـ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)، و(**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**) و(**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) في كلِّ ركعة) يعني: في كلِّ ركعة سورة منها.

- وأما الدعاء بعده : ففيه صيغتان :

1- عن أُبَيّ بن كعب - رضي الله عنه - قال: "كان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقرأ في الوتر بـ (**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**)، و(**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**) و(**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) ، فإذا سَلَّم، قال: (سبحان الملك القدوس) ثلاث مرات"؛ أبو داود والنسائي وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

2/ وعَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**) رواه الترمذي 1727 وصححه الألباني في الإرواء 430 وصحيح أبي داود 1282.

قال أحد العلماء : هذا الدعاء في آخر الوتر : إما عقب السلام كما جاء في رواية مفسرة عند النسائي وإما في السجود كما جاء في روايات أخرى و كثير الشراح على كونها بعد السلام ويدل على ذلك قوله (**آخر وتره**) وقد ورد حديث سبحان الملك القدوس بذات الحرف وفيه (**آخر وتره**).

رابعاً : دعاء القنوت في الوتر أو الفجر :

1/ عن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قال : علمني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كلمات أقولهن فى الوتر: (**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ،**

وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ ، وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ، ولا منجا منك إلا إليك). أخرجه أبو داود (1213) والنسائي (1725) وصححه الألباني في الإرواء (429) .

2/ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول في قنوت الفجر (اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفِد، نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد إن عذابك للكافرين ملحق) وهو موقوف كما في المصنف لابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق وسنن البيهقي وغيرهم .

قوله: (نَحْفِد) أي: نسارع.قوله: (ملحق) بكسر الحاء أو فتحها والأول أشهر: أي: واقع لا محالة بهم.قوله: (نخلع) أي: نترك. ونخشى عذابك: نخاف عقوبتك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق: فعقوبتك المحققة المؤلمة ستلحق الكافرين الملحدين ولن يفلتوا منها .

- وفي رواية أخرى عن أبي رافع قال: قنت عمر رضي الله عنه بعد الركوع في الصبح، فسمعته يقول: (اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ولا نكفرك ونؤمن بك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق، اللهم عذِّب كفرة أهل الكتاب الذين يصدّون عن سبيلك ويكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، وأصلح ذات بينهم، وألف بين قلوبهم، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وثبتهم على ملة رسولك، وأوزعهم أن

يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه، وانصرهم على عدوك وعدوهم إله الحق، واجعلنا منهم)

وفي رواية : (**اللَّهُمَّ إيَّاكَ نَعْبُدُ، ولَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، ونَخْشَى عَذَابَكَ، إنَّ عَذَابَكَ بالكَافِرِيْنَ مُلْحَقٌ، اللَّهُمَّ إنَّا نَسْتَعِينُكَ، ونَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الخَيْرَ، وَلا نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنخْضَعُ لَكَ، وَنخْلَعُ مَنْ يَكْفُرُكَ**) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى وصحح إسناده (211/2)، وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل: وهذا إسناد صحيح (170/2)، وهو موقوف على عمر رضى الله عنه.

فوائد مهمة :

1/ الصيغة الثانية : هي الصيغة المختارة عند المالكية ويسن عندهم القنوت في صلاة الفجر ويستحبون أن يكون قبل الركوع لكي يمتد القيام فيلحق المسبوق، وهذه فائدة لا توجد لو قنت الإمام بعد الركوع، والقنوت قبل الركوع مروي عن عمر وعلي وابن مسعود وخلق من الصحابة، وهو مذهب إسحاق ومالك . وقالوا هو الذي استقر عليه عمل الصحابة، ويستحب عند المالكية الإسرار بالدعاء في القنوت .

2/ القنوت في صلاة الفجر مختلف فيه بين الفقهاء، فمنهم من يرى أنه سنة أو مستحب كما هو مذهب الشافعية والمالكية، ومنهم من يرى أنه غير مشروع وهو مذهب الأحناف والحنابلة .

3/ (المذهب الوسط أن فعله سنة وتركه سنة، فلا يُنكر على من داوم عليه ولا يوصف فاعله بالمبتدع أو مخالفة السنة، كما لا يُنكر على من أنكره، فمن قنت فقد أحسن ومن تركه فقد أحسن) بتصرف من كلام ابن القيم زاد المعاد 274/1.

خامساً : الدعاء في صلاة الجنازة : وردت عدة صيغ ، منها :

1/ (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ**) رواه مسلم

2/ (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ**) رواه أبو داود (3201) وصححه الألباني في "سنن أبي داود"

فائدتان :

الأولى : قال العلماء : الأفضل أن يدعو المصلي بهذه الأدعية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن دعا بغيرها فلا حرج عليه ويدل عليه قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**) رواه أبو داود (3199) وحسنه الألباني في "سنن أبي داود" .

قال الشوكاني رحمه الله : "فيه دليل على أنه لا يتعين دعاء مخصوص من هذه الأدعية الواردة..." انتهى من "نيل الأوطار" (79/4) .

وقال ابن عبد البر رحمه الله : "**والدعاء للميت استغفار له ودعاء بما يحضر الداعي من القول الذي يرجو به الرحمة له والعفو عنه وليس فيه عند الجميع شيء مؤقت** [يعني : محدد]" انتهى من "الاستذكار" (38/3) .

الثانية : قال ابن قدامة رحمه الله : " وإن كان الميت طفلاً , جعل مكان الاستغفار له : " **اللهم اجعله فرطاً لوالديه , وذخراً وسلفاً وأجراً , اللهم ثقل به موازينهما , وأعظم به أجورهما , اللهم اجعله في كفالة إبراهيم وألحقه بصالح سلف المؤمنين , وأجره برحمتك من عذاب الجحيم , وأبدله داراً خيراً من داره , وأهلاً خيراً من أهله** ... ونحو ذلك ، وبأي شيء دعا مما ذكرنا أو نحوه أجزأه وليس فيه شيء مؤقت " انتهى من المغني(182/2) .

المبحث الثالث

الأذكار والأدعية الواردة في الركوع والرفع منه والسجود والجلوس بين السجدتين

اولاً : الأذكار والأدعية الواردة في الركوع :

1- عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: (**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلاثًا**) رواه مسلم.

2- وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير، أن عائشة نبأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**في ركوعه وسجوده سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ** ».رواه مسلم .

3- وعن عوف بن مالك الأشجعي، قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة، فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: (**سُبْحَانَ ذِى الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**).رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

4- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**).رواه البخاري.

5- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَكَعَ قَالَ : (اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي) رواه مسلم .

ثانياً : الأذكار الواردة في الرفع من الركوع : ها هنا ذكران :

1/ ذكر أثناء الرفع وورد فيه صيغة واحدة وهي : سمع الله لمن حمده .

2/ ذكر بعد أن تستقل قائماً : وهذا وردت فيه صيغ متعددة لك أن تقول واحدة منها أو أكثر :

- اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ .

- رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ

- اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ .

- رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ .

وإليك الأحاديث الدالة على ثواب من قال ذلك :

1- عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا نصلي يوما وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة وقال: " سمع الله لمن حمده " قال رجل وراءه: " ربنا لك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه" فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من المتكلم آنفا؟) قال الرجل: أنا يا

رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا**) رواه البخاري .

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (**إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**). رواه البخاري.

3- وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه ،قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا رفع ظهره من الركوع، قال: (**سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات، وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد**) رواه مسلم .

4- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: (**ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**) رواه مسلم .

5- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا رفع رأسه من الركوع قال : (**اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض ، وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**) وفي رواية : إلى قوله (**وملء ما شئت من شيء بعد**) ولم يذكر ما بعده، رواه مسلم .

ثالثاً : الأذكار الواردة في السجود : جاء في كتاب صفة صلاة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم للعلامة الألبانيّ -رحمه الله- (بتصرف) :وكان يقول في هذا الرُّكن أنواعًا من الأذكار والأدعية، تارةً بهذا، وتارةً بهذا:

1- (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعَلَى) - ثلاَثَ مَرَّاتٍ ، وكان -أحيانًا- يُكرِّرها أكثر من ذلك رواه أحمد وأبو داود وغيرهما .

2- (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ) (ثَلاَثًا). صحيح أبو داود، والدارقطني، وأحمد، والطبراني، والبيهقي.

3- (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ) . رواه مسلم وأبو عوانة.

4- (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. وَكَانَ يُكثِرُ مِنْهِ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ) رواه البخاري ومسلم .

5- (اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، أَنْتَ رَبِّي،سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، فَأَحْسَنَ صُوَرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) رواه مسلم.

6- (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، عَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ) رواه مسلم.

7- (سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ) وهذا وما بعده كان يقوله في صلاة الليل) رواه مسلم .

8 - (اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح

9- (اللَّهُمَّ! اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وفِي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ تَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَاجْعَلْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَل خَلْفِي نُورًا، واجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا) رواه مسلم .

10- (اللَّهُمَّ! إِنِّى أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) رواه مسلم .

11/ عن ابن عباس، قال: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: (أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم) رواه مسلم .

فائدة : قال النووي رحمه الله في "الأذكار" (ص 86) : " ولكن الأفضل أن يجمعَ بين هذه الأذكار كلها إن تمكن من ذلك بحيث لا يشقّ على غيره ، ويقدّم التسبيح منها ، فإن أراد الاقتصارَ فيستحبُّ التسبيح . وأدنى الكمال منه ثلاث تسبيحات ، ولو اقتصر على مرّة كان فاعلاً لأصل التسبيح . ويُستحبّ إذا اقتصر على البعض أن يفعل في بعض الأوقات بعضها ، وفي وقت آخر بعضاً آخر ، وهكذا يفعل في الأوقات حتى يكون فاعلاً لجميعها " انتهى .

وقال في "الإقناع" من كتب الحنابلة (119/1) : " ولا تكره الزيادة على قول رب اغفر لي ، ولا على سبحان ربي العظيم ، وسبحان ربي الأعلى ، في الركوع والسجود ، مما ورد " انتهى .

رابعاً : الذكر والدعاء في سجود التلاوة:

أن تقول : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ - ثَلاَثًا- سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ. فتبارك الله أحسن الخالقين .

أو تقول : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ - ثَلاَثًا- اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وتقبَّلها منِّي كما تقبَّلتَها من عبدِكَ داودَ .

1- عن عائشةَ رضي اللَّه عنْها قالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ: (سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني. وفي رواية الحاكم في المستدرك على الصحيحين بزيادة: (فتبارك الله أحسن الخالقين)

2- عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، رأيتُني اللَّيلةَ وأنا نائمٌ كأنِّي كنتُ أصلِّي خَلفَ شجرةٍ، فسجَدتُ فسجَدَتِ الشَّجرةُ لسجودي، وسَمِعْتُها وَهيَ تقولُ: " اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وتقبَّلها منِّي كما تقبَّلتَها من عبدِكَ داودَ "، قالَ ابنُ عبَّاسٍ فقرأَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ سجدةً ثمَّ سجَدَ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: فسَمِعْتُهُ وَهوَ يقولُ مثلَ ما أخبرَهُ الرَّجلُ عن قولِ الشَّجرةِ). رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وإليك الحديث الدال على ثواب ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله انه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ فسجد، اعتزل الشيطانُ يبكي، يقول: يا وَيْلَهُ)، وفي رواية أبي كريب: (يا وَيْلي ، أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجود فسجد فله الجنَّةُ، وأُمِرتُ بالسجود فأَبَيْتُ فلي النارُ). وفي رواية: (فعَصَيتُ فلي النَّارُ) .

وأجاز بعض العلماء أن يقول سبحان ربي الأعلى، أو يفعل مثلما يفعل في سائر السجود. كما أشار إليه الإمام النووي في روضة الطالبين (322/1). ومن العلماء من فرق بين من كان في الصلاة فاستحب له التسبيح بالإضافة إلى الدعاء المعروف ، وبين من كان خارج الصلاة فاستحب له الاقتصار على الدعاء دون التسبيح.والله أعلم.

خامساً :الأذكار الواردة في الجلوس بين السجدتين :

1/ عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين: (**رَبِّ اغْفِرْ لِي رَبِّ اغْفِرْ لِي**).رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي(1189)

2/ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ : (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي**)رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح أبي داود .(796)

ورواه أبو داود بلفظ : (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي**) وعند ابن ماجه بلفظ : (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَارْزُقْنِي وَارْفَعْنِي**).

فائدة : قال النووي رحمه الله في "المجموع" (414/3) : " فالاحتياط والاختيار : أن يجمع بين الروايات ويأتي بجميع ألفاظها وهي سبعة : (**اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واجبرني وارفعني واهدني وارزقني**) انتهى .

المبحث الرابع

الأذكار والأدعية والواردة في الجلوسين الأول والأخير

أولاً : الذكر الوارد في الجلوس الأول : وهو التشهد الأول ووردت فيه ثلاث صيغ متقاربة :

الأولى : (التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ). رواه البخاري ومسلم .

الثانية : (التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) أخرجه مسلم والنسائي .

الثالثة : (التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ ، الزَّاكِيَاتُ لِلَّهِ ، الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) رواه مالك في الموطأ – رقم (204) وصححه الألباني .

ثانياً : الأذكار والأدعية والواردة في الجلوس الأخير : في هذا الجلوس عدد من الأذكار:

1- التشهد الأخير : ووردت فيه الصلاة الإبراهيمية زيادة على ما يقال في التشهد الأول : يختار المصلي إحدى هذه الصيغ ويقولها ولكن يغاير بينها وبين صيغة أخرى وهكذا ، لأن الاستمرار على صيغة واحدة يفقده التركيز في صلاته :

1/ (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) رواه البخاري .

2/ (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) رواه مسلم .

3/ اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى أهل بيته وعلى أزواجه وذريته ،كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . رواه الإمام أحمد ، ورواه البخاري ومسلم دون ذكر " أهل بيته " .

4/ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . رواه البخاري ومسلم .

5/ اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبي الأمي كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . رواه مسلم .

6/ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد عبدك ورسولك وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .

7/ اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

8/ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد . رواه النسائي .

9/ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . رواه البخاري .

2- الأدعية الواردة بعد التشهد الأخير وقبل التسليم :

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ) رواه مسلم وأحمد والنسائي .

2- عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَيَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ) رواه البخاري ومسلم .

3- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنه يُعَلِّمُ بَنيهِ هؤلاءِ الكلماتِ،كما يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلمانَ الكتابةَ، ويقولُ: إن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كان يَتَعَوَّذُ منهن

دُبُرَ الصلاةِ: (اللهم إني أعوذُ بك من الجُبنِ، وأعوذُ بك أن أُرَدَّ إلى أرذَلِ العُمُرِ، وأعوذُ بك من فِتنَةِ الدنيا، وأعوذُ بك من عذابِ القبرِ) رواه البخاري .

2- عنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنْهُ قال: كانَ رَسُولُ اللَّهِ إذا قام إلى الصَّلاةِ... يكونُ مِنْ آخِر ما يقولُ بينَ التَّشَهُّدِ والتَّسْلِيم: (اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما قَدَّمتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ ومَا أعْلَنْتُ، وما أَسْرَفْتُ، وما أَنتَ أَعْلمُ بِهِ مِنِّي، أنْتَ المُقَدِّمُ، وَأنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إله إلاَّ أنْتَ)رواه مسلم.

4- عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: (قُلْ، اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي .

5- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: (يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " رواه أبو داود وصححه الألباني .

وفي رواية أخرى: (فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِك) رواه النسائي وصححه الألباني .

6- عن مِحْجَنَ بْنَ الْأَدْرَعِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، إِذَا رَجُلٌ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، فَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلَاثًا " رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

7- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّهُ كانَ معَ رسولِ اللَّهِ صلّى اللَّه عليه وسلم جالساً ورجلٌ يصلِّي ثم دعا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: لقد دعا اللَّهَ باسمِهِ العظيمِ الَّذي إذا دعيَ بِهِ أجابَ وإذا سئلَ بِهِ أعطى " رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

8- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لرجلٍ: "ما تقولُ في الصَّلاةِ"، قالَ: أتشَهَّدُ ثمَّ أسألُ اللَّهَ الجنَّةَ وأعوذُ بِهِ منَ النَّار، أما واللَّهِ ما أُحسنُ دندنتَكَ ولا دندنةَ مُعاذٍ، قال:(حولَها نُدَنْدنُ) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني). معنى الدَّندنة: أن يتكلَّم الرَّجُل بكلام تُسمع نغمته ولا يُفهَم .

9- عن عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، قال: صلَّى بنا عمَّارُ بنُ ياسرٍ رضي الله عنه صلاةً، فأوجزَ فيها، فقالَ لَهُ بعضُ القومِ: لقد خفَّفتَ أو أوجزتَ الصَّلاة! فقالَ أمَّا على ذلِكَ فقد دعوتُ فيها بدعواتٍ سمعتُهنَّ من رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فلمَّا قامَ تبعَهُ رجلٌ منَ القومِ هوَ أبي غيرَ أنَّهُ كنى عن نفسِهِ فسألَهُ عنِ الدُّعاءِ ثمَّ جاءَ فأخبرَ بِهِ القومَ: " اللَّهمَّ بعلمِكَ الغيبَ وقدرتِكَ على الخلقِ أحيِني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي وأسألُكَ خَشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ وأسألُكَ كلمةَ الحقِّ في الرِّضا والغضَبِ وأسألُكَ القصدَ في الفقرِ والغنى وأسألُكَ نعيمًا لاَ ينفدُ وأسألُكَ قرَّةَ عينٍ لاَ تنقطعُ وأسألُكَ الرِّضاءَ بعدَ القضاءِ وأسألُكَ بَردَ العيشِ بعدَ الموتِ وأسألُكَ لذَّةَ النَّظرِ إلى وجْهِكَ والشَّوقَ إلى لقائِكَ في غيرِ ضرَّاءَ مضرَّةٍ ولاَ

فتنةٍ مضلَّةٍ اللَّهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ واجعلنا هداةً مُهتدينَ " رواه النسائي وصححه الألباني.

10- عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول في بعض صلاته: "اللهم حاسبني حساباً يسيراً"، فلما انصرف؛ قلت: يا رسول الله! ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظر في كتابه، فيتجاوز له عنه، من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ؛ هلك " رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني .

11- عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَل، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَرضي الله عنها حَدِّثِينِي بِشَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ " (رواه مسلم والنسائي وصححه الألباني.

المبحث الخامس

الأذكار والأدعية الواردة بعد الصلاة

وهي على ثلاثة أنواع :

الأول : أذكار وأدعية وردت بعد جميع الصلوات المفروضة : وهي :

1/ عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: (اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام) رواه أهل السنن وغيرهم .

2/ عن المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلّم قال: (لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)أخرجه البخاري ومسلم .

3/ عن عبد اللّه بن الزبير رضي اللّه عنهما ، أنه كان يقول دُبُرَ كلّ صلاة حين يسلم: (لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَة كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللّه، لا إلهَ إلاَّ اللّه وَلاَ نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ ولَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّناءُ الحَسَنُ، لا إلهَ إلاَّ اللّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ) .

أخرجه مسلم .

4/ قراءة آية الكرسي : عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ

يَمُوتَ) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحدها جيد. اهـ وصححه الألباني في الصحيحة (972).

5/ التسبيح والتكبير والتحميد الوارد بعد الصلوات :

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثاً وَثَلاثينَ، وكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَقالَ تَمامَ المئة: لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطاياهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) أخرجه مسلم .

- وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل ، يسبح الله في دبر كل صلاة عشرا ، ويكبر عشرا ، ويحمد عشرا ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان. وإذا أوى إلى فراشه سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة باللسان وألف في الميزان ، فأيكم يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة ؟ قالوا وكيف لا يحصيهما ؟ قال: يأتي أحدكم الشيطان وهو في الصلاة فيقول اذكر كذا وكذا حتى ينفك العبد لا يعقل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال ينومه حتى ينام " والحديث صححه الشيخ الألباني.

فائدة: قال المباركفوري رحمه الله في شرح الترمذي : (واعلم أن في كل من تلك الكلمات الثلاث روايات مختلفة ، قال ابن حجر المكي : ورد التسبيح ثلاثا وثلاثين ، وخمسا وعشرين ، وإحدى عشرة ، وعشرة ، وثلاثا ، ومرة واحدة ، وسبعين ، ومائة

، وورد التحميد ثلاثا وثلاثين، وخمسا وعشرين ، وإحدى عشرة ، وعشرة ومائة ، وورد التهليل عشرة ، وخمسا وعشرين، ومائة) .

قراءة الإخلاص والمعوذتين دبر كل صلاة : ورد في عقبة بن عامر رضي اللّه عنه قال : (أمرني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن أقرأ بالمعوّذتين دُبُرَ كل صلاة) أخرجه أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم ،فينبغي للمصلي أن يقرأ : قل هو اللّه أحد، وقل أعوذ بربّ الفلق، وقل أعوذ بربّ الناس.

الثاني : أدعية وأذكار تقال بعد صلاتي الفجر والمغرب :

1/ بعد صلاة الفجر :

1/ عن أبي ذر رضي اللّه عنه ، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : (مَنْ قالَ فِي دُبُرِ صَلاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثانٍ رِجْلَيهِ قَبْلَ أنْ يَتَكَلَّمَ: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مرَّاتٍ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَناتٍ، ومُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجاتٍ، وكانَ يَوْمَهُ ذلكَ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلّ مَكْرُوهٍ وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطانِ ولَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أنْ يُدْرِكَهُ في ذلكَ اليَوْمِ إلاَّ الشِّرْكَ باللَّهِ تَعالى)أخرجه الترمذي وغيره .

2/ وعن شدّاد بن أوس رضي اللّه عنه ، عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم قال: (سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلهَ إلاَّ أنْتَ خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأبُوءُ بِذَنبي، فاغْفِرْ لي فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ ما صَنَعْتُ. إذا قال ذلك حين يُمسي فمات دخل الجنة، أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يُصبح فمات من يومه، مثله) أخرجه البخاري .

3/ عن صُهيب رضي اللّه عنه : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يحرّك شفتيه بعد صلاة الفجر بشيء، فقلت: يارسول اللّه! ما هذا الذي تقول؟ قال : (اللَّهُمَّ بِكَ أُحاوِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَبِكَ أُقاتِلُ)أخرجه أحمد وابن ماجه وابن السنيّ .

4/ عن أُمّ سلمة رضي اللّه عنها قالت : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا صلى الصبح قال: (اللَّهُمَّ إني أسألُكَ عِلْماً نافِعاً، وعَمَلاً مُتَقَبَّلاً، وَرِزْقاً طَيِّباً)أخرجه أحمد وابن ماجه وابن السنيّ .

فائدة : فضيلة الجلوس بعد صلاة افجر :عن أنس رضي اللّه عنه قال : قال رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (مَنْ صَلَّى الفَجْرِ في جَماعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعالى حتَّى تَطْلُعَ الشَمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كانَتْ كأجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تامَّةٍ تامةٍ تامةٍ)أخرجه الترمذي وغيره.

2/ الأدعية والأذكار التي تقال بعد صلاة والمغرب : عن مسلم بن الحارث التميمي الصحابي رضي اللّه عنه ، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه أسرّ إليه فقال: إذَا انْصَرَفْتَ مِنْ صَلاةِ المَغْرِبِ فَقُلِ: (اللَّهُمَّ أجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فإنَّكَ إذَا قُلْتَ ذلكَ ثُمَّ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْها، وإذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ كذَلِكَ، فإنَّكَ إنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْها) أخرجه أبي داود .

الثالث : أدعية وأذكار تقال بعد السنن والنوافل :

1/دعاء صلاة الاستسقاء :

1/ عنْ عَائِشَةَ رَضِي الله عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَى المِنْبَرِ فَكَبَّرَ؟ وَحَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ثمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ المَطَرِ

عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ» ثمَّ قَالَ: صلى الله عليه وسلم «الحَمْدُلله رَب العَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ اللهمَّ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الغَنِيُّ وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْث وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلاَغاً إِلَى حِينٍ» ثمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبطَيْهِ ثمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذنِ الله فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الكِنِّ ضَحِكَ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذهُ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ». أخرجه أبو داود.

2/ (اللهمَّ أَغِثْنَا، اللهمَّ أَغِثْنَا، اللهمَّ أَغِثْنَا) متفق عليه.

3/ (اللهمَّ اسْقِنَا، اللهمَّ اسْقِنَا، اللهمَّ اسْقِنَا) أخرجه البخاري.

4/ (اللهمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيعاً نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ) أخرجه أبو داود.

5/ (اللهمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ وَأَحْيِ بَلَدَكَ المَيِّتَ). أخرجه مالك وأبو داود.

2/ دعاء الاستخارة :

عن جابِرٍ رضيَ اللَّه عنه قال : كانَ رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُور كُلِّهَا كالسُّورَةِ منَ القُرْآنِ ، يَقُولُ إِذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمر ، فَلْيَركعْ رَكعتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفريضَةِ ثم ليقُلْ : اللَّهُم إِني أَسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ ، وأستقدِرُكَ بقُدْرتِك ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فضْلِكَ العَظِيم ، فإِنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ ، وتعْلَمُ ولا أَعْلَمُ ، وَأَنتَ علاَّمُ الغُيُوبِ .

اللَّهُمَّ إِنْ كنْتَ تعْلَمُ أَنَّ هذا الأمرَ خَيْرٌ لي في دِيني وَمَعَاشي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي » أَوْ قالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِله ، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لي، ثمَّ بَارِكْ لي فِيهِ ، وَإِن كُنْتَ تعْلمُ أَنَّ هذَا الأَمْرَ شرٌّ لي في دِيني وَمَعاشي وَعَاقبةِ أَمَرِي » أَو قال : « عَاجِل أَمري وآجِلهِ ، فاصْرِفهُ عَني ، وَاصْرفني عَنهُ، وَاقدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كانَ ، ثُمَّ رَضِّني بِهِ » قال : ويسمِّي حاجته . رواه البخاري.

الخاتمة

ثمار هذه الروحانيات أن تجعل الصلاة صلة ... لكن بمن ؟

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بتأليف هذا الكتاب فقد عشت معه ردحاً من الزمن أحسست فيه بالفرق الكبير في صلاتي في أثناء كتابته عنها قبل ذلك.

وأرجو أن يجد القارئ الكريم ما وجدته فذاك شئ يُحَس ولا يُوصف ويُعاش ولا يُدرَك وهو ليس بحول العبد ولا بقوته بل بتوفيق الله ومنَّته ، ولكن بحسبي أن أشير إلى أن صلاة العبد ساعة حزنه تختلف عن صلاته ساعة فرحته ، كما تختلف صلاته ساعة تانِّيه عنها ساعة عجلته ، كما أن هناك فرقاً بين مَن جاء للصلاة وهو يرجو من الله تعالى إجابة دعوته عن صلاة آخر صلى وهو مستصحب لغفلته . إلى غير ذلك من الأحوال التي تتقلب بنا في هذه الحياة التي لا تبقى على حال إلى أن تأتي للعبد ساعة الارتحال ، ولذا قال الله تعالى **(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)** الحجر(99).

جاء في تفسيرها : المراد بالأمر بالعبادة في قوله تعالى وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ المداومة عليها وعدم التقصير فيها.والمراد باليقين: الموت، سُمّيَ بذلك لأنه أمر متيقن لحوقه بكل مخلوق.

ثم إنني أختم هذا الكتاب المبارك - إن شاء الله تعالى - بكلام نفيس لم أقف على معظمه في كتاب بل هو مما فتح الله به علي - وله الحمد والمنة - فأقول راجياً من الله السداد والقبول :

الصلاة صلة بين العبد وربه هذا هو المشهور بين الناس وهذا كلام صحيح ، ولكن من أتى بالروحانيات وجد أن الصلاة تجعل للعبد صلة بينه وبين ربه وصلة بينه وبين

النبي صلى الله عليه وسلم وصلة بينه بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وصلة بينه وبين الملائكة الكرام عليهم السلام ، و صلة بينه وبين الصحابة الكرام رضي الله عنهم وصلة بينه وبين عباد الله المؤمنين الصالحين ... هذا كلام مجمل وبيانه كالتالي :

أولاً : كيف توثق الصلاة الصلة بين المصلي وبين ربه جل وعلا :

إن أحدنا لو واظب على زيارة قريبه أو صديقه في كل أسبوع مرة لقال الناس إنه يحبه ويفشي إليه بأسراره ويطمئن إلى مشورته ، بل قد يصل الأمر إلى أن يقال : إذا أردت أن تعرف سر فلان – يعنونك أنت – فاسأل فلاناً يخبرك بكل أسراره ، لما يرون من كثرة دخولك عليه .

والآن أقول : إن المصلي يقف بين ربه تعالى مناجياً إياه .. يتذلل له .. يخضع له ويبتهل إليه ويطرح حوائجه متضرعاً إليه ،يفعل ذلك في كل يوم خمس مرات على الأقل فإذا صلى الضحى وقام من الليل زاد ذلك على الخمس وهكذا ، فيا يترى كيف ستصبح هذه العلاقة .

ولعلنا من هنا نفهم لماذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة،أي فزع إلى الله تعالى الرحيم بعبده العليم بأحواله القادر على قضاء حوائجه وتفريج همه ، أظن أن مَن أحسن الصلاة وخشع فيها سيكون هذا هو حاله - الفزع إلى الصلاة – لعلمه بأن صلته به لن تخيبه في تفريج همومه .

ويذكر في هذا الباب أن أحد السلف أصابه همٌّ فقام فقال صلى ركعتين فاستجاب الله تعالى له في الحال ، ثم إن ولده قام فصلى فسأل الله حاجته فلم ير إجابةً لدعائه فقال : يا أبت ما بلك تدعو فيستجاب لك وندعو فلا يستجاب لنا ؟ فقال : يابني إنها ليست صلاة ركعتين إنها صلاة خمسين سنة .

ثم لا تنس أخي المصلي أن الصلاة من أولها إلى آخرها ذكر لله تعالى ما بين تلاوة لكلامه أو تسبيحه وتمجيده وتهليله أو سؤاله .. الخ إلى أي شئ يوصلك وعلام يدلك ... إلى صلة بينك وبين ربك كلها حب وطمأنينة وإخلاص ورجاء وتوكل وثقة فيما يقدره لك . ولذ كان لابد للعبد أن يشهد دائماً فقره إلى الله ، وحاجته في أن يكون عابداً له ، وأن يطلب منه المعونة ، فلا حول ولاقوة إلاّ بالله ، ولا ملجأ من الله إلاّ إليه ، فإن العبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقاراً إليه وخضوعاً له ؛ كان أقرب إليه وأعزّ له، وأعظم لقدره، فأعظم الخلق أعظمهم عبودية لله .

ثانياً : كيف توثق الصلاة الصلة بين المصلي وبين النبي صلى الله عليه وسلم :

إن ذكر المصلي للنبي صلى الله عليه وسلم يتمثل في ثلاثة مواضع ،كلها في التشهد ، وهي عند قولك (**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**) وقولك (**وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) والصلاة عليه عند** (الصلاة الإبراهيمية) ،هذا عدا عن ذكره في الأذان وبعده والإقامة في الشهادتين ، وفي ظني أن هذا الذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ستحصد منه فوائد:

1/ زيادة حبك له صلى الله عليه وسلم في قلبك وهذا الحب من صميم الإيمان ومما يزيد في الإيمان بالله ورسوله والإيمان بالآخرة .

2/ تستفيد كثرة استحضارك له صلى الله عليه وسلم في ذهنك مما يجعلك تسعى للاقتداء به في سائر أمورك ، سواء في العبادات أو المعاملات أو الآخلاق والآداب ، وهذا مكسب عظيم نحن في أمس حاجة إليه .

3/ استحضار شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم في ذاكرتك وهذا مما يزيد في شوقك إليه ، وربما رفع ذلك همتك للإكثار من الصلاة عليه .

ثالثاً : كيف توثق الصلاة الصلة بين المصلي وبين الأنبياء والمرسلين :

ذكر الأنبياء والمرسلين مذكور في الصلاة في موضعين أحدهما لا بد منه لكل مصل لأنه ذكر مسنون في كل صلاة والآخر بحسب ما يقرأ المصلي في صلاته .كما سيأتي بيانه بعد قليل .

أما الأول فهو في التشهد : فعن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ . فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ : إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ حَدَّثَنَا**) رواه مسلم .

فالشاهد من الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**) ولا أظن أحداً يذكر هذه العبارة في صلاته ولا يتذكر تلك الكوكبة المصطفاة من الرسل والأنبياء عليهم السلام أفلا يهز هذا الذكر في قلبه الاشتياق إليهم . لكنها العجلة في الأذكار هي التي حالت بيننا وبين هذه الثمار .

وأما الموضع الآخر : فمتى ما شاء المصلي أن يقرأ سورة من القرآن فيها ذكر للأنبياء فإنه يكون قد استحضرهم في قلبه وعقله .

ونقول ثمرة ذلك الاستحضار هو عين ما ذكرناه في فائدة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ألا وهو زيادة محبتهم في قلبك وهذا الحب من صميم الإيمان ومما يزيد في

الإيمان بالله ورسله والإيمان بالآخرة .ولا تنس قوله تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا) سورة النساء (69-70)

رابعاً : كيف توثق الصلاة الصلة بين المصلي وبين الملائكة الكرام عليهم السلام :

ذكر الملائكة الكرام عليهم السلام في الصلاة جاء في موضعين :

الأول : في التشهد : ودليله : ما مر معنا في الحديث السابق عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**) فقوله (**السلام علينا**) المراد به الحاضرين من الإمام والمأمومين، والملائكة عليهم الصلاة والسلام.

الثاني : وهو خاص بمن يحضر مبكراً إلى صلاة الجماعة في المسجد : وذلك لأن الذي ينتظر الصلاة تصلّي عليه الملائكة وتدعو له بالمغفرة والرحمة ما دام في مصلاه ما لم يحدث أو يؤذِ أحداً بالكلام أو غيره ،ودليله ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث ، اللهم اغفر له اللهم ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة**)وفي رواية لمسلم : (**ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه**).

ولا أظن أن هناك دعاءاً أفضل من دعاء الملائكة لك وأنت في هذا المكان أفضل البقاع – المسجد - وفي أفضل الحالات : الصلاة أو تلاوة القرآن أو ذكر الله تعالى ، وأنت في انتظار فريضته .

إن هذه الصلة التي اكتسبها المصلي بملائكة الله تعالى كأني بها تزداد يوماً بعد يوم حتى يصبح هذا العبد محبوباً لديهم يغارون عليه ويدافعون عنه ، أفلا يكفيه شرفاً وفضلاً أن يصل إلى هذا المقام ، ولعل التوفيق الذي يصحب المصلي في أموره الدينية والدنيوية هو بسبب تلك الصلة التي بينه وبين الملائكة . والله أعلم

خامساً : كيف توثق الصلاة الصلة بين المصلي وبين الصحابة رضي الله عنهم :

ذكر الصحابة في الصلاة جاء في موضعين :

الأول : ما مر معنا في الحديث السابق عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ،فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**)فالصحابة في السماء بأرواحهم لأنه في الجنة .

الثاني : عند قولنا في التشهد (**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**) وقد بينت لك سابقاً : أن الآل هم كل من تبع النبي صلى الله عليه وسلم على ملته ودينه ، فيدخل فيهم زوجاته وذريته وقرابته المؤمنون به وصحابته . رضي الله عنهم

وذكر هؤلاء الصحب الكرام في الصلاة مما يدل عظيم فضلهم وعلو قدرهم ولذا وجبت محبتهم كما وجبت معرفة قدرهم وسبقهم في الإسلام وما شرفهم الله به من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجئ أحد بعدهم أفضل منهم .

سادساً : كيف توثق الصلاة الصلة بين المصلي وبين عباد الله الصالحين :

يحصل ذلك عند ذكر الصالحين في الحديث السابق عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**)

ومن الصالحين أئمة الإسلام كأئمة القراءات وأئمة الفقه والحديث والتفسير وأصول الفقه وغير هم من علماء الإسلام . وهم كثْر لا حصر لهم .

ومن الصالحين الزهاد والعبَاد وأهل التربية والتزكية والسلوك وتهذيب الأخلاق . وهم أيضاً كثْر لا حصر لهم ، أفلا يشعرك ذلك بإكرام الله لك حيث شرفك بذكرهم وأنت في حضرة مناجاته تعالى.

إن استحضار هؤلاء وأولئك مما يزيد في حبك لهم والاشتياق إلى لقائهم والاقتداء بهم والدفاع عنهم والغيرة عليهم ،لأن صلتك بهم ستزداد مع مرور الأيام وتكرار ذلك في القلب .

ختاماً : قال الغزالي رحمه الله تعالى :اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله تعالى وعارفاً بالله سبحانه. وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه. وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله. وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله. ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار.

قلت : وعلى ضوء هذا لا شك أن الصلاة هي الجامعة لكل هذا فوجب أن نعطيها من الاهتمام ما يليق بها والله أعلم .

أهم المراجع

1/ إحياء علوم الدين – للغزالي - المجلد الاول (كتاب اسرار الصلاة ومهماتها) .

2/ أحكام حضور المساجد" (60-62) لفضيلة الشيخ عبد الله الفوزان

3/ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – لابن القيم

4/ الوابل الصيب - لابن القيم -

5// أسرار الصَّلاة والفَرق و الموازنَة بين ذَوق الصَّلاة و السَّماع – لابن القيم - اعتنى به أبو عبد الله همَّام الجزائري (نسخة إلكترونية).

6/ الصلاة وأحكامها - لابن القيم .

7/ اجتماع الجيوش الإسلامية – لابن القيم .

8/ بدائع الفوائد - لابن القيم

9/ التذكار لأفضال الأذكار – للقرطبي .

10/ تفسير القرآن العظيم - لابن كثير

11/ تفسير العلامة عبد الرحمن السعدي

12/ جلاء الأفهام – لابن القيم

13/ الروح لابن القيم، تحقيق د. بسام علي سلامة العموش .

14/ فتح القدوس بمجموعة الدرر والفوائد من الدروس – تأليف الشيخ العلامة إبراهيم محمد زين – الدار العالمية للنشر والتوزيع – الاسكندرية

15/ شرح حصن المسلم – في موقع الكلم الطيب .

16/ كتاب 150 مائة وخمسون فائدة من أدعية الاستفتاح في الصلاة - عقيل بن سالم الشمري

17/ كتاب 33 سبباً للخشوع في الصلاة – للشيخ محمد صالح المنجد .

18/ كتاب أرسله ابن القيم إلى بعض أخوانه -تحقيق الشيخ إياد القيسي.

19/ كتاب الخشوع في الصلاة – لابن رجب الحنبلي .

20/ كتاب الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة – تأليف سعيد بن علي بن وهف القحطاني – (1/128-133)– نسخة إلكترونية – المكتبة الشاملة

21/ مدارج السالكين – لابن القيم .

22/ مجموع الفتاوى – لابن تيمية .

23/ الموسوعة الفقهية الكويتية .

*** كتب الحديث وشروحها :**

24/ صحيح البخاري .

25/ صحيح مسلم .

26/ سنن الترمذي .

27/ سلسلة الأحاديث الصحيحة – للألباني .

28/ سلسلة الأحاديث الضعيفة – للألباني .

29/ صحيح سنن الترمذي – للألباني .

30/صحيح الترغيب والترهيب – للألباني .

31/ صحيح الجامع الصغير – للألباني .

32/ مجمع الزوائد للهيثمي .

33/شرح أحاديث عمدة الأحكام – للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

34/ دليل الفالحين بشرح رياض الصالحين – لابن علان .

35/ شرح صحيح مسلم – للنووي .

36/ فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر العسقلاني .

*** مواقع الشبكة العنكبوتية :**

37/ الشبكة الإسلامية .

38// موقع شبكة ضياء

39/ موقع الإسلام سؤال وجواب – إشراف الشيخ محمد صالح المنجد .

40/ موقع صيد الفوائد

41/ موقع روائع البيان القرآني .

42/ موقع ملتقى الخطباء .

43/موقع الألوكة العلمية .

44/ موقع ملتقى أهل الحديث .

فهارس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة	5
2	تمهيد : إضاءات للاستفادة من هذه الروحانيات	19
3	الفصل الأول : بيان عظمة قدر الصلاة وفضلها في الإسلام	23
4	المبحث الأول : بيان عظمة قدر الصلاة في الإسلام	24
5	المبحث الثاني : بيان فضل الصلاة من الأحاديث والآثار وكلام العلماء	33
6	الفصل الثاني : توضيح مفهوم إقامة الصلاة والخشوع فيها	41
7	المبحث الأول : توضيح مفهوم إقامة الصلاة	42
8	المبحث الثاني : حكم الخشوع في الصلاة ودرجات المصلين فيه	47
9	الفصل الثاني : هل الصلاة قرة عين لك ؟	56
10	المبحث الأول : جواب ابن القيم رحمه الله تعالى	57
11	المبحث الثاني : جواب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى	64
12	الفصل الثالث : من مقاصد الصلاة وثمارها	69

13	المبحث الأول : بيان طرف من مقاصد الصلاة	70
14	المبحث الثاني : ثمرة الصلاة تحسين الأخلاق	78
15	المطلب الأول : كيف تكون الصلاة سبباً في تحسين أخلاق المصلي	79
16	المطلب الثاني : التدريب العملي لتحسين الأخلاق أثناء إقامة الصلاة	85
17	الفصل الرابع : الأسباب الجالبة للخشوع بين الغزالي وابن القيم رحمهما الله	89
18	المبحث الأول : الأسباب الجالبة للخشوع عند الغزالي رحمه الله تعالى	90
19	المبحث الثاني : الأسباب الجالبة للخشوع عند ابن القيم رحمه الله تعالى	94
20	الفصل الخامس:روحانيات المصلي عند سماعه الأذان وعند تحصيله للطهارة	101
21	المبحث الأول : روحانيات المصلي عند سماعه الأذان	102
22	المبحث الثاني : روحانيات المصلي عند تحصيله للطهارة	107
23	المطلب الأول :روحانيات طهارة الثوب والبدن والمكان .	108
24	المطلب الثاني : روحانيات الوضوء .	111
25	المطلب الثالث : كيفية الغسل وحُكمه والحكمة من مشروعيته .	115

26	المطلب الرابع : روحانيات المسلم عند التيمم	118
27	المبحث الثالث : الحِكَم المقاصدية من تشريع الطهارة في الإسلام	123
28	المطلب الأول : الفوائد الذاتية للطهارة الحسية	124
29	المطلب الثاني : الفوائد الدينية للطهارة الحسية	129
30	الفصل السادس :روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد وفي انتظاره للصلاة	136
31	المبحث الأول : روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد	137
32	المبحث الثاني : روحانيات المسلم عند دخوله المسجد وانتظاره للصلاة	148
33	المطلب الأول : روحانيات المسلم عند دخوله المسجد	149
34	المطلب الثاني :روحانيات المسلم بعد دخوله المسجد وأثناء انتظاره للصلاة	154
35	الفصل السابع : روحانيات القيام وما يُتلى فيه من الأذكار	159
36	المبحث الأول :روحانيات القيام ووضع السترة والنظر إلى موضع السجود والنية .	160
37	المبحث الثاني : روحانيات التكبير والاستعاذة ودعاء الاستفتاح	170
38	المطلب الأول : روحانيات تكبيرة الإحرام	171

39	المطلب الثاني : روحانيات دعاء الاستفتاح	174
40	المطلب الثالث : تفسير وروحانيات الاستعاذة	182
41	المبحث الثالث : روحانيات تلاوة سورة الفاتحة .	188
42	المبحث الرابع : روحانيات القراءة بعد سورة الفاتحة	210
43	الفصل الثامن :روحانيات الركوع والرفع منه وما يُتلى فيهما من الأذكار	215
44	المبحث الأول : روحانيات الركوع وما يتلى فيه من الذكر	216
45	المطلب الأول : روحانيات الركوع	217
46	المطلب الثاني : روحانيات التسبيح في الركوع	220
47	المبحث الثاني : روحانيات الرفع من الركوع وما يتلى فيه من الذكر	227
48	المبحث الثالث : روحانيات دعاء القنوت	230
49	الفصل التاسع :روحانيات السجود والجلوس بين السجدتين وما يُتلى فيهما من الأذكار	239
50	المبحث الأول : روحانيات السجود وما يتلى فيه من الذكر .	240
51	المطلب الأول : روحانيات السجود .	241
52	المطلب الثاني : روحانيات التسبيح والدعاء في السجود .	253

53	المبحث الثاني : روحانيات الجلوس بين السجدتين والسجدة الثانية وتكبيرات الانتقال وما يتلى فيها من الذكر	262
54	المطلب الأول : روحانيات الجلوس بين السجدتين والسجدة الثانية وما يتلى فيهما من الذكر .	263
55	المطلب الثاني : روحانيات تكبيرات الانتقال .	267
56	الفصل العاشر : روحانيات الجلوس للتشهد وما يتلى فيه من الأذكار	269
57	المبحث الأول : شرح التشهد الأول وما فيه من الروحانيات	270
58	المبحث الثاني : شرح وروحانيات التشهد الأخير (الصلاة الإبراهيمية)	280
59	المبحث الثالث: شرح وروحانيات الأدعية المسنونة بعد التشهد الأخير وقبل السلام.	284
60	المبحث الرابع : روحانيات السلام بعد الانتهاء من الصلاة	294
61	الفصل الحادي عشر : روحاينات قيام الليل وصلاة التروايح والتهجد	297
62	المبحث الأول : فضل قيام الليل وما فيه من الروحانيات	298
63	المطلب الأول : بيان الفرق بين قيام الليل والتهجد وصلاة التراويح	299

64	المطلب الثاني : حكم قيام الليل وفضله	301
65	المطلب الثالث : فضائل قيام الليل	302
66	المحور الأول : فضائل قيام الليل في القرآن الكريم	303
67	المحور الثاني : فضائل قيام الليل في السنة المطهرة	305
68	المحور الثالث : قيام الليل عند أولياء الله وأهله وخاصته من عباده	313
69	المبحث الثاني : شرح وروحانيات الأذكار والأدعية الخاصة بقيام الليل	318
70	المبحث الثالث : كيفية تقسيم الوقت في الليل	331
71	المبحث الرابع : روحانيات صلاة التراويح	337
72	المطلب الأول : حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها .	338
73	المطلب الثاني: أين تصلى التهجد في رمضان فى الجوامع أو فى البيوت ؟	346
74	الفصل الثاني عشر : روحانيات صلاة الجماعة وفوائدها	353
75	المبحث الأول : التبكير هو أصل أصيل في روحانيات صلاة الجماعة	354
76	المبحث الثاني : روحانيات الإنصات إلى قراءة الإمام في صلاة الجماعة	359
77	المبحث الثالث : فوائد أداء الصلاة في الجماعة	365

78	الفصل الثالث عشر : روحانيات صلاة الجمعة	370
79	المبحث الأول : خصائص يوم وصلاة الجمعة .	371
80	المبحث الثاني : آداب وروحانيات الحضور لصلاة الجمعة .	689
81	الفصل الرابع عشر : روحانيات صلاة العيدين والاستسقاء والكسوف	401
82	المبحث الأول : روحانيات صلاة العيدين والتكبير فيهما .	402
83	تمهيد	403
84	المطلب الأول : الفرح يوم العيد وأحكام التكبير فيه	404
85	المطلب الثاني : روحانيات تكبير العيدين .	410
86	المبحث الثاني : روحانيات صلاة الاستسقاء .	414
87	المطلب الأول : أهمية الماء للحياة وللأحياء .	415
88	المطلب الثاني : الاستسقاء عند الأمم والشعوب .	418
89	المطلب الثالث : حكم وروحانيات صلاة الاستسقاء .	422
90	المبحث الثالث : روحانيات صلاتي الكسوف والخسوف	426
91	المطلب الأول : الأحكام الفقهية لصلاتي الكسوف والخسوف .	427
92	المطلب الثاني : روحانيات صلاتي الكسوف والخسوف	431

93	الفصل الخامس عشر : ذكر جميع الأذكار والأدعية المطلوبة في الصلوات	438
94	المبحث الأول : ما ورد من الأدعية والأذكار قبل الصلاة .	439
95	المبحث الثاني : ما ورد من الأدعية والأذكار في القيام في الصلاة	444
96	المبحث الثالث : الأذكار والأدعية الواردة في الركوع والرفع منه والسجود والجلوس بين السجدتين.	453
97	المبحث الرابع : الأذكار والأدعية والواردة في الجلوسين الأول والأخير	460
98	المبحث الخامس : الأذكار الواردة بعد الصلاة .	466
99	الخاتمة : ثمار هذه الروحانيات أن تجعل الصلاة صلة ... لكن بمن ؟	472
100	أهم المراجع	479
101	فهرس الموضوعات	483